الثروة النباتية

عند قدماء المصريين

تأليف

وليم نظير

الكتاب: الثروة النباتية عند قدماء المصريين

الكاتب: وليم نظير

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

نظير ، وليم

الثروة النباتية عند قدماء المصريين / وليم نظير

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٤٥٩ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٧ – ٩٨٥ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٦٠٧ / ٢٠١٩

الثروة النباتية عند قدماء المصريين





مقدمة

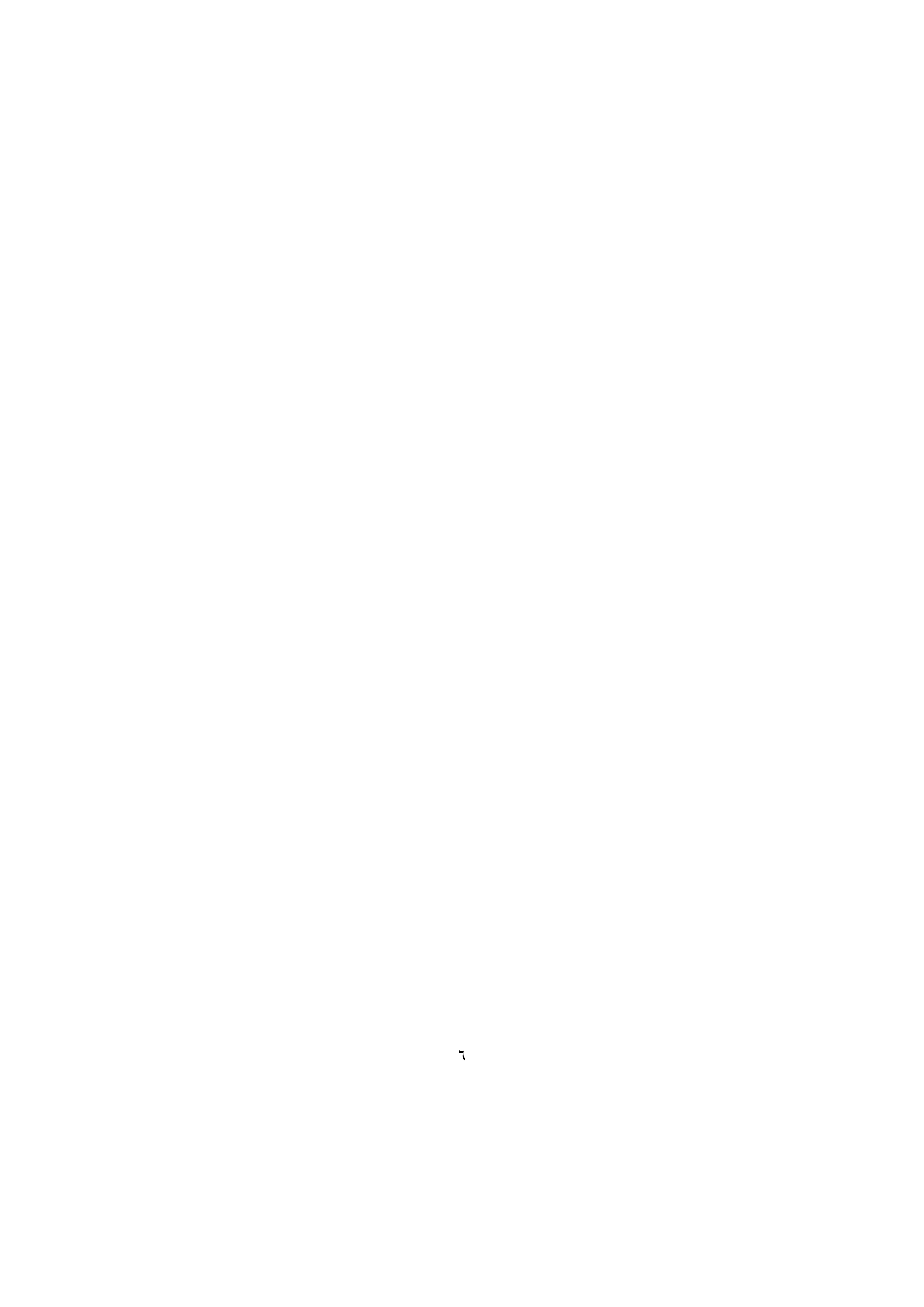
الإهداء

كانت الزراعة هي الموارد الخصب الذي أكسب مصر حضارتها الخالدة التي قامت ترعرعت منذ عصر ما قبل التاريخ.

وقد زودتنا الصور التي عثر عليها على جدران القبور والمعابد بتراث ضخم يتصل بحياة مصر الزراعية كما أن كثيراً من القبور يضم أدوات ونباتات كان المصريون القدماء يستخدمونها في حياتهم الخاصة أو العامة وقصد بها أن يستخدموها أيضاً في الحياة الأخرى.

فإلى هؤلاء الباحثين. وإلى طلاب العلم والعلماء أهدى هذا الكتاب.

وليم نظير



شكر وتقدير

يسرني اسداء وافر الشكر إلى الأستاذ الدكتور عبد الفتاح المرسي وكيل وزارة الزراعة على حدبه وعطفه وما يظهره في كل مناسبة من اهتمام بالغ بمؤلفاتي الأمر الذي كان حافزاً قوياً لي لإنجاز هذا الكتاب.

كما أشكر الأستاذ الدكتور عباس أحمد الأتربي وكيل وزارة الزراعة الذي كثيراً ما شجعني وغرس في حب البحث وأمدني بقيض علمه.

وكذلك أشكر عالم الآثار الاستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر على تفضله بفحص الكتاب وتزويده بمادة علمية سخية وأستاذي الدكتور المهندس مُحَمَّد حماد علي كلمته القيمة بتقديم الكتاب وقد اقتبست من علمه الغزير الشيء الكثير.

وأشكر أيضاً الأستاذ الدكتور لطفي بولس على تكرمه بمراجعة الكتاب من الناحية النباتية واهدائه بعض الصور الحديثة للمقارنة.

ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور مُحَمَّد السعيد أمام مدير قسم بحوث الأشجار الخشبية بمصلحة البساتين بوزارة الزراعة على البيانات الدقيقة التي قدمها لي عن الأشجار الخشبية.

أما زملائي بقسم بحوث المجموعة النباتية بالمتحف فلن أنسى معونتهم الصادقة التي قدموها لي في تحقيق أسماء النباتات العلمية.

فاليهم جميعاً شكري العميق، جزاهم الله عني خير الجزاء.

وليم نظير

تقديم

لقد أسعدني أن أسمع من الأخ الأستاذ وليم نظير اخصائي الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي أنه يقوم بكتابة هذا البحث عن الثروة النباتية عند قدماه المصريين. ولموضوع هذا البحث في نفسي ذكرى وتاريخ طويل يرجع إلى حوالي عشرين عاماً عندما أخبرني الأستاذ الدكتور "لودفيج كايمر" أنه ينوي تحضير كتابه في هذا الموضوع باللغة العربية. والواقع أن الدكتور كايمر كانت لديه كل التسهيلات التي تمكنه من كتابة هذا البحث إذ أنه كان متفرغاً للكتابة بعد أن تخصص على أستاذه العالم الألماني الكبير الأستاذ "شفاينفورت"، الذي تخصص في دراسة النبات والحيوان في حضارة قدماء المصريين كما أن "كايمر" ورث مكتبته العلمية النادرة الوجود التي تحتوي على مراجع علمية ومخطوطات فريدة بخط الأستاذ "شفاينفورت" ولم تنشر بعد.

ولا أدري كيف مرت الأيام سريعاً وصادفت الأستاذ كايمر بعض العقبات في اتمام عمله ثم مرض ومات رحمه الله ولم يتم ما أراد أن ينجزه . . ولقد حزنت على فراق هذا العالم الجليل الذي تتلمذت عليه في رسالتي للآثار المصرية وزاد ألمي لأنه لم يتم ذلك العمل الذي أراد أن ينهي به حياته في خدمة مصر وحضارتها القديمة التي تعتبر المعلم الأول لحضارات العالم أجمع . . .

ولكم كان سروري عظيماً عندما سمعت من الأستاذ وليم نظير أنه يقوم بالكتابة عن الثروة النباتية وهو عمل جليل في خدمة تاريخ هذا الوطن العزيز. وقد قام به بالرغم من مشاغله الكثيرة التي لم تمنعه من أن يقوم بهذا العمل الكبير لإخراج هذا المجلد ليضيف إلى المكتبة العرب بحثاً جديداً جمع فيه خلاصة عمل دام عدة سنوات وعرضه في أسلوب شيق واضح . . . بدأه بكلمة عن النيل الذي يعتبر أصل الحياة في هذا الوادي منذ العهود البدائية الأولى. ثم تكلم بعد ذلك عن الحياة الزراعية في مصر وعن المحاصيل والنباتات المختلفة، ولم ينس أن يذكر في هذا المجلد الصناعات والآلات الزراعية في عهد قدماه المصريين. ثم اختتم هذا البحث الشيق بذكر الزراعة والمجتمع المصري والأعياد المصرية التي ارتبطت بالزراعة وكانت عماد الحياة في مصر حتى جاء عهد الثورة التي طورت مصر من يلد زراعي متخلف إلى بلد صناعي يبني لنفسه المكان اللائق بين الأمم الصناعية في العالم المتمدين.

وأخيراً فأنني أثني على هذا المجهود الكبير الذي بذله الأستاذ المؤلف في هذا العمل المجيد وأرجو له دوام التوفيق في انماء المكتبة العربية لخدمة الوطن العربي الكبير.

والله الموفق

د. م. محمد حماد

مقدمة

بعد أن انتهيت من تأليف كتابي الأول عن "الثروة الحيوانية عند القدماء المصريين" وجدت أن الحاجة ماسة لإصدار الكتاب الثاني عن "الثروة النباتية عند قدماء المصريين" وبهذين الكتابين أكون قد أنجزت موضوع الزراعة في مصر الفرعونية.

وقد قمت بالاطلاع والبحث في كثير من المراجع العربية والأجنبية التي كتبت عن النباتات المصرية القديمة وبذلت جهداً كبيراً في تحقيق أسمائها العلمية والهيروغليفية وكل ما يمت للنباتات بصلة. ولم أدخر وسعا في زيارة المتاحف الأثرية لمعرفة الآثار على طبيعتها والالمام بتفاصيلها. ولا أخفي أنه قد صادفتني كثيراً من الصعاب والعقبات عند البحث في المراجع التي قمت بالاطلاع عليها لاختلاف الآراء التي وردت بها أو لأنها لم تستوف المواضيع التي طرقتها أو لغموض بعض الآراء فيها مما اضطرني للاستزادة بما كتبه الباحثون المحدثون. كما أني بذلت أقصى ما أستطيع في ترتيب أبواب الكتاب واعداده طبقاً للآراء الحديثة.

وقد اتصلت ببعض كبار الأساتذة وعلماء الآثار المصريين وناقشتهم وتباحثت معهم لأرتشف من ثقافتهم وعلمهم.

أما الصور التي ضمنتها هذا الكتاب فقد اعتمدت في بعضها على المجلدات التي أصدرها العلماء الأجانب عن قبور الفراعنة وغيرهم من الأشراف وسراة القوم بينما اعتمدت في بعضها الآخر على المراجع الهامة. ويلاحظ أن بعض هذه الصور لم يسبق نشره.

وأني أذكر بالفخر والاعجاب مجموعة "شفينفورت" النباتية التي يعتز بها قسم الزراعة المصرية القديمة بالمتحف الزراعي فهي الأثر الوحيد من نوعه في المتاحف العالمية وتعتبر مرجعاً هاماً لتعريف النباتات المصرية القديمة.

ويهمني أن أسجل هنا قائمة بالأسرات المصرية وتواريخ حكمها حتى تكون عونا للقارئ لمعرفة العصور المختلفة التي وقعت فيها هذه الأحداث أو تلك المكتشفات.

وبعد سنوات من الدأب على العمل والسهر المتصل أنجزت تأليف هذا الكتاب. وقد حاولت جهدي أن يسد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية. فأرجو أن أكون قد وفقت وقاربت السداد والتوفيق وما توفيقي إلا بالله.

وليم نظير

تقرير

قمت بفحص كتاب "الثروة النباتية عند قدماء المصريين" تأليف الأستاذ وليم نظير أخصائي الزراعة المصرية القديمة بالمتحف الزراعي.

ولست أشك أن سيادته قد بذل جهداً كبيراً في جمع الحقائق العلمية حول النباتات المصرية وحول الزراعة وأدواتها. ولقد أتت هذه الحقائق مرتبة ترتيباً علمياً واضحاً يسهل على كل مثقف أن يستفيد منها فائدة محققة.

وأني أعتقد أن نشر هذا الجزء من الكتاب سيسد ثغرة في المكتبة العربية.

د.عبد المنعم أبو بكر

قائمة بالأسرات المصرية

لا يمكن تحديد التاريخ الي ترجع إليه اقدم الآثار المصرية إذ لم يتخذ المصريون القدماء حادثاً معيناً كمبدأ لتواريخهم بل أرخوا حوادثهم بالسنين التي وقعت فيها باتداء من حكم كل ملك على حدة. وليس لدينا قائمة كاملة بتاريخ حكم كل الملوك وهناك "عصور مظلمة" لا يمكننا تعيين مدتها دون أن تتجاوز الحقيقة بنحو قرن زيادة أو نقصاً.

فاذا أردنا أن نعين العصر الذي عاش فيه شخص ما أو أقيم فيه أثر من الآثار جرت العادة أن نقول بأنه من أسرة كذا حسب الجدول الذي خلفه لنا المؤرخ "مانيثون".

ولسهولة البحث قسم التاريخ المصري إلى عدد من العصور الرئيسية ثم قسمت هذه في بعض الأحوال إلى عصور أخرى. وفيما يلي قائمة بالعصور المختلفة مع ذكر التواريخ التقريبية للأسرات الهامة:

العصر	الأسرات	التاريخ
عصر ما قبل التاريخ	عصر ما قبل السرات	قبل نحو ٣٢٠٠ قبل الميلاد
	العصر العتيق: الأسرتان ١ و ٢	نحو ٣٢٠٠ قبل الميلاد

الدولة القديمة	الأسرة ٣	نحو ٢٧٨٠ قبل الميلاد
	الأسرة ٤	نحو ٢٧٢٠ قبل الميلاد
	الأسرة ٦	نحو ٢٤٢٠ قبل الميلاد
عصر الفترة الأولى	الأسرات ٧ –١٠	نحو ٢٤٢٠ – ٢١٤٠ قبل الميلاد
عصر الدولة الوسطى	الأسرات ١١ –١٣ / الأسرة ١٢	نحو ٢١٤٠ – ١٧٨٥ قبل الميلاد
عصر الفترة الثانية (الهكسوس)	الأسرات ١٤ – ١٧	نحو ١٧٨٥ – ١٥٨٠ قبل الميلاد
عصر الدولة الحديثة	عصر الامبراطورية: الأسرات ١٨ – ٢٠	
	الأسرة ١٨	نحو ١٥٨٠ قبل الميلاد
	الأسرة ١٩	نحو ١٣٤٠ قبل الميلاد
	العصران الثانيسي والبوبسطي:	
	الأسرات ٢٤ –٢٢:	
	الأسرة ٢١	نحو ١٠٨٤ قبل الميلاد
العصر المتأخر	العصر الأتيوبي والصاوي	
	الأسرات ٢٤ –٢٦:	
	الأسرة ٢٦	نحو ٦٥٦ قبل الميلاد
	الفتح الفارسي	نحو ٥٢٥ قبل الميلاد
	العصر الفارسي والمنديس:	

	الأسرات ٢٧ – ٣٠:	
	الأسرة ٣٠	نحو ٣٧٨ قبل الميلاد
	فتح الاسكندر لمصر	نحو ٣٣٢ قبل الميلاد
العصر اليوناني الروماني	عصر البطالمة: بطليموس الأول	نحو ٣٠٥ قبل الميلاد
	العصر الروماني: الفتح الروماني والعصر البيزنطي	نحو ٣٠ قبل الميلاد
	العصر القبطي: الناحية الشعبية من العصر اليوناني والروماني	
	الفتح العربي	نحو ٦٤٠ بعد الميلاد

الباب الأول

النيل

منذ آلاف السنين كانت الأمطار تسقط على هضبة أثيوبيا عند بحيرة تانا خلال شهر يونيو حتى أوائل أغسطس من كل عام، وتتدفق مياهها إلى النيل الأزرق ويستمر النهر في اندفاعه ليشق طريقه عبر القارة الأفريقية حاملاً معه الخير فيعطي الخصب والماء والحياة.

وكانت بوادر الفيضان تظهر عند أسوان فيرتفع منسوب الماء حتى يبلغ ذروته في أغسطس وتختلف حالة الفيضان فطوراً عال خطر يخشى أن تطغي مياهه عل الجسور وطوراً آخر منخفض يهدد الزرع والضرع ولكن النيل وفي كريم لا يغضب الا لماما ولا يشح الا ليعود إلى ما عرف عنه من جود.

وقد استخدمت مصر مياه النيل وكانت تتبع نظام ري الحياض الذي استمر منذ فجر التاريخ حتى القرن التاسع عشر وهو نظام كان يتفق مع أحوال النهر و يلائم مناخ البلاد ولو أن الفيضان كان مبكراً أو جاء متأخراً لما كان من السهل تطبيق هذا النظام ولما ناسب زراعة الغلات الشتوية أو الصيفية.

ويجري النيل مسافات طويلة ليحيى شعوباً ويبني حضارات. وما ارتبط بشر بنهر أو عنى قوم بشئون الماء منذ أقدم العصور كما عنى المصريون. فمصر هبة النيل ولولاه لما قامت حياة ولا ازدهرت حضارة ولكانت مصر صحراء جرداء.

وكان مجرى النيل في أول الأمر أكثر اتساعاً عما هو عليه الآن. فلما ازداد عمقه على مر الزمن انحسرت المياه شيئاً فشيئاً عن شاطئيه ونشأت الأرض الخصبة على الجانبين.

وقد شبه وادى النيل بزنبقة ذات ساق ملتوية هو ساقها والدلتا زهرتها وواحة الفيوم برعم صغير يتصل بها.

رقد ذكر المؤرخون القدامى أن النيل كانت له سبعة أفرع هي:

١- الفرع البوبسطي: (نسبة إلى بوبسطة) ويعرف الآن بترعة "أبي النجا" وكان قديماً يصب عند الفرما.

٢- الفرع المنديسي: (نسبة إلى منديس) ما بين (تل الربعة والبقلية) ويعرف الآن باسم "بحر أشمون الرمان" ويصب في بحيرة المنزلة.

٣- الفرع التانيتي: ويعرف الآن باسم "بحر مويس".

٤- الفرع الفاطميتي: ويعرف الآن باسم رفع دمياط.

٥- الفرع السبتيتي: (نسبة إلى سمنود) ويعرف الآن باسم ترعة مليج.

٦- الفرع البلبتيني: وكان جزءاً من "الكانوبي" يخرج منه عند الرحمانية ثم يجري فيصب في ابلحر الأبيض المتوسط.

٧- الفرع الكانوبي: وهو المعروف الآن بفرع رشيد مطلعه عند رأس الدلتا ومجراه إلى الشمال. ولم يبق من هذه الأفرع سوى فرعي دمياط (البليوزي) ورشيد (الكانوبي).

وقد لعب نهر النيل دوراً خطيراً في حضارة مصر وفي ذلك يقول (دافيدسون): "قامت الحضارة في حوض نهر النيل وعلى ضفافه ذلك لأن الحضارات مهما اختلفت وتباينت خصائصها فهي تقوم على ضفاف أنهار عظيمة تميزت عن غيرها بتجديد تربتها التي تمر عليها عاماً بعد عام، كما تميزت بري طبيعي قبل أن يخترع الانسان وسائل الري الصناعي وترتب على هذا أن أستقر الانسان على الأرض وكان قبل ذلك يجوبها على قدميه يجمع الطعام حيت يجده ويصطاد حيث يلقى الصيد. وكان من الطبيعي أن يلقى الانسان المصاعب في سبيل زراعته على أساس الري المنظم، فكان عليه أن يخزن الطعام وبدأ في تقسيم العمل فهذا يزرع وذاك يجمع وثالث يبيع، ونشأت تبعاً لهذا المدن وقامت فيها حضارة انسانية على أكتاف الحكومة المركزية التي نمت وأصبحت مسئولة وترتب على هذا معرفة الأرقام وعلم الحساب".

صفات النيل:

جاء وصف النيل في كثير من المتون المصرية "فهو الذي يذهب في وقته ويجئ في وقته. الذي يحضر المآكل والمؤن. الذي يأتي بين الأفراح. المحبوب جداً. رب الماء الذي يجلب الخضرة. يتفانى الناس في خدمته ويحترمه الآلهة. هو اله صغير خلقه "رع" من أحسن عناصره. وكل من يرى النيل في فيضانه تدب الرعشة في أوصاله. وتضحك الحقول وتكسوها الخضرة وتتساقط قرابين هذا الاله، وتعلو الفرحة وجوه البشر وتخفق قلوب الآلهة من السعادة".

ونجد وصفاً رائعاً له في (متون الأهرام) يقول: "تضطرب القلوب خوفاً عند تلاطم أمواجك يا "حابي" وتضحك الحقول وتزدهر الضفتان. فماؤك هبة السماء للأرض تجعل الناس يسجدون لك بقلوب فرحة".

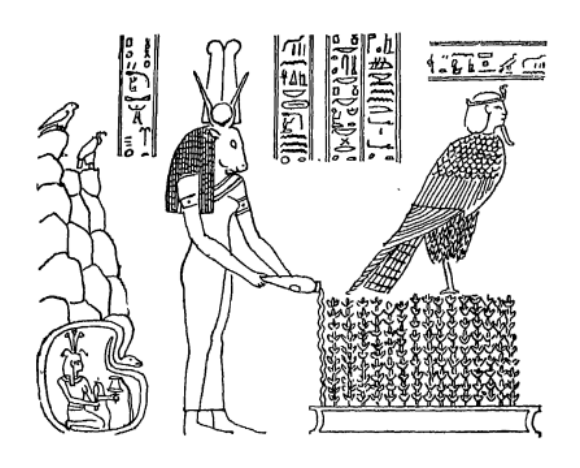
أسماؤه:

لقد آمن المصريون بعظمة النيل فقدسوه فهم لا يذكرونه الا وحوله هالة من الاجلال والتقديس. ولقد تضاربت الآراء في أصل كلمة النيل. فهناك لفظ مصري يدل على النيل ذكر في الجدول الشامل لأسماء هذا النهر المبارك منقوش على الآثار ونقله (بروكس) في قاموسه الجغرافي. وهذا اللفظ هو "نون" وكثيراً ما ذكر في المتون المصرية. ولقد قام المصريون في عصور متأخرة بإقامة المقارنة بين النيل "حعبى" وبين الاله الأزلي لعنصر الماء "نون".

أما الاسم المصري القديم للنيل – وهو الاسم الديني – فهو "حعب" أو "حعبى" وينطقه الأثريون "حابي" للتخفيف أي الاله المقدس.

ويقول بعض المؤرخين أن كلمة نيل مشتقة من "نيالو" المصرية القديمة. ولما كان بعض الناس ينطقون الراء لاما فيرجح أن تكون الكلمة الأصلية "نيارو" التي بقيت في اللغة القبطية وربما كانت أصلاً لكلمة "نيل" ومعناها الحرفي "نهر" وقد اشتقت منها الكلمة المعروفة بهذا الاسم.

ويقول البعض الآخر أن اسم النيل مشتق من اللغة السامية نهل أو نهر وحرف في اليونانية إلى "نيلوس"



(شكل ١)

نقوش في جزيرة فيلة بأسوان تمثل منبع النيل. ويشاهد الاله "حابي" في كهف بجزيرة بيجة واعلى الصخور رخمة وباشق رمزاً مصر العليا ومصر السفلى.

وكان المصريون يرمزون للإله "حابي" بخطوط متعرجة سموها "مو" ثم حرف الاسم في العربية إلى ماء على مر العصور.

وأيا كانت هذه الآراء فهي متقاربة وتشابه الصل المصري القديم. ويبدو أن اسم "حابي" قد استعمل للتدليل على ذلك الجدول العظيم في الوقت الذي كانوا يتخيلون فيه بأن النيل ينبع من جزيرة "بيجة" خلف سد أسوان غير أن المقارنة بين الاله "أوزيريس" والنيل "حعبي" قد حدثت في عصر متأخر جداً وأصبحت تلك الجزيرة مقر "أوزيريس" من ناحية ثم أيضاً المكان الذي ينبع منه نيل الشمال ونيل الجنوب.

أما في العصور القديمة فقد اعتقد المصريون أن المكان الذي ينبع منه النيل يقع عند جبل السلسلة. أما القبر فهو عبارة عن صخور يعلو بعضها البعض فوق احداها رخمة رمزاً لمصر العليا وتمثلها "نخبيت" الهة الكاب وفوق الأخرى باز (باشق) رمز مصر السفلى وتمثله الالهة "موت" وتعتبران زوجتا الاله "حابي" ومن أسفلهما حية كبيرة تحيط بكهف النيل يحتمى به ويستقر فيه أوزيريس بهيئة "حابي" وفي كل من يديه اناء ينصب منه الماء. وكان "حابي" – كما كانوا يتصورون – هو الروح المائية التي ينتظرون منها الفيضان. بينما تقف الالهة "ايزيس" في هيئة رأس بقرة تصب الماء على بعض الزروع التي تقف أعلى روح الاله أوزيريس (شكل ١).

فاذا كان الصيف وانساب الماء من ذلك المكان جارياً إلى الشمال فبلغ صخور السلسلة هب كهان الاقليم أو فرعون نفسه أو أحد ولده إلى

ذلك المكان ليضحي بثور وبعض أوز وليلقى بتلك الضحية في النهر مصحوبة بوثيقة مختومة بآمالهم في أن يكون في فيض النهر ما يحقق الخير لمصر.

وكان بالقرب من الموقع الحالي لحلوان مكان آخر مرتبط بالنيل عند سفح حلوان سماء الفراعنة "بر . حابي" أي (بين حابي). وعندما يحدد كهان هليوبوليس (عين شمس) الحالية بدء الفيان كانوا يبعثون رسولاً ليوقظ "حابي" ويخرجه من كهفه ثم يحدث الفيضان بعد ذلك وتفيض المياه على جانبي النهر فتغطى الحقول وتبعث فيها الخصب.

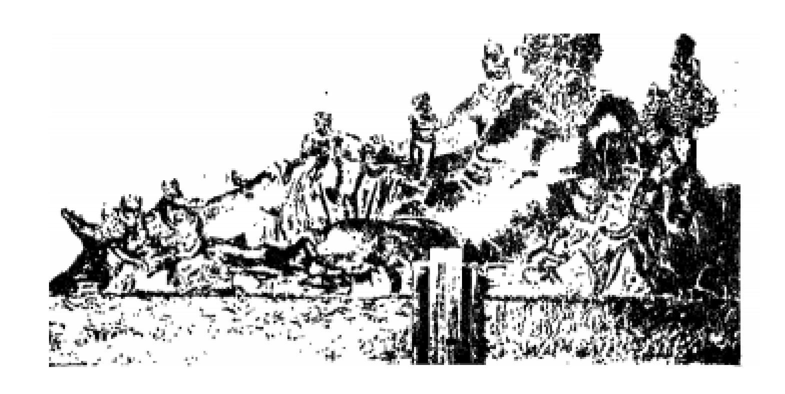
مقاييسه :

عنى المصريون القدماء بمراقبة النيل ودفعهم ذلك إلى انشاه المقاييس منذ أقدم العصور لمعرفة منسوب مياه الفيضان.

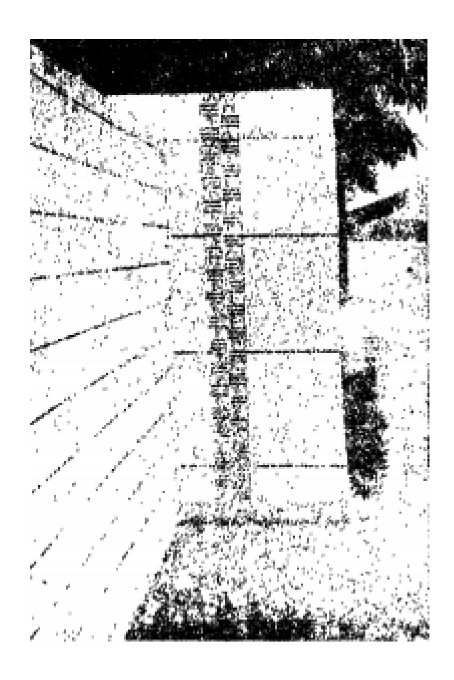
ويذكر المؤرخون أن سيدنا يوسف عليه السلام أول من قام بقياس النيل ثم أقام ملوك العجم مقياساً بأخميم كما أقام القبط مقياساً آخر في قصر الشمع بمصر القديمة.

وقد سجل منسوب المياه في العصر اليوناني ستة عشر ذراعاً وهو المنسوب المعتدل الذي يعود على البلاد بالخير. وقد مثل ذلك في تمثال محفوظ بمتحف الفاتيكان بروما من القرن الأول الميلادي يرمز للم=نيل

برجل قوي كللت جبهته بسنابل القمح – أهم المحاصيل المصرية وقتئذ – وقد استند إلى ظهر أبي الهول وامتد عند قدميه تمساح ودلفين وفرس نهر



(شكل ٢) اله النيل وحوله سته عشر غلاماً – العصر الروماني



(شكل ٣) مقياس النيل مقسم إلى درجات – جنوب جزيرة الروضة

وحوله ستة عشر غلاماً رمز الستة عشر ذراعاً التي إذا بلغ الماء إليها يكون وفاء النيل (شكل ٢).

وكانت المقاييس تحت أشراف الحكومة ورقابتها وتسجل أقصى ما يبلغه ارتفاع الفيضان. ولم تكن المقاييس التي أقاموها عند فيلة ومنف وهليوبوليس إلا لضبط مياهه والاطمئنان إلى منسوبها وأشهر تلك المقاييس مقياس الروضة الحالي (شكل ٣).

فيضانه :

كانت مياه الفيضان من المشكلات التي حار المصريون القدماء في كشف أسرارها على مر العصور. فكان الكهان في بادئ الأمر يعتقدون أن فيضان النيل من عند الله وأن اكتشاف سره فوق قدرتهم لذا قدسوا في النيل ذلك المظهر الرائع من مظاهر النعم الالهية فقد كانوا يجعلون لمظاهر الحياة عندهم آلهة مختلفة يجتمع شملها في آخر الأمر في اله واحد.

وقد عرف القوم قيمة الفيضان وأدركوا اهميته وأثره في حياتهم فعلى وفائه وفيضه تتوقف حياة البلاد من الخصب وإذا أجدب تصاب بالقحط والجفاف. وقد عثر على نقوش على لوحة تذكارية من عهد البطالمة مدونة على صخور جزيرة سهل جنوب أسوان تعرف باسم (لوحة المجاعة) تشير إلى أن "خنم"– وكان يمثل برأس كبش – هو اله تلك المنطقة نظراً لما رأوا فيه من القدرة على الانتاج الجنسي. وهي لوحة أراد بها البطالمة أن يؤكدوا سيطرة مصر على المناطق التي تقع إلى الجنوب من أسوان في أقاليم

"واوات" (بلاد النوبة السفلي) وهي المنطقة التي اطلقوا عليها اسم "دوديكاشوينوس" أي الاثني عشر السلسلة. وتحدثنا هذه النقوش عن المجاعة التي حدثت في عهد زوسر واستمرت سبع سنين متواليات وكيف أن الملك قد أوفد بعض الرسل إلى أسوان وأخبرهم الكهان بأن الاله "خنم" غير راض عن البلاد لأن معابده أصبحت مهدمة ويقول الاله: "أنني حزين لأن النيل لم يفض في عهدي سبع سنوات فقلت الغلال وجفت الحقول وهلك كل ما يصلح لأن يكون طعاماً. وإذا استنجد الرجل بجيرانه هربوا منه ولم يأت أحداً منهم لنجدته. فالطفل يبكي والشاب يذبل والشيخ يغمى عليه وأصبحت سيقانهم جميعاً لا تحملهم فهم مطروحون على الأرض وقد ألقوا بأذرعهم متعارضة على صدورهم".

ثم عاد النهر بعد ذلك إلى منسوبه العادي بعد أن أعطى الاله الترضية الكافية وامتلأت المخازن بالخيرات.

ركان المصريون القدماء يخشون الفيضانات العالية الخطرة أو المنخفضة وقد دونوا ذلك في أنشودة تقول:

"عندما يكون النهر بطيئاً تتوقف الأنفاس ويعم الفقر وتقل القرابين ويهلك ملايين الناس. وعندما بكون عنيفاً تصبح البلاد كلها في رعب شديد وينتحب الكبير والصغير".

وإذا غمر الفيضان الربي كان الفلاح يستعين على عمله الشاق بالغناء حتى أصبح جزءاً من العمل الذي يقوم به فنراه يغني أغنية للفيضان

ويقول: "لقد زرِع "جب" – اله الأرض – جماله في كل جسد. وصنع "بتاح" – اله الصناعة والفنون – بيديه كل شيء ليصبح بلسما لقلبه. وها هي ذي القنوات قد امتلأت بالمياه أربعة أضعاف ما كانت عليه وغطى حبه جميع الأراض".

كما ورد في أقوال المصريين القدماء عن النيل أثناء الفيضان:

"أيها الفيضان المبارك. قدمت لك القرابين والذبائح. وأقيمت لك الأعياد العظيمة. وذبحت لك الطيور. واقتنصت لك الغزلان من الجبال. وأعدت لك النار الطاهرة. وقدم لك البخور والنعم السماوية. والعجول والثيران. فتقبلها هدية شكر واعتراف بفضلك".

أوزيريس والنيل:

كان القوم يمثلون أوزيريس بالنيل ويعتقدون أنه أول من نظم لهم حياة الزراعة وقد كانت أهم دعائم الحضارة المصرية القديمة بفضل انتظام فيضان النيل كل عام ولا تزال هي قوام الحياة وعنصرها الأول في مصر كما كانوا يعتقدون أن أوزيربس هو الفيضان نفسه وهو الذي ينبت الأشجار والأزهار وقد جعلوا منه ربا للنيل وتصوروا عرشه فوق الماء وقبره عند منبع النيل.

أناشيد النيل:

وليس غريباً بعد ذلك أن ينشد المصريون القدماء الأناشيد مدحاً في النيل. وما أجمل هذا النشيد الذي ورد في أحد القراطيس البردية المحفوظة بالمتحف البريطاني:

"سلام لك يا "حابي". يا من تخرج إلى هذه الأرض وتأتي لتحيى مصر. يا صاحب الطبيعة الخفية. يا من خلقه "رع" ليغذي كل الماشية. . يا من نروي الحقول البعيدة عن أماكن المياه. يا من يتساقط نداه من السماء. يا محبوب الاله "جب" المسيطر على اله الحنطة والذي يحيى كل مصنع للإله "بتاح". يا رب الأسماك الذي يجعل طيور الماء تطير نحو الجنوب. يا صانع الشعير وخالق القمح وكاسي المعابد حلل الأعياد. أنه النيل الذي يجلب الخيرات ويفيض الكثير من الطعام ويخلق كل شيء طيب. أنه حلو للذين يصطفيهم. وهو الذي يخلق العشب للماشية والقرابين لجميع الآلهة. أنه يفيض على مصر فتمتلئ مخازن الحبوب وتتوافر حاجات الفقراء. أنه الذي يجعل الأشجار تنمو كما يشتهي الجميع وأينما يوجد الألم يحوله إلى فرح وحينئذ يبتهج كل قلب. فالفيضان الكافي يروي كل الحقول ويبعث النشاط في الرجال. لو أن ما تعجنه يداك كان ذهباً أو قوالب من الفضة لما أكله الناس. لأنهم لا يأكلون ذهباً أو فضة وانما يأكلون قمحا أفضل من الحجارة الكريمة. انه النيل. واذا هو لم يطعم الناس هجر النعيم المساكن وأصيبت الأرض بالاضمحلال".

وقد وجد نقش على أحد جدران معبد ادفو كأنه على لسان النيل وهو يقدم أقاليم مصر إلى "حوريس" الكبير اله ادفو يقول:

"جئت إليك أيها المعبود العظيم استعرض تحت بركاتك جميع الأشياء والمحاصيل والمباني والمعابد وخدمة الأماكن المقدسة القائمين بواجباتهم الدينية معربين بمظاهر أفراحهم المتنوعة وأعيادهم المستديمة اعترافاً بأن النيل الذي يستمد فيضه من المعبود المحترم قد أدى واجبه في ارواء الأرض وانتاج النبات فهو وكل ما يستفيد بمنافعه وما تجود به الأرض على الزراع أثر من بركات هباتك. فتقبل هداياه لأن فيض النيل هو المساعد على دوام الحياة للأجسام. وبواسطته يستطيع العباد تقديم هداياهم وقرابينهم إلى الآلهة وبتوالي فيضه تتضاعف عنايتهم بإقامة الأفراح وتأدية الشعائر المألوفة. شكرا لهذه النعم. وبقبولك هديته تبعث في الشعب الشجاعة والحركة الطيبة. فاليك نضرع في هذا الحفل وبك نتمنى دوام الفيض بالبركات".

صورة وتماثيله :

كثيراً ما نشاهد صور الاله "حابي" منقوشة على جدران المعابد وتمثله شاباً يافعاً. وكان يرسم أحياناً وحده حيث يشاهد وأمامه مائدة قرابين عليها أنواع مختلفة من الأزهار والأسماك والطيور ومن خلفه كاهن يقدم له فروض التكريم (شكل ٤) كما نشاهده في صحبة بعض الآلهة وأحياناً أخرى يرسم مرنان تحت صورة واحدة أو تمثال الملك وهو يربط نبات

اللوتس رمز مصر العليا بنبات البردي رمز مصر السفلى دلاله على الوحدة التي أوجدتها الطبيعة والرابطة القومية التي جمعت بينهما تحت حكم فرعون مصر (شكل ٥ و ٦). على أن أكثر رسومه قد ظهرت في المعابد حيث كان يرسم مراراً وهو يحمل على راسه شعار أحد الأقاليم وعلى يديه قرابين من ثمار الأرض الطيبة من خبز وفاكهة وشراب شهي اشارة إلى أن هذا الاقليم كان يأتي بخيراته إلى الاله الذي كرس المعبد باسمه (شكل ٧). ونشاهد الاله في هذه الأشكال في هيئة رجل ضخم الجسم أزرق اللون عليه سيماء النبل والغنى وينمو على رأسه نباتاً اللوتس والبردي ويمسك بيديه نباتات مائية وأوان للماء رمزاً للفيضان وله لحية الرجل وثديا المرأة وقد برزت بطنه كالمرأة الحامل اشارة إلى ما يحمل النهر من خصب.

وقد فسر بعض العلماء هذا الشكل الغريب بأنه يمثل الاله وله صفات الرجل والمرأة معاً. وعلله البعض الآخر بأن القوم أرادوا أن ينسبوا له قوة الرجال و خصب النساء وهي صفات تتفق وطبيعة هذا النهر العظيم. فالنيل هو ذكر الوادي الذي لقح الأرض والمرأة الحامل دليل الخير وكلما أضخم ثدياها استبشر الناس خيراً من لبنها الذي يرضع منه وليدها.

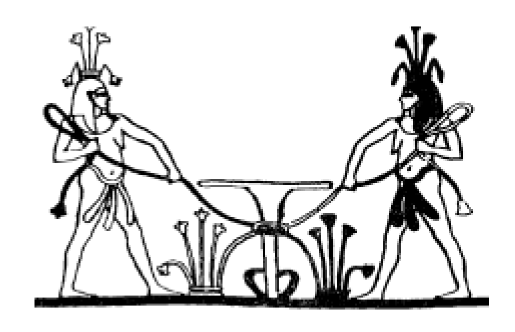
وتماثيل النيل نادرة ولو أن صوره كثيرة على جدران المعابد. ذلك لأن القوم كانوا لا يعبدونه أولاً ولكن عندما نظمت مياهه أخذوا في تقديسه والمدح بخيره وبره.

وقد عثر على تمثال مزدوج من الجرانيت الأسود في ثانيس (صان الحجر) بمحافظة الشرقية محفوظ بالمتحف المصري يمثل نيلي (ملكي) مصر العليا ومصر السفلى في هيئة أمنمحات الثالث من الأسرة الثانية عشرة وهما يقدمان محاصيل النيل من أسماك وأزهار قرباناً للآلهة. ويرجح أن هذا التمثال قد اغتصبه "بسوسنس" أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين (شكل ٨).



(شكل ٤)

آله النيل وأمامه مائدة قرابين علفت فيها أنواع مختلفة من الأزهار والأسماك والطيور ومن خلفه كاهن يقدم له فروض الطاعة.



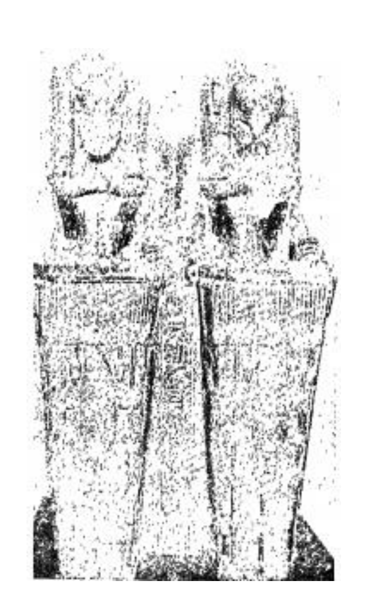
(شكل ٥)

اله النيل بربط نبات اللوتس رمز جنوب الوادي بنبات البردي رمز شمال الوادي عصر الدولة الوسطى



(شكل ٦)

النيل في هيئه آدمي يزدان رأسه مرة بنبات اللوتس رمز جنوب الوادي وأخرى بنبات البردي رمز شمال الوادي وهما يعقدان النباتين تحت اسم الفرعون رمسيس الثاني. ومعبد أبو سنبل – الأسرة التاسعة عشرة



شكل ٨– تمثال مزدوج يمثل نبلي (ملكي) مصر العليا ومصر السفلى وهما يقدمان محاصل النيل من أسماء وأزهار قربانا للآلهة. عصر الدولة الوسطى

وفاء النيل:

كانت تقام للنيل أعياد شعبية يسودها المرح والسرور. ومن هذه الأعياد ما يسمى (ليلة الدموع) وتقع في شهر يونيو كل عام. وكان المصريون القدماء ينسبون حدوث الفيضان إلى دموع الالهة ايزيس حزناً على مصرع زوجها أوزيريس فاستبدت بها الأحزان وبكته بالدمع المدرار. وكلما هطلت الدموع من عينيها غزيرة تساقطت في النهر وامتزجت بمياهه فيحدث الفيضان.

وقد ظلت هذه العقيدة سائدة في مصر حتى عهد قريب فقد كان يقام في ١١ بؤونة – ويوافق ١٧ أو ١٨ يونيو – حفل شعبي يسمى (ليلة

النقطة) وتميل مياه النيل إلى الخضرة في هذا الوقت فيكون بشيراً ببدء الفيضان الذي يكتمل في شهر اغسطس فيقام له عيد آخر عندما تفتح السدود والقنوات ويغمر الفيضان الأراضي فيتراءى كأن المياه تحتضن الأرض أو كأن النيل يتزوج مصر تلك العروس الجميلة التي تقدم نفسها ليغمرها ذلك الرجل المخصب بفيضانه.

وكان المصريون القدماء يعتقدون أنه اذا لم تقم الحفلات الرائعة بوفاء النيل في حينها فان النيل يمتنع عن الزيادة ولا يغمر الماء الأراضي. وكانت هذه العقيدة المتأصلة تحملهم على اقامة الحفلات في كل عام. وقد اعتاد كهان جبل السلسلة (قرب كوم امبو) أن يحتفلوا يعيد "حابي " في حفل باهر فيلقون في الماء قرطاساً مختوماً من البردي ينص فيه على اطلاق الحرية لزيادة الماء.

وقد عثر على أربعة هياكل من عصر الرمامسة تحتوي على رسوم لبعض فراعنة هذا العصر أمام مجموعة من الآلهة بينها "حابي" ويتبع هذه الرسوم نشيد الاله وبيان بأعياده والقرابين التي نقدم اليه.

وكان الفرعون نفسه أو نائبه يحضر هذا الحفل وينقش القوم في هذه الحالة على صخور الجبل متنا بمشاية تذكار باشتراك الفرعون بعيد هذا الاله ويصحبه رجال الدين والعظماء وغيرهم من جموع الشعب الذين يقبلون من كل حدب وصوب فرحين مستبشرين. وكان الكهان يحملون تمثالاً من الخشب لإله النيل يزفونه على الشاطئ. فاذا رأت الجموع الحاشدة هذا

التمثال انحنوا في خشوع وارتفعت أصواتهم بالدعاء التماساً لبركته ويقوم الكهان بعد ذلك بأداء الطقوس الدينية واطلاق البخور بينما القوم يرقصون وتنشدون الأناشيد الدينية على نغمات الموسيقى. ومن المرجح أن جزءاً من هذا الحفل كان يقام في مراكب على صفحة النيل. وبلغ من تقديسهم لهذا العيد أن قدم رمسيس الثالث تمثالاً للنيل في هيئة امرأة جميلة لتكون زوجته. واذا حل الخريف وانحسر ماء النيل أعيدت التماثيل إلى مكانها.

ولا تزال الحكومة تنهج على منوال أسلافنا في الاحتفال بعيد وفاء النيل إذ تحتفل رسميا في النصف الثاني من شهر أغسطس من كل عام هجرياً على عادتها منذ آلاف السنين – على احدى البواخر النيلية والقارب لفرعوني المعروف باسم (العقبة) بحضور كبار العاملين في الدولة وتدوي طلقات المدافع من الباخرة وهي تشق طريقها في مياه النيل الحمراء (شكل ٩).

وفي سرادق يضم رجال الدولة والمدعوين يتلو مفتى الديار المصرية مراسم الحفل بعد اقرار شهادة كبار العاملين الرسميين بأن النيل قد وصل عند مقياس الروضة إلى منسوب اثنين وعشرين ذراعاً وقيراطين وأنه القدر الكافي من مياه النيل لري الأراضي.

وهناك بعض عبارات "تقليدية تتضمنها حجة وفاء النيل تقول: "بعد أن تحقق لدينا وفاء النيل المبارك في هذا العام وجبت جباية جميع أنواع

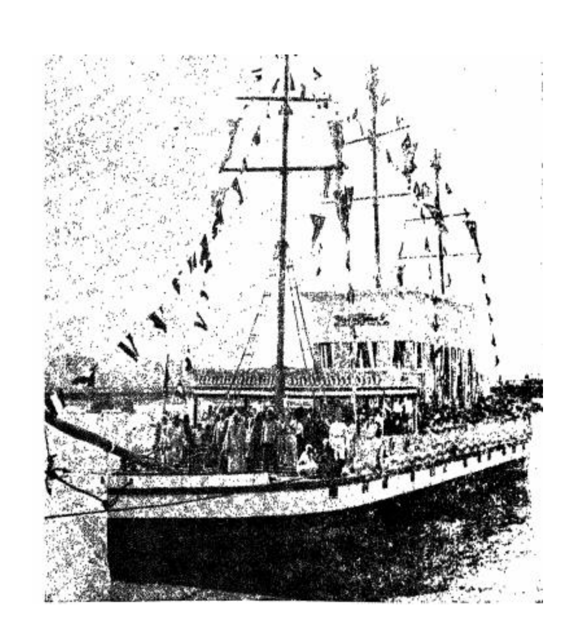
الضرائب المقررة بمقتضى القوانين واللوائح واستحقت كافة الأموال والمرتبات والمستغلات للخزانة العامة".

عروس النيل:

تضاربت الآراء في أصل فكرة عروس النيل. فزعم بعض المؤرخين العرب أن المصريين القدماء كانوا يقدمون في كل عام عروساً من أجمل النساء إلى النيل في يوم وفائه فيزفونها في مهرجان قومي وتركب العروس سفينة مزينة بالأزهار والأعلام تسير على صفحة النيل ويدفعون لأهلها تعويضاً اعتقاداً منهم بأن هذا القربان يرضى النيل فلا يحرمهم من خيره وبركاته ولم يقلعوا عن ذلك إلا في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

ومما قاله المؤرخ العربي (ابن عبد الحكم) في ذلك أن عمرو بن العاص حينما فتح مصر جاء إليه أهلها في شهر بؤونة وقالوا أن للنيل سنة لا يجري إلا بها وهي أن تقدم إليه في منتصف ذلك الشهر فتاة بكر مزدانة بالحلي والثياب.

فقال لهم عمرو: "ان ذلك لا يكون في الاسلام. فظل النيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً مدة أشهر بؤونة وأبيب ومسرى حتى هم المصريون



(شكل ٩) القارب (العقبة) نعلوه الزينات في طريقه للاحتفال بوفاء النيل

بالجلاء عن البلاد. فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب فبعث اليه ببطاقة أمره أن يلقيها في النيل قبل يوم الصليب (وهو أحد أعياد الأقباط ويوافق ١٧ توت ويعد أنسب الأوقات لزراعة البرسيم المبكر).

ولما فتح عمرو بن العاص البطاقة اذا فيها: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر المبارك. أما بعد. فان كنت تجري من قبلك فلا تجر. وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله الواحد القهار أن يجريك". فألقى عمرو بن العاص البطاقة في مجرى النيل دفعة واحدة في ١٦ توت وارتفع الماء فيه ست عشرة ذراعاً وأعرض المصريون عن الجلاء بعد أن تهيأوا له.

ويقول فريق آخر من المؤرخين أن أصل فكرة عروس النيل هو أن المصريين القدماء كانوا يقدسون النيل ويقيمون له التماثيل المختلفة. وكان في جزيرة فيلة هيكل لا تزال آثاره باقية يحتفل القوم فيه كل عام بهذا العيد وذلك بإلقاء الحلي أو القطع الذهبية التي يصيغونها في هيئة خواتم تكريماً لهذا النهر الاله. بينما يقول البعض الآخر أن المصريين كانوا يلقون في كل عام عروساً من الذهب أو البرنز أو الفخار وقت الفيضان حتى تكثر خيراته.

ويصور أمير الشعراء أحمد شوقي هذه الرواية في الأبيات الآتية:

في كل عام درة تلقى بلا	ثمن اليك وحرة لا تصدق
حول تسائل فيه كل نجيبة	سبقت اليك متى يحول
والمجد عنه الغانيات رغيبة	يبغي كما يبغي الجمال ويعشق
ان زوجوك بهن فهي عقيدة	ومن العقائد ما يلب ويحمق
زفت إلى ملك الملوك يحثها	دين ويدفعها هوى وتشوق
ألقت اليك بنفسها ونفيسها	وأتتك شيقة حواها شيق
خلعت عليك حياءها وحياتها	أأعز من هذين شيء ينفق

وقد ذاعت أسطورة الغاء عروس في النيل جلبا لخيره وخشبة أن يحجب عنهم الفيضان. والواقع أن تلك الأسطورة لا نصيب لها من الصحة. فقد كان المصريون القدماء يقصدون بهذه العروس (أرض مصر) أي أن النيل متى فاض دخل على أرض مصر تشبها بالرجل عندما يلتقى بعروسه يوم الزفاف. ولا يبعد أن يكون هذا المعنى المجازي قد أدى مع

الزمن إلى توهم بعض الناس أن هناك عروساً آدمية تلقى في النيل وكل ما قيل غير ذلك لا يستسيغه العقل. فكيف يبقى للحياة أثر في مصر اذا جف ماء النيل طوال ثلاثة أشهر كما قال (ابن عبد الحكم)؟ كما لا يعقل أن يتدفق ماء النيل بعد ذلك دفعة واحدة وفي ليلة واحدة على أثر أن القيت فيه بطاقة عمر. ثم أن مصر كانت تدين بالمسيحية في عهد عمر بن الخطاب وكانت مسحيتها قبل الفتح الإسلامي بستة قرون و المسيحية تحرم الضحايا البشرية كما أنه لم يحدث في مصر أن ضحى فيها بنفس آدمية لأن الحياة الانسانية أثمن شيء في الوجود.

واذا نظرنا إلى ما خلفه المصريون القدماء من آثار لوجدنا أنهم أقاموا مقاييس للنيل في عدة أماكن يسجلون بها درجات ارتفاعه وانخفاضه ولا زالت بعض هذه الدرجات موجودة على أعمدة معابد الكرنك وادفو وصخور أسوان والنوبة. فلو أنهم كانا يلقون عروسا في النيل ليفيض لأشاروا إليها في سجلاتهم ضمن ما نقشوه على آثارهم من أحداث السنين العجاف والمجاعات التي كانت تصيبهم بسبب انخفاض النيل. كما أن شعراءهم وكتابهم لم يشيروا في قصائدهم وكتاباتهم إلى عروس النيل هذه وأوراق البردي التي دونوا عليها أنباء الفيضان ووصف حفلاته خالية من أية اشارة إلى هذه التضحية.

ومجمل ما عرف في هذا الصدد أنهم كانوا يقيمون حفلاً دينيا كبيراً قرب أسوان لدعوة النيل إلى الفيضان. وقد عثر على ثلاث لوحات لفراعنة مصر رمسيس الثاني ومر نبتاح ورمسيس الثالث في كل منها وصف

شامل لهذا الحفل الباهر. فكانوا يذبحون للنيل على سبيل القربات عجلا أبيض وأوزا وطيوراً ثم يلقون فيه قرطاسا من البردي يدعى فيه النيل للفيضان وكان الكهان يعتقدون أن الكتابة التي على القرطاس لها قوة سحرية.

وظاهر من هذه الوثائق أن القرابين التي كانت تقدم للنيل هي من الهدايا المألوفة ولم يكن بينها فتاة عذراء كما زعم بعض المؤرخين.

النيل والحضارة المصرية:

كان لنهر النيل أثر كبير في الحضارة المصرية اذ ليست هناك أمة تدين بوجودها أو بخصبها كما تدين تربة مصر بوجودها وخصبها للنيل. بل ليس هناك نهر لعب في توحيد واديه وتشابك مصالح سكانه مثل ذلك الدور الذي لعبه نهر النيل في مختلف عصور التاريخ.

والواقع أن النيل بنظامه الخاص في الفيضان قد فرض على المجتمع الزراعي القائم على ضفافه صفتين هامتين هما الوحدة والنظام. اذ لم تكن فائدة النهر قاصرة على تغذية الأرض بالمياه والغرين الذي يجدد الخصب باستمرار وانما واجه الناس بأمرين هما الخطر المشترك والفائدة المشتركة. أولهما ذلك الخطر الداهم الذي يهدد حياة السكان جميعاً وقت الفيضان. فاذا لم تتضافر الجهود في دفع هذا الخطر بتقوية الجسور وحراستها أهلكت مياه الفيضان الحرث والنسل. أما ثانيهما الفائدة المشتركة التي يمكن أن تصيب الناس اذا ما نظموا الافادة من مياه النهر. فالزراعة في مصر لم تكن

من النوع الفطري الذي يعتمد على المطر وانما كانت تستلزم توحيد الجهود وتنظيمها وذلك بحفر الترع وشق القنوات وتنظيم جريان المياه وتوزيعها واقامة الجسور بين الحياض. ومثل هذه الجهود انما بقوم بها سكان كل منطقة كوحدة منظمة وبذلك تعلق السكان بأرضهم منذ أقدم العصور.

ومن أجل هذا حذق المصريون منذ أول عصورهم كثيراً من العلوم والفنون. وكان للنيل الفضل الأكبر في الابتكار والعمل المنتج. فضرورة المحافظة على مجراه والانتفاع بمياهه علمهم هندسة الأنهار وما يتبعها من مسح الأراضي. أما الفيضان فقد أجبرهم على ابتكار المقاييس لضبط سيره وجريانه حتى لا يطفو على الأرض ويمحو معالم الحقول فعلى منسوب المياه في النيل كانت تقدر الضرائب الحكومية. وكانت المراصد التي أقاموها في هليوبوليس قبل فجر التاريخ من أجل ارتقاب نجم "الشعري اليمانية". ويقول علماء الفلك أن هذا النجم كان يظهر في أفق مدينة منف مرة واحدة في السنة قبل شروق الشمس بربع ساعة. وقد اتفق ظهور هذا النجم مع مطلع الفيضان فسمى "سبد" وباليونانية "سوتيس" Sothis ويعرف الآن باسم "سيريوس" Sirius أي المجهز أو المبشر بموسم الزرع وجعل يوم ظهوره بدء السنة الزراعية ويوافق أول توت لذلك رصد الفراعنة النجوم وتتبعوا حركاتها ومن ثم اتسعت دراستهم لعلم لفلك.

الباب الثاني

الحياة الزراعية

وللزراعة فضل كبير في ابتكار العلوم. فالكتابة الهيروغليفية مكونة من عدة رسوم لأشخاص وحيوانات ونباتات وأدوات زراعية وصناعية وحربية وعلمية ومنزلية وغير ذلك.

وبدأ القوم يشيدون الأهرام والمعابد فعمدوا إلى النيل ينقلون بواسطته تلك الأحجار الضخمة التي شادوا بها آثارهم الباذخة الخالدة وهكذا أصبح النيل الشريان الرئيسي للنقل والتجارة الداخلية.

فالنيل هو الذي علم المصريين بناء السفن فبرعوا في صناعتها يركبون بها مياهه إلى البحر فينشرون فيه ومن ورائه من نور الحضارة ما يشاءون ويحملون لبلادهم من أقطار الشرق والجنوب ما يبتغون.

والنيل هو الذي علمهم الحياة ونظمها لهم وجعلها سهلة موفورة الرخاء فأحبوها وأقبلوا عليها وأخذوا بأطرافها ليسموا بها إلى أبعد الآفاق.

وهكذا قامت الحضارة المصرية على أساس ثابت من وحي النيل المبارك الذي مهد السبيل إلى ازدهاد تلك الحضارة التي أنارت العالم.

وبعد. لقد عرفنا نهر النيل منذ فجر التاريخ نهرا مبارك الغدوات ميمون الروحات وعرفنا له الجميل منذ أن عشنا على ضفتيه فكان له في نفوسنا حبا بلغ حد العبادة في حقبة من تاريخنا الطويل وخليق بنا أن نحتفل بوفائه كل عام.

فحمدا لك يا نيل لأنك أردت لمصر الخلود فسعيت لها من أقصى الأرض بالكوثر الفياض. فليكن نيلنا خير الأنهار وسيدها جميعاً. ويلوح ألينا من تاريخه حب الكفاح والوفاء..

نشأة الزرعة

لم تكن ثروة مصر النباتية منذ أقدم العصور شيئاً مذكوراً. فمنذ عصر ما قبل التاريخ كانت تشمل النباتات الطبيعية من أشجار وحشائش ترعاها الماشية والأغنام في شمال الدلتا وكذلك البردي ويعض الحشائش المائية التي استخدمها الانسان في أغراضه المختلفة.

أما عن الثروة النباتية المزروعة فان المصريون القدماء قد استطاعوا أن يزرعوا بعض النباتات التي تنمو طبيعية في الوادي والصحاري المجاورة وعملوا جاهدين على جلب كثير من النباتات الأخرى من الخارج وأضافوها تباعاً إلى ثروتهم وبذا زادوا من تنوعها وجعلوا من بلادهم أرضاً زراعية.

وقد ظهرت الزراعة منذ بداية العصر الحجري الحديث فكانت كشفا جديداً في حياة الانسان وحضارته. فبعد أن كان مجال الحياة أمامه يكاد ينحصر في جمع النبات والتقاط الثمار البرية أو في الصيد والقنص بدأ بزرع الحب ويجنى الحصاد وأصبح يعيش بطريقة انتاجية بعد أن كان يعيش على قوت يومه تحت رحمة الطبيعة وما تجود به عليه.

وقد انفردت أرض مصر بميزة خاصة وهي أن فيضان النيل كان يمدها بالطمي والماء كما كان شريانا للمواصلات والترابط بين سكان الوادي.

وقد عرف أهالي مرمدة بني سلامة والفيوم فنون الزراعة فكانوا أول زراع في التاريخ. ويبدو أن القمح والشعير كانا من أقدم الحبوب المزروعة من وادى النيل. وكان للكتان والكروم والزيتون شأن يذكر في تاريخ المدنية والحضارة. وكانت الدلتا من أوائل المناطق التي غرس الانسان فيها الكروم والزيتون كما عرف التين والنخيل والجميز والسنط وبعض الخضر والبقول.

وخلاصة القول فان سكان وادى النيل كانوا يجددون ثروتهم النباتية ويضيفون اليها باستمرار ما يزيد من انتاجهم وينوع من محاصيلهم.

وقد سارت حضارة البداري نحو تقدم ملحوظ وأدراك أوسع للحياة الزراعية. فقد اضطر أهل تلك البلدة إلى تجفيف المستنقعات ليكسبوا بعض الأراضي الزراعية حتى يسهل ريها بدلاً من الاعتماد على الأمطار التي أدركوا أنها لا تكفي لري الأراضي الصالحة للزراعة.

وهكذا وضعت أسس الزراعة وترعرعت منذ فجر التاريخ حيت تحولت القبائل من الصيد إلى الزراعة وأعانتهم على ذلك الطبيعة الميسرة والبيئة الصالحة. وقد احتلت الزراعة المكان الأول في حياتهم وأضحت سبيلهم إلى العيش.

وقد كانت الزراعة كشفا جديداً في حياة الانسان وترتب على ذلك انقلاب خطير في طريقة معيشته فأصبح منتجا ومدخراً بعد أن كان مستهلكا فحسب. وهكذا انتقلت الزراعة من حالة البداوة إلى استقرار الحياة في مصر اذ عاش الناس في دور ثابتة يجاور بعضها البعض وقامت بذلك القرى والمدن في الأماكن المرتفعة بعيداً عن فيضان النيل، واختلط الناس بعضهم ببعض وظهرت الحاجة إلى تنظيم قواعد ذلك الاختلاط ومعرفة واجبات الفرد وحقوقه وخطا القوم أولى الخطوات في سبيل قيام الحكومة بسن القوانين والخضوع لسلطة مركزية تعمل للصالح العام. وكذلك استلزمت الحياة الزراعية وجود وحدة متماسكة لتنظيم مياه النيل للإفادة منها في استغلال خيرات الأرض فانتظم المصريون في جماعات صغيرة في أول الأمر ثم في امارات واسعة فيما بعد لم نلبث حتى التأم شملها فتكونت متها الحكومات المتحدة.

وقد أدى اكتشاف الزراعة إلى ازدياد ثروة البلاد وحصول المصريين على محاصيل وفيرة فبدأ الناس يكونون ثروات منقولة عن الحبوب التي تدفقت من الحقول.

التقويم الزراعي

كان المصريون يعتمدون على ظهور نجم "سبدت" لحساب تقويمهم شأنهم في ذلك شأن الأمم التي عاصر بهم وهو نفسه نجم "سيريوس" المعروف عند العرب باسم "نجم الشعري اليمانية" ولما كان الشهر القمري تارة تسع وعشرين يوماً وأخرى ثلاثين يوماً فكان يصعب تقسيمه أقساماً متساوية لذا فقد عدلوا عن اتخاذ القمر أساساً لتقويمهم.

وتعتبر مصر من أقدم البلاد التي درست السماء وأدركت أن في تحديد مدة دوران الأرض حول الشمس فائدة كبيرة اعتمدوا عليها في تقسيم الزمن. وقد عرف المصريون القدماء أسرار الأجرام السماوية منذ أقدم العصور وبلغوا عظيماً في علم الفلك قبل اختراع آلات الرصد بآلاف السنين، وبذلك وضعوا أساس التقويم المعروف اليوم بالتقويم القبطي ليسترشد به الفلاح في زراعته ويتخذه نبراسا لشؤونه الزراعية على مدار السنة.

وكان كهان مدينة "أون" (هليوبوليس) أول من عنوا برصد النجوم في مصر وقد اشتهرت هذه المدينة – وكانت مكان عين شمس الحالية – بنفوذها الديني والعلمي وتعتبر أقدم جامعة عرفها التاريخ وقد سميت بهذا الاسم لشهرتها بعبادة الشمس ومن الراجح أن يكون سيدنا موسى عليه السلام قد درس فيها اللغة المصرية القديمة ويهذب بكل حكمة المصريين كما تذكر التوراة.

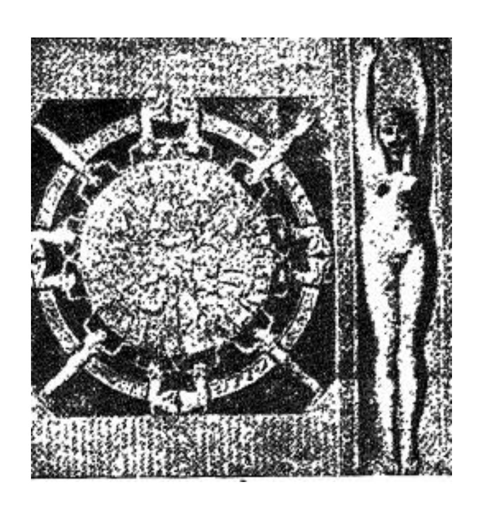
وقد ترك لنا المصريون القدماء نقوشاً لأجزاء من السماء في كثير من القبور والمعابد مثل معبد الرمسيوم بطيبة ومعبد دندرة بقنا وقبر سيتي الأول بطيبة. فنشاهد على الجدران الواقعة على جانبي الدرج المؤدي إلى الجزء العلوي من معبد دندرة من العصر البطلمي صوراً للشمس ومرور المواكب وهي في طريقها إلى سطح المعبد حيث ننعم المعبودة "حتحور" برؤية ابنها "رع" اله الشمس. وكان في احدى الغرف سقف جميل يمثل صوراً فلكية على جانب عظيم من الأهمية ونقل إلى باريس حيث يوجد الآن في متحف اللوفر. وقد طبعت صورة منطقة بروج الشمس على السقف الذي أقم في مكان البرج المنزوع.

ونشاهد لأول مرة في المناظر المصرية تمثيل السماء بشكل دائري وقد ظهرت الأبراج فيها بالأشكال المعروفة عند اليونان والعرب كما هو مبين في الصورة الموجودة على أحد جدران معبد دندرة من العصر البطلمي (شكل ١٠).

ويلاحظ أن معظم بروج الشمس هي أسماء حيوانات. ومن هنا اشتقت الكلمة اليونانية (زودياك) Zoodiac من كلمة Zoo ومعناها الحيوان.

ونشاهد السماء مصورة ببروجها ومجموعات نجومها المختلفة في السقف البديع لقبر سيتي الأول من فراعنة الأسرة التاسعة عشرة ونرى مثل هذه الصور واضحة على سقف البهو الأول لمعبد الرمسيوم الجنائزي.

وتعتبر مصر أول من نظمت فيها الزراعة بمواعيد وأنها سبقت غيرها من الأمم في ضبط الفصول وتحديد السنة. وقد لاحظ المصريون أن نجم "الشعري اليمانية". وهو من ألمع النجوم وأسطعها وكان يعرف عند المصريين القدماء بنجم المعبودة ايزيس – يظهر مرة كل عام في بوم معين فاعتبروا ذلك اليوم رأساً للعام وكان ذلك نحو عام ٤٢٣٦ قبل الميلاد. وكانوا يسمون كل سنة بحادث عام ذي صفات مميزة جرى



(شكل ١٠)

أبراج الشمس وقد مثلت السماء بشكل دائري وفي هيئه أمراه عارية.. معبد دندرة – العصر البطلمي

فيها واعتبروا السنة ثلثمائة خمسة وستون يوماً قسموها إلى اثنى عشر شهراً بأسماء معبوداتهم كانت تقام فيها الأعياد. وكل شهر مكون من ثلاثين يوماً وزعوها على ثلاثة فصول كل منها مكرن من أربعة أشهر

قسموها بحسب الثلاثة الأقسام الرئيسية في الزراعة المصرية وتتفق الفصول مع حركان مياه النيل وكانت دليلاً زراعياً لهم.

فصول السنة:

وقد عثر على لوحة على أحد جدران قبر "مرروكا" بسقارة من الأسرة السادسة تمثل فصول السنة وهي:

الفصل الأول وهو فصل الفيضان حتى تغمر المياه الأرض كان يسمى "أخت" ويوافق أشهر نوت وبابة وهاتور وكيهك ويبدأ من منتصف يونيو حتى منتصف أكتوبر. وقد رمز له بالعلامة الهيروغليفية "نفر" أي أنه فصل الجمال.

والثاني وهو فصل البذر وبدء الزراعة كان يسمى "برت" ويتميز بظهور الأرض بعد انحسار مياه الفيضان ويقع الجانب الأكبر منه في الشتاء ويبدأ من أواسط اكتوبر حتى نهاية فبراير. وقد رمز له بالعلامة الهيروغليفية "حتب" أي أنه فصل الخير والعطاء.

والثالث وهو فصل الحصاد كان يسمى "شمو" ويوافق أشهر بسنس وبؤونة وأبيب ومسرى ويبدأ من فبراير حتى يونيو – وقد رمز له بالعلامة الهيروغليفية "عنخ" أي أنه فصل الحياة (شكل ١١).

وكانت سنتهم في بادئ الأمر مكونة من ثلثمائة وستين يوماً إلا أنهم لما حسبوا الفترة بين ظهور الشعري اليمانية مرتين متتاليتين وجدوها ثلثمائة

وخمسة وستين يوماً فعدلوا حساب السنة وأضافوا خمسة أيام جعلوها بين آخر كل سنة والسنة الجديدة التي تليها وسموها (الخمسة أيام الزائدة عن السنة) وجعلوها في نهاية العام وكانت تعتبر الأيام التي ولدت فيها الآلهة أوزيريس وايزيس وست ونفتيس وحوريس كما اعتبرت عيداً يحتفلون به في نهاية كل عام. وقد سماها الفرس عند مجيئهم إلى مصر (النسئ) فكانت السنة بحالتها هذه تتأخر يوماً واحداً كل أربعة أعوام عن السنة اليوليانية (نسبة إلى يوليوس قيصر) ومقدارها ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع. وابتداء من العصر الفارسي سميت الأشهر بأسماء مازالت باقية حتى اليوم – وفي عهد الامبراطور الروماني يوليوس قيصر– أصلح التقويم بإضافة يوم كل أربع سنوات ثم نقل من مصر إلى روما وانتشر بعد ذلك بأسماء جديدة في أوربا والعالم.

وتبدأ السنة الزراعية باليوم الأول من سهر توت – ويوافق أحياناً ١١ سبتمبر وأخرى ١٢ سبتمبر في التقويم الجريجوري – وقد سمى المصريون القدماء أول نوت برأس السنة أو اكليل السنة. ولما جاء الفرس سموه (نوروز) أو (نيروز) ومعناه باللغة الفارسية (يوم جديد).

ولكل شهر من هده الأشهر أمثلة سائرة تتفق وطبيعة العمليات الزراعية أو التغييرات الجوية يتناقلها الخلف عن السلف من الفلاحين. وقد جعل الأقباط بدء تاريخهم في أول توت عام ٢٨٤ ميلادية وسموه (عصر الشهداء) تذكاراً للذين استشهدوا في عهد الامبراطور دقلديانوس.

الأشهر الزراعية:

وفيما يلي الأشهر الزراعية والأمثلة الدارجة التي مازالت مستعملة حتى اليوم ويظن أن القوم ينطقونها بأسمائها التي بقيت في اللغة القبطية.

توت:

(ويبدأ من ١١ سبتمبر إلى ١٠ أكتوبر) ومعناه شهر الاله "توت" ويرمز له بالطائر المقدس أبو منجل "ايبس" الذي يأتي في بدء السنة الزراعية مبشراً الفلاح ببدء الزراعة وكان يعتبر الها للعلم والحكمة والمعرفة (شكل ١٢) ويقول المثل العامي: (توت ري ولا فوت) أي أن الزارع الذي لا يستطيع ري أرضه في هذا الشهر لا يستفيد بزراعتها كما يقول العامة" (توت حاوي) أي أن الحاوي بتكلم عن علم ومعرفة بلسان الاله "توت"!.

(ويبدأ من ١١ أكتوبر إلى ٩ نوفمبر) ومعناه شهر "آبة" أي عيد الاله آمون في طيبة. ويقول المثل العامي: (بابة خش واقفل الضرابة) اشارة إلى قفل (الضرابة) اتماء من البرد.



لوحة تمثل فصول السنة. (شكل ١١) قبر "مرروكا. سقارة – الأسرة السادسة.



(شكل ١٢) الآله "تحوت" رب العلم

هاتور:

(ويبدأ من ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر) ومعناه شهر "حتحور" آلهة الخصب والجمال. ويقول المثل العامي: (هاتور أبو الدهب المنور) كناية عن زراعة القمح الذي نشبه حبوبه الذهب.

(ويبدأ من ١٠ نوفمبر إ

كيهك:

(ويبدأ من ١٠ ديسمبر إلى ٨ يناير) ومعناه شهر "كاهاكا" أي اجتماع الأرواح وهو أحد الأعياد القديمة. ويقول المثل العامي: (كياك صباحك مساك شيل ايدك من غداك وحطها في عشاك) اشارة إلى قصر النهار في هذا الشهر وطول ليله وقد اعتاد الفلاح أن يتناول فيه وجبتين من الطعام.

طوبة:

(ويبدأ من ٩ يناير إلى ٧ فبراير) ومعناه الأعلى أو الأسمى وهو عيد القمح ويقول المثل العامي (طوبة تزيد فيه الشمس طوبة) اشارة إلى طول النهار بمقدار طوبة ويشتد فيه البرد.

أمشير:

(ويبدأ من ٨ فبراير إلى ٩ مارس) ومعناه شهر "أمشير" اله الريح والعواصف ويقول المثل العامي: (أمشير أبو الزوابع الكتير يأخد العجوزة ويطير) اشارة إلى كثرة الزوابع.

برمهات:

(ويبدأ من ١٠ مارس إلى ٨ إبريل) وينسب للفرعون أمنحتب ويقول المثل العامي: (برمهات روح الغيط وهات) كناية عما يجمعه الفلاح من المحاصيل الزراعية التي تنضج في هذا الشهر.

برمودة:

(ويبدأ من ٩ أيريل إلى ٨ مايو) ومعناه شهر "رنودة" أو "رنوتة" الهة الحصاد ويقول المثل العامي: (برمودة دق بالعمودة) أي دق سنابل القمح والشعير بعد نضجها و فصل الحبوب عن أغلفتها بالعصا الغليظة.

بسنس:

(ويبدأ من ٩ مايو إلى ٧ يونيو) ومعناه شهر "خنسو" اله القمر ويقول المثل العامي: (بشنس يكنس الغيط كنس) اشارة إلى خلو الأرض من المحاصيل بعد حصادها.

بؤونة:

(ويبدأ من ٨ يونيو إلى ٧ يوليو) ومعناه شهر "بأوني" وهو وادي الحجارة بطيبة أي عيد جبانة وادي الملوك. ويقول المثل العامي: (بؤونة نقل القمح وتخزينه للمؤونة) اشارة إلى درس القمح في هذا الشهر وتخزين المقدار المخصص للمؤونة كما يقال (بؤونة الحجر ينشف الميه في الشجر) كناية عن شدة الحرارة في هذا الشهر.

وكانت ليلة ١١ بؤونة – ١٧ يونيو – توافق نزول (النقطة) فتميل مياه النيل إلى الخضرة وتكون بشيراً ببدء الفيضان.

أبيب:

(ويبدأ من ٨ يوليو إلى ٦ أغسطس) وهو عيد الالهة "أبيبي" ومعناه فرح السماء فقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن الاله "حوريس" انتقم فيه لأبيه " أوزيريس" الذي يمثل الخير من عدوه "ست" اله الشر الذي يمثل الأرض الجدباء أي انتصار الخير على الشر أو الفيضان ضد التحاريق. ويقول المثل العامي: (أبيب فيه العنب يطيب) و (أبيب ماء النيل يدب فيه دبيب) أي يزداد فيه ماء الفيضان المتدفق بصوته ورنينه.

مسرى:

(ويبدأ من ٧ أغسطس إلى ٥ سبتمبر) وأصله "مس را" ومعناه ابن "رع" اله الشمس ويقول المثل العامي: (مسرى تجرى فيه كل ترعة عسرة) و (ان فاتك مسرى ما تلقاش ولا كسرة).

أساليب الزراعة

كانت مصر تبدو مهددة بالخطر اذا كان الفيضان منخفضاً. فالنيل يفيضانه يكسب الأرض خصباً ولا يمكن للزروع أن تنبت الا في الأماكن التي تغمرها المياه على حين أن الأراضي التي لا تصل اليها هذه المياه تبقى جدباء.

فاذا ما انقضى موسم الفيضان وانتهت معه مصاعب الري بالشادوف بدأ بعد ذلك العمل المضني للفلاح. فقد انحسر الماء وظهرت الحقول وأن أواني حرثها واختفت الحرارة المختلطة بالرطوبة التي كانت تجعل الحركة مضنية للإنسان والحيوان طوال الصيف.

وقد عني المصريون القدماء بتصوير كل ما يتعلق بالزراعة على جدران قبورهم فلم يتركوا لوناً من ألوانها ولا آلة من آلاتها ولا حيواناً من حيواناتها ولا نباتاً من نباتاتها ولا أثراً من آثارها دون أن يبرزوه في مبرر متتابعة من حياتهم اليومية. وكانت طريقتهم في ذلك تشبه ال حد كبير ما هو متبع في بلادنا اليوم.

تمهيد الأرض واعدادها للزراعة:

عقب انخفاض مياه الفيضان كان الفلاح يشرع في تمهيد الأرض واعدادها للزراعة وكان ذلك يتطلب شق الترع والقنوات تتخللها والسهر على سلامتها.

الحرث:

كان الفلاح يقوم بعد ذلك بحرث الأرض وتفتيت ما على سطحها من كتل الطمي الكبيرة وقد استعمل الأبقار والثيران لهذا الغرض.

ونشاهد على أحد جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى صورة تمثل حرث الأرض وعزقها بينما العمال يتبادلون الحديث مع بعضهم أثناء العمل كخلفهم المصريين الحاليين (شكل ١٣).

وهناك صورة أخرى على أحد جدران قبر "نخت" بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل الحرث وقلع الحشائش وتقطيع الأشجار ويشاهد صاحب الضيعة في عريشة وأمامه ما أنتجته الأرض من خير وفير (شكل ١٤).

وكانت عملية الحرث يصاحبها ذلك الصياح الذي يتميز به المصريون في أعمالهم فنشاهد أحد العمال يحث زميله قائلاً: "اضغط على المحراث وشد بيدك عليه" ثم يصرخ في ماشيته صائحاً "شد بقوة". واذا ما

وصل إلى آخر الحقل واضطر إلى السير في اتجاه مضاد يصيح في ماشيته "استديري.

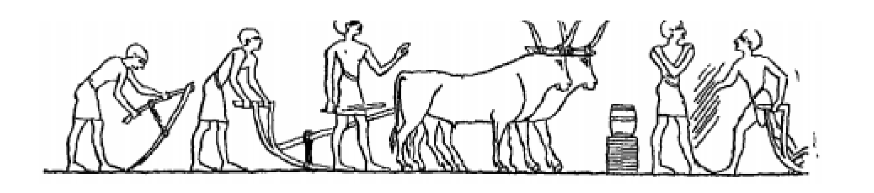
ونشاهد على أحد جدران قبر "باحري" بالكاب (قرب ادفو) من الأسرة الثامنة عشرة صورة تمثل ثراناً تجر المحاريث وقد نقش أعلاها: "هذا يوم جميل". هواؤه بارد. والثيران تجر المحراث. ولا عجب فالسماء صحو تسر قلوبنا". ويصيح الحارث في زميله قائلاً: "أسرع أنت إلى المقدمة وسق الثيران. أنظر أن الأمير يراقبنا" كما نشاهد أحد الصبية وهو يبذر الحب ويحثهم "باحري" على العمل السريع قائلاً: "أسرعوا أن الحقول معطلة والفيضان شديد". فيجيبه أحد العمال: "أننا نعمل. أنظر الينا لا تخف على الحقول فهي في حالة رائعة" بينما يقول عامل آخر: "ما أطيب ملاحظتك يا بني. عام كله خر عميم. لا يشوبه قحط. ومحصوله وفير والعجول بالغة الجودة".

التسميد:

كان القوم يستخدمون روث البهائم في صناعة السداد البلدي الذي يفيد في نمو النبات ومده بالعناصر الغذائية ويساعد على وفرة محصول الارض.

ويعتبر زرق الحمام (الزبل) أجود أنواع السماد بسبب غناه ووفرته وحرارته فهو يفيد الأرض الضعيفة ويقويها ويساعدها على نمو ثمرها. ويمكن أن يقال أن روث جميع الحيوانات نافع لنمو النبات.

ويذكر (بليني) أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون سماداً أزوتيا خاصا يذرونه في الأرض المراد تسميدها فتزداد خصبا وأن استعماله كان قاصراً على بعض الخضر، وكان المصريون يرون أن الطمي المترسب له من صفات الخصب ما يغنى عن أجود أنواع السماد.



(شكل ١٣) حرث الأرض وعزقها. ويشاهد أحد العمال وهو يفتت كتل الطمي الكبيرة بعد مرور المحراث عليها. أحد قبور بني حسن – عصر الدولة الوسطى (عن ولكنسون)



(شكل ١٤) الصف العلوي يمثل فتاتين تجمعان السنابل وعاملين يجمعان الحصيد في شبكة وفتاة تجمع الساقطة من الحب في سلة بينما العمال يمسكون مناجل في أيديهم والسفلى تمثل عاملاً يقوم بحرث الارض وآخر بتقليع الحشائش وقطع الأشجار. ويشاهد "نخت" وقد جلس في عريشه يشرف على ما انتجته الأرض من خير وفير.

قبر "نخت" بطيبة – عصر الدولة الحديثة

العزق:

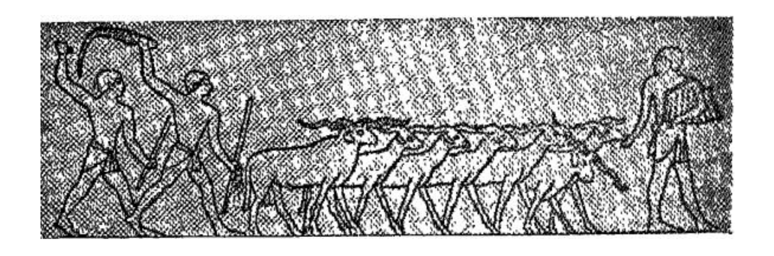
ويقوم الفلاح بعد ذلك بعزق الأرض بالفأس واذا بقيت مياه الفيضان مدة طويلة ولم تجف الأرض تماماً فيكتفي في هذه الحالة بعزقها عزقاً خفيفاً.

البذر:

ثم تبدأ عملية البذر ويقوم بها عمال يحملون جعب البذور في أيديهم أو يعلقونها على أكتافهم وينثرون الحب ثم يطلقون الأغنام التي تدوسها بأظلافها فتدفعها في ثنايا الأرض.

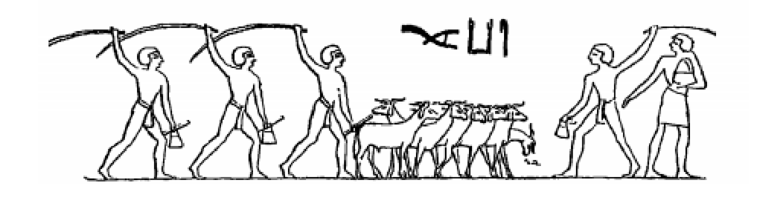
ونشاهد على أحد جدران قبر "تي" بسقارة من الأسرة الخامسة قطيعاً من الضأن يدوس ما على الأرض من حب بأظلافه ليدفعه في ثناياها (شكل ١٥) كما نشاهد على أحد جدران القبور قرب الأهرام صورة "تمثل الماعز وهو يدوس الحب بأظلافه عند بذرها في الحقل من جعب يحملها عمال (شكل ١٦).

وكانت قطعان الضأن يسوقها أحياناً عمال يستحثونها بالسياط ليحفظوا بها نظام سيرها ويمنعونها من اكل الدراس. وأحياناً أخرى يتقدم القطعان عامل يغريها بما يقدم لها من علف فتتبعه ومن ورائه القطيع جميعاً. وكان القوم يعبرون عن هذه العملية بقولهم: "نحرث الحقل مرة بواسطة الضأن".



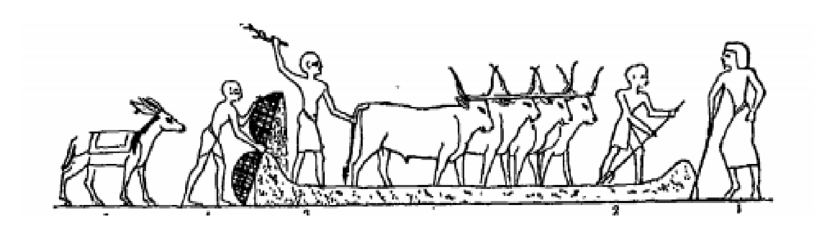
(شكل ١٥)

قطيع من الضأن يدوس الحب بأظلافه ليدفعه في ثنايا الأرض .. قبر "تي" بسقارة – الأسرة الخامسة



(شكل ١٦)

الماعز يدوس الحب بأظلافه عند بذرها في الحقل من جعب يحملها عمال... أحد القبور قرب أهرام الجيزة.. عصر الدولة القديمة . (عن ولكنسون)



(شكل ١٧)

رئيس العمال يراقب القاء سنابل القمح ومرور الثيران عليها لتدوسها بأظلافها وتدفعها في ثنايا الأرض. ويشاهد أحد العمال وقد أفرغ سلال القمح التي حملها حمار واقف خلفه بينما الثيران قد ربطت معا بالنهر حتى تسير بانتظام (عن ولكنسون)



(شكل ١٨)

عامل يضع الحب في جعبة البذور وآخر يقوم ببذره بعد عملية الحرث.. أحد قبور طيبة (عن ولكنسون)

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبور طيبة تمثل رئيس العمال وهو يراقب القاء سنابل القمح ومرور الثيران عليها لتدوسها بأظلافها وتدفعها في ثنايا الأرض. ويشاهد أحد العمال وقد أفرغ سلال القمح التي حملها حمار واقف خلفه بينما الثيران قد ربطت معاً بالنير حتى تسير بانتظام (شكل ١٧)كما عثر على صورة أخرى على أحد جدران قبور طيبة تمثل عاملاً يضع الحب في جعبة البذور وأخر يقوم ببذره بعد عملية الحرث (شكل ١٨).

وقد استخدمت الخنازير أيضاً بدلاً من الضأن لتدوس الحب وتدفعه في ثنايا الأرض كما يبدو ذلك في صورة عثر عليها على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة وقد روى "هردوت" أنه شاهد تلك العملية أثناء اقامته في مصر (شكل ١٩).

مسح الأرض:

كان المصريون يستخدمون الحبل ذا العقد لمعرفة مساحة الأرض التي كانت تعتبر أساساً في تقدير الثروة الزراعية في مصر توطئة لجباية الضرائب عليها من جهة وللتأكد من عدم التلاعب في الحدود من جهة أخرى ونشاهد في احدى الصور فلاحاً في حقله وقد نقش بجواره القسم الآتي: "أقسم بالله العظيم رب السموات أن الحدود الصحيحة في مكانها" كما نشاهد على أحد جدران قبر "منا" بطيبة من عصر الدولة الحديثة صورة "تمثل عملية المساحة يجريها المساحون بحبل ذي عقد (شكل ٢٠).

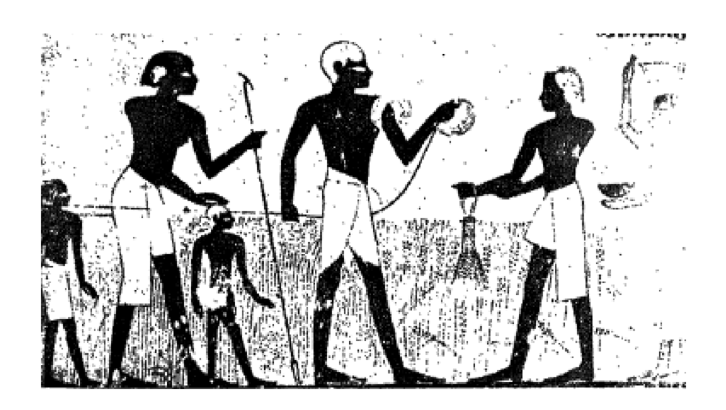
الحصاد:

ويظل القوم يرعون الزرع حتى ينمو ويترعرع ويزيد ارتفاعه على طول الانسان. فاذا ما استوى على ساقه وحان حصاده بدأوا بقطع السنابل مع أجزاء صغيرة من السيقان إلى ما يعلو ركبة الانسان. وهناك ما يثبت أن المصريين القدماء كانوا يتركونها إلى أعلى من هذا في عصر الدولة الحديثة.

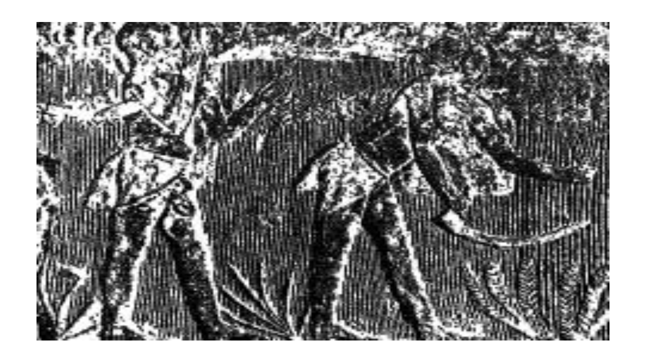
وتوجد صور كثيرة من موسم الحصاد. ففي احداها نشاهد على أحد جدران قبر "مرروكا" بسقارة من الأسرة السادسة تمثيل الحصادين وقد أخذوا يعملون بالمناجل وبينهم عازف يعزف على المزمار يطربهم ويسرى عن نفوسهم (شكل ٢١) كما نشاهد صورة أخرى من نفس القبر تمثل مغنيا يذيع الطرب والسرور في جو العمل المرهق وتلك صورة مألوفة من ميادين العمل مازلنا نشهدها في بلادنا حتى اليوم (شكل ٢٢). ويضم



(شكل ١٩) قطعان الخنازير تدوس ما على الأرض من حب لتدفعه بأظافرها في ثنايا أحد قبور طيبة – عصر الدولة الحديثة



(شكل ٢٠) مساحة الأرض يجريها المساحون بحبل ذي عقد .. قبر "منا" بطيبة – عصر الدولة الحديثة



(شكل ٢١) صورة من موسم الحصاد تمثل مغنياً يذيع الطرب والسرور في جو العمل المرهق. قبر "مرروكا" بسقارة – الأسرة السادسة



(شكل ٢٢).. الحصادون يعملون بالمناجل وبينهم عازف يعزف على المزمار يطربهم ويسرى عن نفوسهم قبر "مرروكا" بسقارة – الأسرة السادسة

المحصول بعد ذلك ويربط حزماً ويعبأ في غرائر كما يشاهد ذلك في صورة وجدت على أحد جدران قبر "تي" بسقارة من الأسرة الخامسة (شكل ٢٣) ثم يحملها العمال على ظهور الحمير إلى الجرن. ويبدو ذلك واضحاً في الصورة التي عثر عليها على أحد جدران قبور الشيخ سعيد من عصر الدولة القديمة (شكل ٢٤). أما باقي النبات فكان يقتلع بالأيدي ويربط حزماً ويقدم علفاً للماشية.

وتوجد على أحد جدران قبور طيبة صورة من موسم الحصاد تمثل عاملاً يحصد القمح وآخر يحمل السنابل بينما يقوم الثالث بضم المحصول وربطه حزما (شكل ٢٥).

واذا ما وصلت الحمير إلى الجرن تلقى أحمالها على الأرض ثم تضاف إلى الكومة العالية من الحصاد بأن يقذف بكل ربطة فتستقر في أعلاها ويقوم أحد العمال بجمع الساقطة من سنابل القمح.

الدراس

ويبدأ بعد ذلك نقل المحصول فكان العمال يسوقون قطيعاً من الحمير المحملة في طريقها إلى الجرن. وإذا ما اقتربوا من مكان الحصاد نشاهد حماراً وقد جمح ولم يقبل الاقتراب من حمله فيسرع العامل إلى شده من ساقه واحدى أذنيه على حين يضربه الثاني بعصاه صائحاً: "اجر قدر استطاعتك" وبذلك يجبرانه على الخضوع.

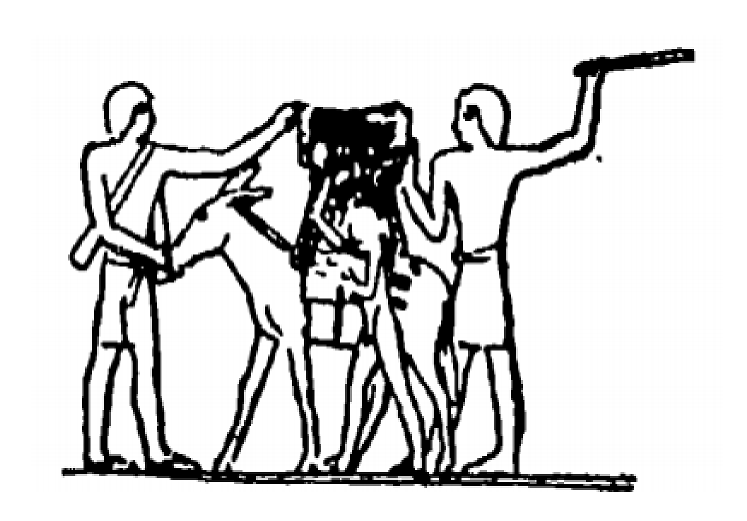
وكان الجرن مكاناً فسيحاً مستديراً عبدت أرضه حيث تنشر فيه سيقان القمح. وكان العمال يسوقون الحمير فتدرس الحصيد ليخلص الحب من سنابله. ويعتبر الحمار غالباً هو الحيوان المستخدم لهذا الغرض في عصر الدولة القدية (شكل ٢٦) كما استخدمت البقرة أو الثور أحياناً ونشاهد ذلك في صورة من احدى قبور طيبة. وابتداء من الأسرة السادسة كأن العمل قاصراً على استخدام الأبقار أو الثيران فحسب بسبب ثقل أجسامها وتركيب أظلافها.

وقد عثر على أغنية على أحد جدران قبر "باحري" بالكاب تقول: "أدرسي أيتها التيران فان التبن سيكون علفا لك. والحب من نصيب أسيادك. فليطمئن قلبك ان الوقت صحو جميل".

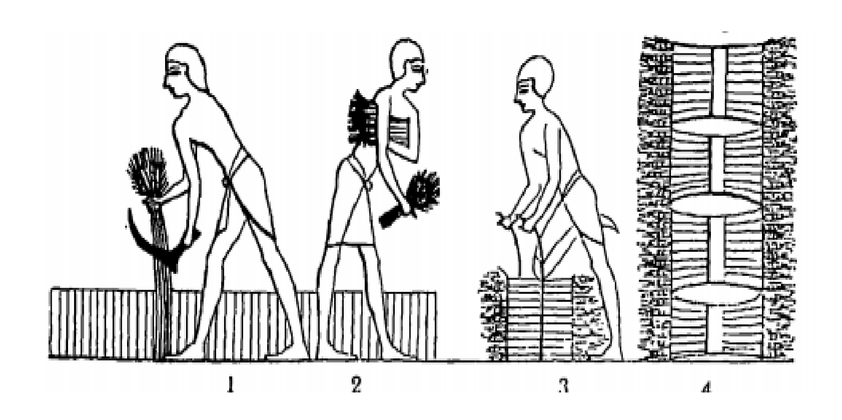
وكانت عملية الدارس يلزمها عشرة حمير أو ما بين ثلاثة ثيران وأربعة تساق وتدور في شكل دائري فوق الجرن. ونشاهد ثورين وقد ربطت



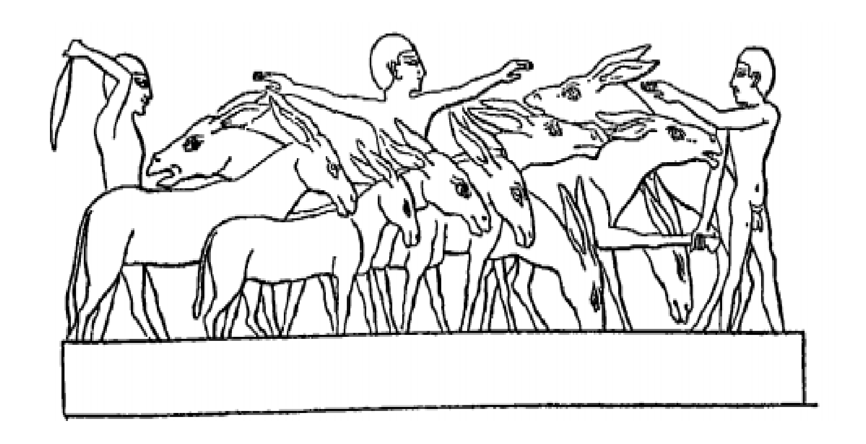
(شكل ٢٣).. ضم المحصول وربطه حزماً وتعبئته في غرائر ليحملها العمال على ظهور الحمير.. قبر "تي" بسقارة – الأسرة الخامسة



(شكل ٢٤) .. نقل الحصيد إلى الجرن بعد أن عبئ في غرائز شبكية (أشناف) على ظهور الحمير.
أحد قبور الشيخ سعيد – عصر الدولة القديمة



(شكل ٢٥) .. عامل يحصد القمح وآخر يحمل السنابل بينما يقوم الثالث بضم المحصول وربطه حزماً أحد قبور طيبة (عن ولكنسون)



(شكل ٢٦).. عملية الدراس وتشاهد فيها الحمر وهي تدوس الحصيد ليخلص الحب من سنابله. عصر الدولة القديمة.

قرونها في من الخشب لكي نصبح خطواتهما متناسقة وثابتة ويمنعهما من الأكل أو الجنوح. وكثيراً ماكان الفلاحون يستعينون بعصيهم وسياطهم وصياحهم ولا غرابة في ذلك، فالحمار حيوان عنيد. فمثلاً نشاهد على أحد جدران القبور حماراً قد أصر على السير في اتجاه مضاد بينما الآخر

قد تسمرت قدماه فلا يتزحزح من مكانه فيضطر سائقه إلى القبض على ساقه الأمامية ودفعه إلى السير على الجرن. وكثيراً ما نشاهد الثور أو الحمار قد رسم وهو يلتهم بعض السنابل.

واذا ما انتهت عملية الدراس جمع التبن في كومة عالية بمذارة من الخشب ذات أسنان ثلاث ويشاهد عاملان وقد تسلقا الكومة ليزيداً من حبكتها.

التذرية:

ثم تبدأ عملية تذرية الحبوب من التبن وما علق بها من قاذورات. وقد كان يعهد بها إلى النساء غالباً لأن العملية على سهولتها تحتاج إلى صبر ومثابرة، فنشاهدهن يقمن بها وقد عقدت على رؤوسهن عصائب من كتان تفيها حرارة الشمس وتحميها من الغبار ويستخدمن لذلك مذاري من الخشب قليلة التقوس تشبه راحة اليد (الكف) يملن بها على المدروس ثم يعتدلن رافعات أذرعهن إلى أعلى فيتساقط القمح مع التبن الذي تذروه الرياح في حين تحمل الرياح التبن والمواد الأخرى بعيدة عن الحب كما يشاهد ذلك على أحد جدران قبر "نخت" بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة (شكل ٢٧).

وكانت أعمال التذرية في عصر الدولة الحديثة تثير غباراً كثيفاً وكان الرجال أحياناً يقومون بالتذرية (شكل ٢٨) فاذا ما انتهوا من عملهم غرسوا مذاريهم وأدواتهم في كومة القمح التي يذرونها ثم لجأوا إلى مكان

ظليل ليستريحوا فيه بعد أن يتركوا أحد الصبيه يطرد الطيور الذي قد تأكل بعض الحب كما يفعل الفلاح اليوم. وكانوا يعمدون إلى تعليق قرب على أغصان الأشجار ليبرد ما بها من ماء يطفئون يه ظماهم كما يشاهد ذلك في الصورة التي عثر عليها على أحد جدران قبر "نخت" بطيبة (شكل ٢٩).

ومن حين لآخر كان يسمح باستراحة قصيرة ينتهزونها في تناول طعامهم ثم يتناولون جرعة من الجعة يشربونها في أناء من الفخار يشبه (القلة) لا يلبث أن يتنقل اليهم من يد إلى أخرى.

الغربلة والكيل وتسجيل المحصول:

وتقوم النساء بعد ذلك بتكويم القمح وغربلته بغرابيل مربعة حتى يتم تنقيته من التبن ثم يكال القمح ويسجل "كاتب حسابات الغلال" الذي يقبع على قمة الكومة مقدار المحصول في لفائف من ورق البردي.

ونشاهد على أحد جدران قبر "منا" بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة صورة تمثل عملية الكيل وقد انحنى بعض العمال بمكاييلهم يغترفون بها الحب بينما "كتبة الزراعة" يحاسبون ويسجلون المحصول (شكل ٣٠).

التخزين وصوامع الغلال:

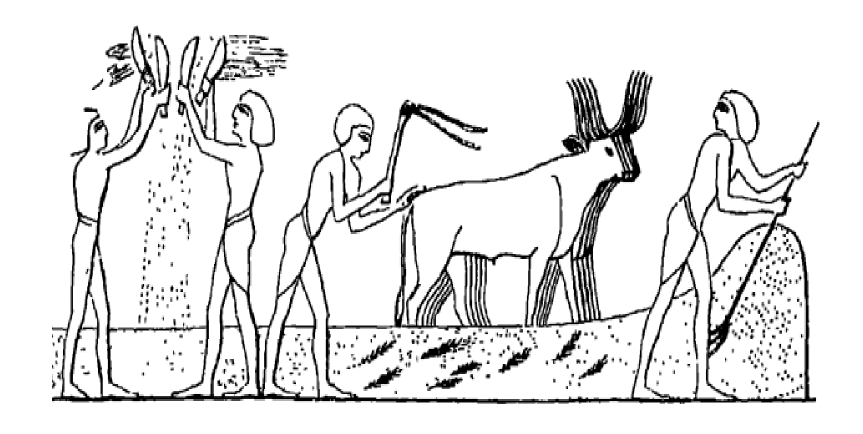
كان العمال يعبئون القمح في غرائز ويحملونه إلى صوامع الغلال. وكانت مصر تعتبر مخزناً لتموين الشرق القديم تلجا اليه الاقطار المجاورة

لإمدادها بما تحتاج اليه من القمح ويبدو ذلك جليا في قصة السنوات السبع العجاف التي جاء ذكرها في الكتب المقدسة خلال سيرة سيدنا يوسف عليه السلام.

وقد عرف المصريون القدماء تحميص الحبوب قبل خزنها وذلك بوضعها في أوان من الفخار تقام على أفران تحمى بالوقود لدوجة خاصة لتطهيرها من الحشرات وتخليصها من الرطوبة. ومعنى ذلك أنهم قد فطنوا إلى تأثير الحرارة في تطهير الحبوب المخزونة.



(شكل ٣٧) .. عملية التذرية تقوم بها نسوة جعلن على رؤوسهن مناديل تقيهن الحر وتحفظ رؤوسهن من الغبار.. قبر "نخت" بطيبة – الأسرة الثامنة عشرة



(شكل ٢٨) .. صورة أعمال الدراس تمثل أكوام الحصيد يستنزل العامل منها بشوكة – تشبه المذراة التي يستعملها الفلاح اليوم – ما تدوسه الأبقار. ويشاهد عاملان يقومان بأعمال التذرية.. أحد قبور طيبة (عن ولكنسون)



(شكل ٢٩) عامل يروي ظماه من قربة بها ماء معلقة في شجرة جميز.. قبر "نخت" بطيبة – الأسرة الثامنة عشرة



(شكل ٣٠) .. العمال يكيلون بمكاييلهم يغترفون بها الحب بينما كتبة الزراعة يحاسبون ويسجلون المحصول.. قبر "منا" بطيبة — الأسرة الثامنة عشرة

وقد تنوعت وسائل الخزن على مر العصور. ودلت حفائر البداري والفيوم والمعادي من العصر الحجري الحديث على دراية المصريين القدماء بطرق الخزن بالمكامير، وهي اختيار مرفع من الكثبان الرملية تحفر فيه حفر يبطنونها بالقش والطمي أو بأنواع مختلفة من السلال المصنوعة من الغاب لها أغطية مجدولة توضع فيها الغلال ثم تغطى بطبقة أخرى من القش وتهال عليها الرمال. ولقد بقيت حفر الغلال سليمة بمحتوياتها زهاء سبعة آلاف عام حتى امتدت اليها يد العبث في عصرنا الحال فأخرجت منها الحبوب وقد وجدت سليمة كما تركها أجدادنا منذ آلاف السنين.

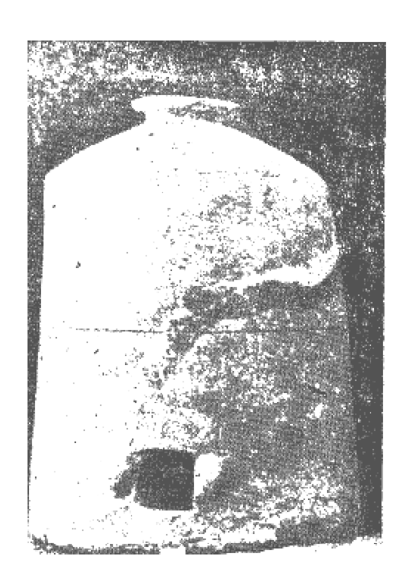
ومن عجب فان هذه الطريقة مازالت مستخدمة حتى اليوم في واحات الصحراء الليبية ولاتزال بعض القرى المصرية تستخدم طريقة المكامير في خزن الفول بصفة خاصة.

ولم تكن الحفر هي المكان الوحيد الذي حفظت فيه الحبوب. فقد وجد بعضها في السلال والأواني الموضوعة في القبور. وعثر في حالات أخرى على نماذج صغيرة بديعة لصوامع مليئة بالقمح والشعير فقد كان القوم يعرفون الطريقة الصحيحة لأنشاء الصوامع في هذا العصر كما عثر على صوامع صغيرة من الطين كانت تستخدم لخزن الحبوب في منطقة البداري.

ثم تطور الأمر فكان التخطيط الهندسي لأبنية الصوامع متشابها في جميع العصور. فكانوا يشيدونها من الطوب النيء الذي مازال يعتبر من أفضل المواد العازلة إلى اليوم وهي عبارة عن أبنية مخروطية الشكل يبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار وقطرها مترين وفي قمتها فتحة صغيرة لملئها بالحبوب ثم تفريغها بواسطة باب صغير في أسفلها يترك مغلقاً دائماً خشية دخول الفئران إليها. فلقد كانوا يعلقون أهمية كبيرة على الاحتفاظ بالغلال سليمة كاملة دون أن يتبدد شيء منها اذ كانت الحبوب في ذلك الوقت كالمال وكان مخزن الغلال كنزاً لا يقدر بثمن.

وقد عثر في حفائر حلوان من الأسرة الأولى على نماذج من الفخار لصوامع الغلال تشبه نظام (السيلو) الحالي (شكل ٣١). وقد استخدم نوع آخر من الصوامع عرفناه من النماذج المصنوعة من الخشب أو الفخار وقدمت للمتوفي كجزء من الأثاث الجنائزي وضح معه في قبره. وهذه الصوامع ذات سقف مسطح وحيثما يوجد عدد منها في صعيد واحد

تشترك كلها في هذا السقف. الذي يصل اليه الانسان بدرج وهو أيضاً مكان صالح لكاتب الصوامع يشرف منه على ملاحظة عدد الغرائر التي



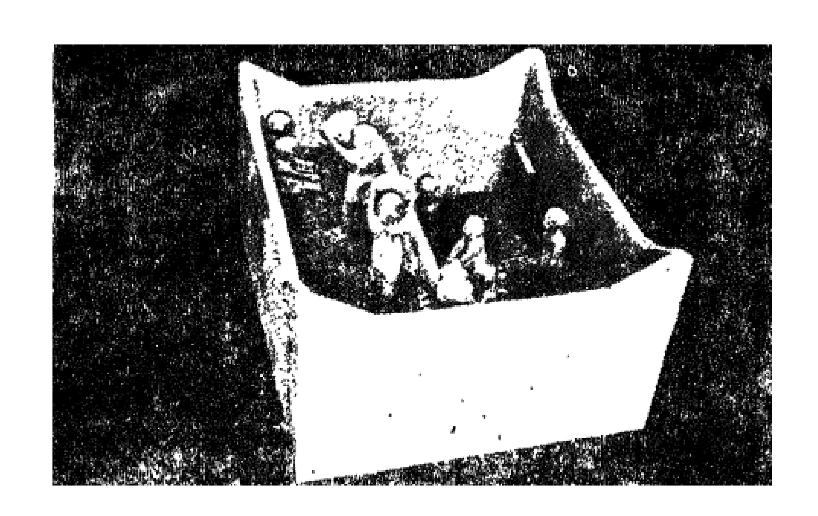
شكل (٣١) . نموذج من الفخار لصومعة غلال..حلوان – الأسرة الأولى

تفرغ في هذه الصوامع منعاً من وقوع غش أو حدوث سرقة. وقد عثر على تمثيل لمخزن الحب في أحد قبور عصر الدولة الوسطى فنشاهد العمال وقد حملوا الغرائر إلى سطح المخزن وأخذوا يفرغونها في فتحات على حين جلس كاتب الاحصاء يسجل (شكل ٣٢).

وكان هذا النوع من الصوامع خاصاً بالضياع الكبيرة مثل تلك التي يملكها "باحري" في الكاب من الأسرة الثامنة عشرة. ونشاهد في احدى صور قبر هذا العظيم أن القمح كان يجلب بواسطة سفن صغيرة ويحمله العمال من باطن السفينة إلى الصوامع متنقلين بينها وبين الشاطئ على

ألواح من الخشب. ونشاهد أن أحدهم قد أخذ يشكو مر الشكوى من كثرة العمل قائلاً "هل علينا أن ننقل الحبوب طوال اليوم؟ لقد امتلأت الصوامع بحيث لا تقبل المزيد. وناءت السفن بأحمالها الثقيلة حتى تساقط القمح من جانبيها ومع كل هذا يطاردوننا بعصيهم لنسرع الخطى. أنظر فإن قلوبنا قد قدت من النحاس".

أما في الضياع الصغيرة فقد كان الناس يفضلون نوعاً أخر من الصوامع وهو ذلك النوع الذي نصادفه دائماً في عصر الدولة الحديثة. وقد حفظت لنا أطلال منازل مدينة تل العمارنة من عهد أخناتون بعض هذه الصوامع بشكل يعطينا فكرة عن تخطيطها. فقد كانت نبني في ذلك الوقت من الطين أو اللبن بشكل مخروطي مستديرة القاعدة قطرها بين المترين والثلاثة ولكل صومعة فتحتان: العليا منهما لملئها ويصل إليها العامل بدرج، والسفلي لكي يسحب منها القمح. وكانوا يبنون عادة ثلاثة أو خمسة منها الواحدة بجوار الأخرى في مكان قريب من مسكن صاحب الضيعة. وقد عثر في تل العمارنة على صومعة مزدوجة كبيرة الحجم تذكرنا

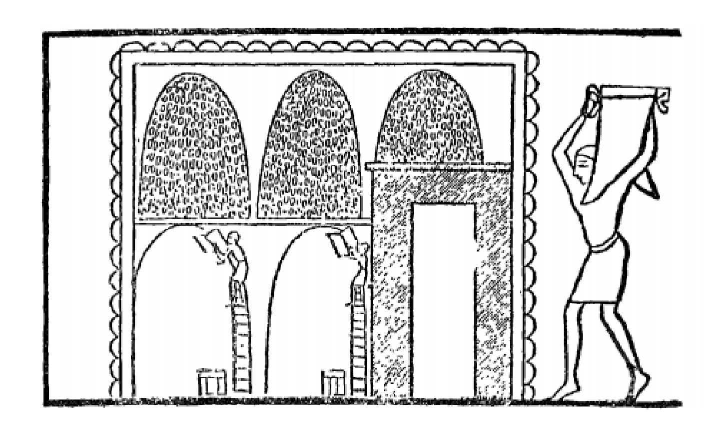


(شكل ٣٢) .. تمثيل لمخزن الحب وقد حمل العمال الغرائر إلى سطح المخزن وأخذوا يفرغونها في فتحات على حين جلس كاتب الإحصاء يسجل.. سقارة – مصر الدولة الوسطى

بمخازن القمح المصرية التي ذكرت في التوراة كل صومعة منها قطرها حوالي ثمانية أمتار وارتفاعها يبلغ حداً كبيراً. وما زال جزء من المنحدر المبني من اللبن والموصل إلى أعلى الصومعة باقياً حتى اليوم. وقد استخدم طريقاً نصعد إليه الحمير المحملة بالمحصول حتى إذا ما وصلت إلى قمته تفرغ حمولتها في الصومعة وفي أسفلها أربع فتحات لسحب القمح منها وكانت إلى جانبها غرف صغيرة أعدت للمشرفين على اخراج القمح. ولا نزاع في أن هذا النوع من الصوامع قد أعد لتموين العاصمة بأكملها.

وقد عثر في أحد قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة على مخازن غلال مخروطية الشكل منها ثلاث مليئة بالقمح واثنان فارغان في أعلاها فتحات تستخدم لملئها بالحبوب وفي أسفلها فتحات أخرى يسحب منها الحب (شكل ٣٣).

وكان المصريون القدماء يصنعون نماذج الصوامع الصغيرة من الخشب أحياناً كما هو الحال في الصومعة الصغيرة البديعة التي عثر عليها في قبر توت عنخ آمون بطيبة وهي مقسمة إلى غرف أو عيون مختلفة تملأ كل منها بالشعير أو القمح. ومن يشاهد الحبوب التي وجدت بها يعجب لبقائها



(شكل ٣٣).. خمس صوامع غلال منها ثلاث مليئة بالقمح واثنان فارغان في أعلاها فتحات تستخدم لملئها بالحبوب وفي أسفلها فتحات أخرى يسحب منها الحب. أحد قبور طيبة – عصر الدولة الحديثة

حالها حتى لكأنها حصدت بالأمس مع أن عمرها يتجاوز ثلاثة آلاف وثلثمائة عام.

ومما هو جدير بالذكر أنه كانت توجد في عهد المصريين القدماء إدارة خاصة يديرها مدير يسمى (إدارة الشونة) كانت تشرف على خزن الحبوب وتملك شونا كثيرة تنشأ في مختلف المقاطعات كل واحدة منها تحت إدارة خاصة يساعدها بعض الكتبة والعمال كما يشاهد ذلك في نقوش قبر العظيم "متن" من عصر الدولة القديمة.

وكانت توجد أيضاً ادارة هامة تسمى (ادارة التموين) للمحافظة على المحاصيل القابلة للتلف يرأسها مدير ولها فروع تدير المخازن المحلية يسمى رئيس كل منها (مدير ادارة التموين). وكانت هناك مخازن فسيحة في عاصمة كل اقليم تجمع فيها المحاصيل ويرسل معظمها إلى العاصمة ليوضع في مخازن خاصة أقيمت بجوار قصر فرعون لتموينه هو وجيشه مما جعل منه مدينة قائمة بذاتها تشمل كل ما يحتاج اليه من طعام وشراب وتصرف منها أجور العمال ويدخر ما تخلف بعد ذلك لاستخدامه وقت الحاجة.

ولاتزال بعض الصوامع المصنوعة من الطين والقش توجد على سطوح بعض منازل الفلاحين في القرى المصرية حتى اليوم.

وعند الانتها من العمل كانوا يقدمون حزمة من سنابل القمح إلى صاحب الضيعة ليرى جودة المحصول ويشكر الآلهة. وكان القوم يحتفلون بعيد الحصاد احتفالاً رائعاً يعبرون به عن فرحتهم بما أصابوا من خير وبركة.

آلات وأدوات الزراعة

كان المصريون القدماء يتخذون من الحجارة أدوات لقطع الأشجار ومناجل لحصد الغلال وقد استخدموا من آلات الزراعة وأدواتها ما لايزال أحفادهم اليوم يستخدمون أكثرها وذلك بعد تعديل في بعضها بسيط وأهم تلك الآلات:

١- الفأس أو المعزقة:

تعتبر الفأس أول أداة ابتكرها المصريون القدماء فهي من أقدم آلات الزراعة وكانت ما تزال عدة الفلاح المصري وقد استعان بها في عزق الأرض منذ عصر ما قبل الأسرات وحلت محل اليد عندما أراد حفر الأرض لزرعها. وقد شاع استعمالها منذ عهد الأسرة الأولى في أعمال الحقول والبناء. وكان الحرث بالفأس عملاً مضنياً وبطيئاً مما جعل مساحة الأرض المزروعة محدودة.

وكانت الفأس تتكون من قطعة من الخشب عريضة تارة استخدمت للعزق ودقيق طرفها تارة أخرى للحفر ولها مقيض من خشب أيضاً مشدود إليها بحبال ثم تشد القطعتان الخشبيتان إلى بعضهما بواسطة حبل من الليف والحلفاء استعانوا به لتثبيت اليد وساعد على تقليل المسافة بينهما أو توسيعها.

وظهرت الفأس لأول مرة على طوابع الأختام الأسطوانية الشكل حيث كانت تحلى سدادات الأواني وقد عثر عليها في بلدة نقادة وكانت تصنع من خشب السنط أو النبق أو الأتل أو الصفصاف حتى العصور الفرعونية المتأخرة ولاتزال تصنع من الخشب في الواحات حتى اليوم.

ومنذ الأسرة الخامسة صنعت الفأس من النحاس ثم من الحديد بعد ذلك وأخذت تتطور حتى أخذت أشكالاً مختلفة. وفي عصر الدولة الحديثة استعمل نوع من الفئوس ذو أطراف متطاولة لتفتيت الأرض.

ومن الطريف أن المصريين القدماء كانوا يسمون الفأس "مر" ومنها اشتقوا كلمة "مرو" أي المشتغلون بالفأس وهم الفلاحون. ويظن أن هذه التسمية لها علاقة بالاسم الذي سميت به مصر وهو "تامري" أي أرض الفلاحة أو الأرض التي هيئت للزراعة بالفأس. ولعل لفظ (طورية) التي تسمى بها الفأس مشتقة من الاسم المصري القديم "تامري". وربما كان ذلك هو سبب تسمية مصر كلها لاسم الأداة التي كانت أول ما استعمل في فلاحتها ثم حرفت بعد ذلك إلى كلمة "دمبرة" التي يستخدمها الفلاحون في موسم الفيضان ولاتزال احدى قرى الوجه البحري تحمل اسم دميرة حتى اليوم.

ولما كانت الفأس رمز الفلاح فان الاله أوزيريس كان يمثل وهو قابض بيده على فأس. وكان القوم يستخدمون صورة الفأس منذ العصور الأولى ضمن الحروف الهيروغليفية.

وقد عثر على فئوس متنوعة من الخشب في كبير من القبور ويبين (شكل **٣٤**) فأسا من الخشب عثر عليها في الدير البحري بطيبة من عصر الدولة الحديثة. ونشاهد على أحد جدران قبر "تي" بسقارة من الأسرة الخامسة عمالاً يستخدمون الفأس لعزق الأرض (شكل **٣٥**).

٢- المحراث:

كان المصريون القدماء يسمون المحراث "سكا". ولقد أدركوا أنهم اذا أطالوا يد الفأس طولاً كافياً فأنه يمكنهم أن يربطوا طرفها إلى قائم ينبتونه

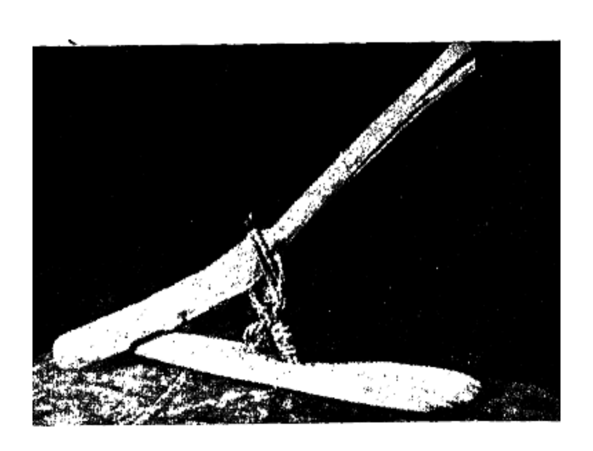
بني رأس ثورين. وكان الحارث يعنى بالقائمين لتوجيه المحراث حينما شاء. وكانا ينبتان بحيث يلتقي الذراع بسن المحراث الذي حل محل سن الفأس. ولم يكن لأقدم المحاريب غير قائم واحد. ولم يمض وقت طويل حتى أدرك أنه من الأفضل لهم أن يزيدوا قائماً ثانياً. ومنذ ذلك الوقت تطورت حياة الفلاح من الفأس إلى المحراث وكان بداية عصر جديد وأصبح الانسان قادراً على تسخير الحيوان واستطاع أن يحصل على طاقة أكبر من قوة الانسان استخدمها لأول مرة في زراعة الأرض.

ولقد أدى استخدام المحراث إلى تقدم كبير في ميدان الزراعة فخفف من عبء الفلاح وزادت رقعة الأرض الزراعية كما زاد الانتاج.

وكان المحراث يصنع من الخشب. وفي عصر الدولتين القديمة والوسطى كان يتكون من سلاح يثبت اليه مقبضان قصيران ثم عريش طويل بالمحراث في جزئه الأسفل. ونراه أحياناً وقد ربط إلى المحراث بحبل من الليف زيادة في تنبيته وينتهي العريش في طرفه الآخر بقطعة الخشب تربط إلى فرون النبران تسمى نير (شكل ٣٦ و ٣٧).

أما في عصر الدولة الحديثة فقد زاد طول المقبضين وزودا بأماكن للأيدي واستبدل النير بآخر لا يربط إلى القرون بل يسد إلى العنق ويمنع انزلاقه إلى الصدر. وكان هذا النوع من المحاريث يستخدم لشق الأرض فحسب دون تقلبيها وبقى استعماله في مصر حتى اليوم.

وكانت الثيران تستخدم لجر المحاريب في عصر الدولة القديمة. ومنذ عصر الدولة الحديثة وجد ما يثبت استخدام البغال أحياناً في الحرث. وقد عثر على صورة على أحد جدران القبور تمثل محرابا يجره رجال وذلك في الأحوال الاضطرارية. ومن الصور المألوفة على جدران قبور عصر الدولة الحديثة ما يمثل الفلاح وهو يقبض بيده اليمنى على المحراث بينما نشاهده



(شكل ٣٤).. فاس من الخشب.. الدير البحري بطيبة – عصر الدولة الحديثة



(شكل ٣٥).. عمال يعزقون الأرض بالفأس.. قبر "تي" بسقارة – الأسرة الخامسة



(شكل ٣٦).. نموذج محراث ذي سلاح واحد من خشب السنط له مقبضان من خشب الآتل مثبتان بالسلاح بواسطة مسامير وقصبته من قطعتين مربوطتين بحبل من الليف.. عثر بالأصل في منزل ناحية حاريت بالفيوم من العصر الروماني.. (المتحف المصري)



(شكل ٣٧).. نموذج محراث..أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة – عصر الدولة الحديثة.. (الأصل بمتحف برلين)

أحياناً يلوح بيسراه في الهواه بسوط أو عصا لحث الأبقار على السري. ومثل هذه الصورة نشاهدها على أحد جدران قبر "سن نجم" بدير المدينة بطيبة حيث نشاهد هذا السري يحرث الأرض في جنة الخلد التي تمناها المصريون القدماء (شكل ٣٨).

وقد عثر على محراث في شكل هـ المعروف تجره التيران في أتار ميدوم بالفيوم من عهد الأسرة الثالثة كما عثر في أحوال كثيرة على محراثين أو أكثر تجرها الثيران أو الأبقار الواحد تلو الآخر أي أنها تسير بجانب بعضها وقد خصص عاملان لكل محراث أحدهما يضغط على المقبضين والآخر يتولى قيادة الثيران.

ولا ندري تماماً متى بدأ تقوية خشب المحراث بألواح من المعدن. ويوجد في متحف برلين نموذج لمحراث قد كسي بألواح من الحديد من عصر الدولة الحديثة استعمل لحرث الأرض الصلبة.

٣- المنجل:

ابتكر المصريون القدماء المنجل على غرار فك الثور وهو يأكل الحشائش. فأسنانه هي أسنان الحيوان وقد استعاضوا عن العظم بالخشب وعن الأسنان بالظران.

وكان المنجل في بادئ الأمر يتكون من قطعة من الخشب مصقولة ومقوسة تنبت في جانبها المعد للقطع شظايا من الظران رفيعة ومشرشرة. ويبين (شكل **٣٩**) هذا المنجل الذي عثر عليه في قبر "حماكا" بسقارة من الأسرة الأولى وكانوا يتناولون الظران بالتشذيب والتسنين ثم يجمعونها في قطعة من الخشب في هيئة نصف دائرة تقريباً ذات يد يستعينون بتثبيتها بخيوط من الجلد أو الكتان وأحياناً بالصمغ. وظلت هذه الطريقة حتى العصور التاريخية بعد أن عرف المصريون القدماء المعادن كالبرنز والنحاس. أما الحديد فلم يستعمل إلا في عصر متأخر جداً. وبقيت المناجل المصنوعة من الظران حتى العصر البوبسطي بينما كثر استخدام ما هو مصنوع منها من البرونز والحديد في العصرين الروماني والقبطي بعضها بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة.

ونشاهد في الصور التي عثر عليها على أحد جدران قبور ميدوم رسماً دقيقاً للمنجل. وقد لون المقبض والسلاح باللون الأخضر على حين أن الظران الأبيض قد ظهر داخل المنجل. وتبين لنا الصورة العصر الذي بدأت فيه صناعته من النحاس.



(شكل ٣٨) .. أحد السراة وهو يحرث الأرض في جنة الخلد التي تمناها المصريون القدماء.. قبر "سن . نجم" بدير المدينة بطيبة – الأسرة التاسعة عشرة.



(شكل ٣٩) .. منجل من الخشب له مقبض بسيط واسنان من الظران..قبر "حماكا" بسقارة – الأسرة الأولى

وقد عثر على رسوم المنجل بين النقوش الهيروغليفية التي وجدت على جدران قبور عصر الدولة القديمة.

٤- المذراة:

تتكون المذراة من قطعة من الخشب في هيئة الكف يذري بها الحصيد فينفصل التبن عن الحب. وتبين أصابعها أن الانسان قد أخد شكل ها من يده عندما كان في بادئ الأمر يستخدمها لهذا الغرض اقتصاداً في الوقت والجهد.

٥- البلطة:

كانت البلطة تستخدم منذ العصر الحجري القديم لتنظيف الأرض من الحشائش التي تضر بالزراعة وقد صنعت في بادئ الأمر من الظران ثم من النحاس في عصر الدولة القديمة كما يشاهد ذلك على آثار ميدوم.

٦- السكين أو المدية:

كانت السكين تصنع من الظران ويهذب سلاحها حتى يصير قاطعاً. أما يدها فكانت تصنع من الخشب. وقد وجدت السكين بين النقوش الهيروغليفية وعثر على نماذج لها من الأسرة الخامسة.

٧- النورج:

لم يستخدم المصريون القدماء النورج لدرس الغلال وقد استعاضوا عنه بأظلاف الماشية كما هو الحال اليوم في بعض بلاد مصر وبلاد النوبة والسودان. وقد بدأوا في استخدام النورج منذ العصر اليوناني الروماني.

وقد استخدم المصريون إلى جانب ما ذكرنا آلات وأدوات أخرى كالمجارف والحبال لمسح الأرض والمكاييل الخشبية والمضارب التي استعملوها لفصل الحب عن أغلفته.

وقد عثر في بعض قبور عصر الدولة القديمة على نماذج عديدة من الآلات المصنوعة من النحاس كان القوم يستخدمونها في حياتهم اليومية.

الآت وأدوات الري

كان المصريون القدماء يستخدمون آلات كثيرة لرفع المياه. وقد عني ملوك البطالمة – وخاصة بطليموس الأول والثاني – بشئون الري وتنظيم تصريف المياه وذلك بشق الترع والقنوات وإقامة الجسور وصيانتها كما حرفت الآبار في الصحراء لري بعض الأراضي وخدمة القوافل وتعرف هذه الآبار بالآبار الرومانية حتى اليوم. وأهم الأدوات التي استخدمها المصريون هي:–

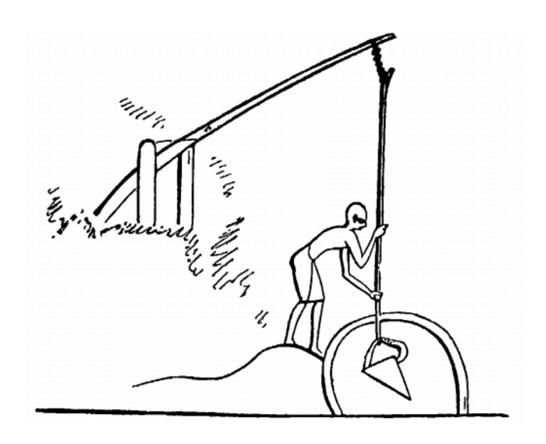
١- الشادوف

واجهت المصريين مشكل ة الأراض المرتفعة التي يصعب وصول مياه الترع إليها مهما كان الفيضان عالياً كما احتاجت الزراعة إلى المياه وقت انخفاض النهر مما اضطر الفلاح إلى البحث عن وسيلة لرفع المياه إلى الأرض المزروعة. وقد توصل القوم إلى اختراع الشادوف الذي يعتبر أقدم آلة للري في مصر ولا يزال يستخدم حتى اليوم، ويتكون من قائم في نهايته كتلة كبرة من الطين لتثقيله وإيجاد التوازن ويتدلى منه دلو مصنوع من الجلد كما يوجد قائم آخر لتثبيت الشادوف فيه. ويقوم الرجل برفع المياه ليضعها في حوض صغير من الطين إلى حوض أعلى ومنه تسير المياه في القنوات المتفرعة في أرجاء الحقل.

ويبدو أن الشادوف قد استخدم منذ بداية العصر التاريخي كما يدل على ذلك رسم عثر عليه على جدران قبر ببلدة هيراكنبوليس وهي "نخن" القديمة التي تعرف اليوم باسم الكوم الأحمر قرب ادفو. وقد عثر (ولكنسون) في أحد قبور طيبة على جزء من شادوف يتكون من قطعة خشبية ذات زوايا يدور حولها العمود والحبل الذي يثبته على العارضة.

وكانت الأراضي المرتفعة التي لاتصل إليها مياه الفيضان تزرع غالباً بالأشجار والخضر ونباتات الزينة والأزهار ويرفع الماء إليها صناعياً بواسطة الشادوف.

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبور طيبة تمثل عاملاً يروي الأرض بالشادوف (شكل ٤٠) كما نشاهد على أحد جدران قبر "ابي" بدير المدينة بطيبة من عصر رمسيس الثاني صورة تمثل عاملين في حديقة معبد



(شكل ٤٠) .. عامل يروي الرض بالشادوف.. أحد قبور طيبة.. (عن ولكنسون)

يرويان بالشادوف ونشاهد بينها أشجار الرمان والزيتون والبردي والعنبر واللفاح. ويلاحظ في رسم هذه الأشجار أن أغصانها تنمو طبيعية لا تنسيق فيها وتتمايل مع الريح وقد غطى سطح البركة بأزهار اللوتس المتفتحة الأكمام (شكل ٤١).

٢- الجرار:

استخدمت الجرار منذ عصر الدولة القديمة. ونشاهد على أحد جدران قبر "مرروكا" بسقارة من الأسرة السادسة صورة تمثل عمالاً يقومون

بزرع الخس في أحواض وريه بالجرار. كما نشاهد صورة أخرى على كفن ملون عثر عليه في سقارة من العصر الروماني تمثل عاملاً يحمل على كتفيه جرتان بها ماء لري الحدائق والبساتين.

٣- الطنبور:

اخترع الطنبور العالم اليوناني أرشميدس الذي عاش في الفترة من عام (٢٨٧ – ٢١٢ قبل الميلاد) ويعرف باسم (بريمة أرشميدس) أو (لولب أرشميدس) واستخدم لري الأرض المرتفعة في العصر البطلمي. ولم يعثر على رسم له على جدران القبور ولا يزال يستخدم في مصر حتى اليوم.

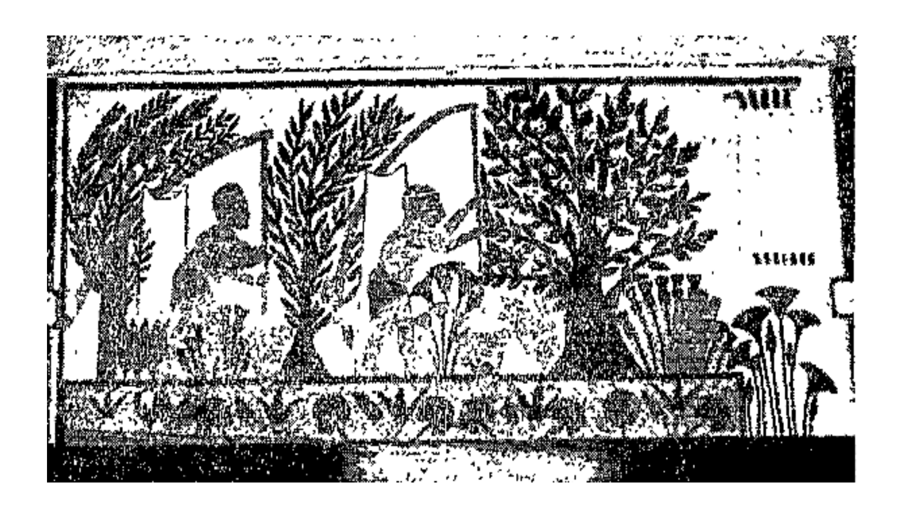
٤- الساقية:

لم يعثر على رسم الساقية في القبور. ويظن العالم (دارسي) أنه شاهد ساقية عندما كان ينظف بئراً في الدير البحري بطيبة من عصر الدولة الحديثة.

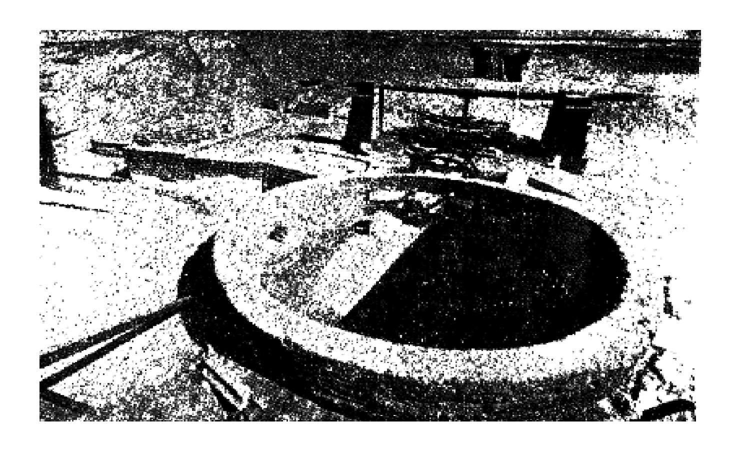
واقدم ساقية مصرية معروفة تلك التي كشف عنها الدكتور سامي جبرة في حفائر تونا الجبل عام ١٩٣١ من العصر الروماني ولا تزال باقية هناك حتى اليوم. وهي عبارة عن بئر عميقة ضخمة كانت تزود المنطقة المقدسة بما تحتاج اليه من مياه. وتتكون من نصف قبة كروية تغطى حوضاً كبيراً للماء كانت المياه تصل اليه من البئر بواسطة أنابيب من الفخار تتصل بها. وتعتبر البئر من الناحية الهندسية مثلاً رائعاً من عمارة هذا

العصر إذ أنهم حاولوا أن يتغلبوا على كل الصعوبات التي تعترض رفع المياه من عمق كبير يصل إلى ما يقرب من أربعين متراً في باطن الأرض.

ويتكون بناء هذه البئر من طابقين: الأعلى منهما يصل قطره إلى عشرين متراً وعمقه خمسة عشر متراً ويصل الزائر إلى الطابق السفلى للبئر بواسطة درج محفور في الصخر يهبط دائريا حول جدران الطابق الأعلى. ولم ينس المهندس اضاءة هذا الدرج فزوده بفتحات ضيقة ومستطيلة على مسافات متقاربة. أما الطابق السفلي فيصل في عمقه إلى عشرين متراً ويبلغ قطره عشرة أمتار. وكانت المياه ترفع بواسطة قرب من جلد الماعز مربوطة بحبل مثبت في رافع مستدير بالأيدي. ومن ثم تفرغ المياه في خزان مربع قاعدته مائلة لتسهيل انتقال المياه إلى خزان آخر عمقه ستة عشر متراً ومنه ترفع المياه بواسطة ساقية مثبتة فوق سطح الطابق الأعلى للبئر (شكل ٤٢).



شكل (٤١).. عاملان يقومان بري حديقة معبد بالشادوف، ويلاحظ في رسم الأشجار أن أغصانها تنمو طبيعية لا تنسيق فيها وتتمايل مع الريح قد غطى سطح البركة بأزهار اللوتس المنفتحة الأكمام.. قبر "أبي" بدير المدينة بطيبة — الأسرة التاسعة عشرة



(شكل ٤٢) .. منظر عام للجزء العلوي من البئر الكبيرة التي كانت تزود المنطقة المقدسة بالمياه التي ترفع بواسطة ساقية مثبتة فوق سطح الطابق الأعلى للبئر.. تونا الجبل — العصر الروماني

الباب الثالث

المحاصيل الحقلية

الحبوب

القمح Tritium sp.

أصله :

يبدو أن القمح كان من أقدم النباتات التي زرعت في وادى النيل الأدنى ويعتبر من المحاصيل الرئيسية في العالم، ويحتل المكان الأول بين محاصيل الحبوب التي استخدمها الانسان غذاء له لتفوقه في القيمة الغذائية.

وقد اكتشف القمح البري Triticum dicoccum المعروف باسم "امر" Emmer في بادى الأمر في سوريا وفلسطين والعراق وايران. ويقول (شيمان) Schiemann أن القمح والشعير البري هما أصل الأنواع المزروعة الآن ثم انتشرا من تلك البلاد إلى مصر ومنها إلى اثيوبيا. وتعتبر اثيوبيا واريتريا واليمن موطناً للقمح "امر". لذلك يظن العلماء أنه زرع أولاً في تلك الجهات ثم انتشر بعد ذلك في البلاد الأخرى. ومن الراجح أن القمح المصري القديم كان وثيق الصلة بقمح اثيوبيا مما يدل على أن

الصلات بينها كانت عريقة في القدم. ويتجه الرأي بين الباحثين إلى اعتبار هذه المناطق وطناً أصلياً للقمح أو لبعض أنواعه على الأقل.

ويرى بعض العلماء أن القمح قد انتقل من تلك المناطق إلى مصر منذ العصر الحجري الحديث ثم انتشر بعد ذلك في البلاد الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط ووسط أوربا حيث كان المحصول الرئيسي لتلك البلاد كما يرى هؤلاء العلماء أن الانسان في مصر هو أول من استخلص القمح البري حيث لايزال يوجد في بعض المناطق المختلفة من العالم.

ولم يوجد القمح في بادئ الأمر كما هو الآن بل وجد نباتاً برياً واجتهد الانسان في تحسينه وبذل جهداً كبيراً في اختياره ثم تطور واستخلص منه الأنواع الصالحة لغذائه.

أسماؤه:

عثر على أسماء كثيرة للقمح القديم. ويذكر بعض المؤرخين أنه ورد ذكره منذ الأسرة الخامسة باسم "بوتت" Botet – التي حرفت عن الكلمة الاكادية "بوتوتو" Bututtu – مما يعطي القمح أصلاً شرقياً.

وقد سمي أيضاً "برت" Peret ولعل الاسم العربي الذي يسمى به القمح وهو "بر" قد اشتق من الاسم المصري القديم "بر" Por كما ورد القمح باسم "بدت" Bedet أو "بتت" Botet – أما القمح "سوت"

Swt – و يسمى بالقبطية "سوو" Swo – أو "سويو" Swyo – فيعرف باسم "تريتيكم ديورم" Triticum durum وكان أقل أهمية منه.

ويظن أن كلمة قمح الحالية أصلها الكلمة الهيروغليفية "قمحو" التي ذكرت في قوائم القربان من عصر الدولة القديمة بل أن كلمة "قمح" قد وردت في بعض المتون القديمة.

أنواعه:

وتد زرعت في مصر عدة أنواع من القمح ورد ذكرها في أوراق البردي منها:

١- تريتيكم ديكوكم أو "امر" Triticum dicoccum or Emmer

٢- تريتيكم ديورم Triticum durum

٣- تريتيكم بيراميدال Triticum pyramidale

٤- نريتيكم فولجار أو تريتيكم ترجيدم Triticum vulgare or T. turgidum

أما النوع الأول "تريتيكم ديكوكم" فهو أشهر الأنواع وظل المصدر الأول لصناعة الخبز في مصر منذ العصر الحجري الحديث واستمرت زراعته حتى العصر الروماني (بداية العصر المسيحي) وأخذت زراعته بعد ذلك تنقص شيئا فشيئا. ويمتاز بسنابله الثنائية الصفوف وحبوبه الكبيرة

المستطيلة وأغلفته المتلاصقة. وقد اندثر هذا النوع من مصر تماماً في العصر الاسلامي وكان آخر ذكر له قد ورد في ترجمة التوراة إلى اللغة القبطية حيث استخدمت كلمة "بوت" للدلالة على القمح مما يدل على أن قمح "امر" الذي تشير اليه هذه الكلمة كان معروفاً في ذلك الحين ولايزال هذا النوع يزرع في المناطق الجبلية في اثيوبيا وبعض أنحاء العالم.

وكان هذا القمح يخزن بمنابعه لصعوبة فصلها عن الحبوب حيث وجدت في القبور بتلك الحالة في مختلف العصور سواء أكانت طبيعية أو مكربنة وتوجد عينات كثيرة منها في المتاحف العالمية.

والنوعان الثاني والثالث هما "تريتيكم ديورم" و "تريتيكم بيرميدال" ويسميان القمح العاري. ويتميزان بحبوبهما غير الملتصقة بالقنابع وسهولة فصلهما بالدراس وظهراً في عصر الدولة الحديثة عندما اتصل الفراعنة بدول آسيا الصغرى وحوض البحر الأبيض المتوسط وكانت زراعتهما محدودة بالنسبة للقمح البري "امر".

والنوع الأخير وهو "تريتيكم فولجار" أو "تريتيكم تورجيدم" ليس له أهمية اقتصادية ويزرع للأغراض العلمية فقط.

أما القمح الحالي فهو من نوع " تريتيكم ديورم" وقد حل محل "امر" وذكر في الأدب المصري القديم منذ الأسرة الخامسة باسم "سوت" سواء أكان أحمر أو أبيض ولم ينتشر في مصر إلا في العصر اليوناني الروماني وكان يسمى "بيروس" Pyros إلى أن حل نهائياً محل القمح "امر".

آثاره:

عثر على كمية من القمح المكرين المعروف باسم "امر" في مخازن مرمدة بني سلامة منذ العصر الحجري الحديث كما عثر على حبوب قمح قرب أفواه المومياوات. ولعل ذلك يمثل نوعاً من الطقوس الجنائزية وعثر أيضاً على بقايا من هذا النوع مكربنة وغير مكربنة داخل أغلفتها في تاسا والمستجدة والفيوم والبداري ونقادة وأرمنت بمصر العليا. وقد وجد القمح مختلطاً بالشعير في معظم الأحوال.

وقد وجدت حبوب من القمح المكربن في قبر "حماكا" بسقارة من الأسرة الأولى وفي القبور الملكية بأبيدوس (العرابة المدفونة) كما وجدت حبوب قمح في أحد القبور بجوار هرم زوسر المدرج بسقارة من الأسرة الثالثة وفي معبد الملك "ساحورع" من الأسرة الخامسة ووجدت أيضاً تلك الحبوب في أكياس من الحلفاء بها فاكهة مختلفة وقمح "امر" بقبر "آني" بالجبلين بمصر العليا من الأسرة الحادية عشرة. وقد عثر على حبوب قح مكربن وغير مكربن في قبر "رع – حتب" بمير (القوصية) من الأسرة الثانية عشرة. وكان القوم يضعون أحياناً أغلفة حبوب القمح في القبور لحماية المومياوات من العوامل الجوية كما عثر على قمح في بعض نماذج الغلال في قبر "نفري" ببني حسن ووجدت في أخميم نماذج لصوامع غلال تحتوي على حبوب قمح.

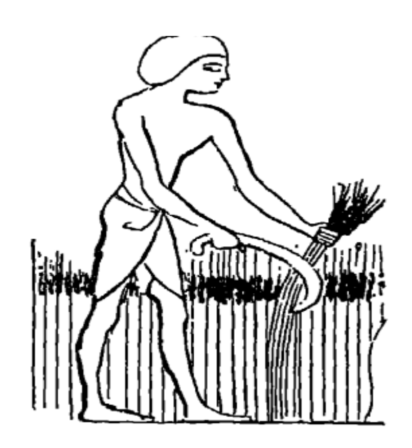
وقد عثر على حبوب قمح في قبر أحد الكهان من عهد تحتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة كما عثر على عيدان قمح في أحد العمارية. ووجدت مقادير من القمح في قبر توت عنخ آمون بطيبة كما وجد قمح عار وأغلفة من حبوب القمح بالدير البحري بطيبة. ووجدت أيضاً أغلفة من حبوب القمح غير المكربن قد نخرها السوس في أحد قبور دير المدينة بطيبة كما عثر على أغلفة من حبوب القمح في أحد قبور الرمامسة من الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين. وعثر أيضاً على حبوب مكربنة وغير مكربنة في كوم أوشيم (الفيوم) من العصر الروماني يحتمل أن بعضها يشبه قمح "امر".

وكانت مصر في ذلك العصر تعتبر مخزناً للغلال تمد روما بما يعوزها منها كما كانت تزرع القمح مرتين في العام في عهد بطليموس الثاني.

وجميع الحبوب التي وجدت في حفر تحت الأرض أو في المخازن أو في القبور كانت مكربنة إلى حد ما. أما الحبوب العارية فقد وجدت مكربنة تماماً لدرجة أنها قد تحولت إلى فحم.

ويذكر (بيفن) Biffen الذي قام ببحث الغلال المصرية منذ العصر الحجري الحديث أن التكربن يرجع إلى بكتريا معينة قد حولتها إلى فحم. ولعل هذه البكتريا قد نتجت من وجودها مع المومياوات في القبور. ومن الطريف أنه قد وجدت حبوب مكربنة وغير مكربنة في مخزن واحد بالفيوم من هذا العصر.

وكان القمح يزرع بكثرة في جميع أنحاء مصر ويعتبر المحصول الرئيسي لمصر السفلي. ويذكر (بليني) أن أجود أنواعه ما كان يزرع في طيبة. وقد مثل المصريون القدماء زراعة القمح على جدران كثيرة من القبور وبخاصة "تي" و "مرروكا" بسقارة وبني حسن و "نخت" بطيبة في صور مفصلة تصور لنا على تعاقب العصور حضارتهم الزراعية العريقة. فنشاهد عمليات الحرث والبذر والحصاد والدراس والتذرية والكيل والتخزين بإشراف الرؤساء وحضور كبار الملاك شحذا للهمم وضماناً لحسن سير العمل كما نشاهد في أحد الصور التي عثر عليها على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة عاملاً يحصد القمح بمنجله (شكل ٤٣).



(شكل ٤٣).. عامل يحصد القمح بمنجله. أحد قبور طيبة – عصر الدولة الحديثة

انبات القمح:

تقول (ف. تاكهلم) أن بعض الناس يزعمون أنهم زرعوا حبوباً من القمح القديم ونمت هو زعم خاطئ. وكل ما يتردد عن انبات الحبوب

القديمة ليس صحيحاً. ومن المعروف أن جنين أية بذرة لا يعيش الا أعواماً قليلة اذ أن قوة الانبات في هذه الحبوب – وقد مضى على بعضها نحو ستة آلاف عام – قد ماتت. واذا قيل أن الحبوب قد نبتت فعلاً فإن الأمر لا يعدو أن يكون واحداً من اثنين: فإما أن تكون الحبوب حديثة قد حملتها الفئران أو غيرها من الحيوانات إلى القبور أو أن تكون حبوباً حديثة قد باعها غشا أناس لا مطمع لهم الا الربح على أنها حبوب قديمة أصيلة. فليس هناك أدنى احتمال في نجاح انبات الحبوب التي عثر عليها في القبور حيث أن أول ما يفسد في الحبة هو البذرة أو الجنين وحتى لو بدت الحبة في مظهرها الخارجي كأنها حصدت بالأمس القريب فإن الجنين يكون بلا شك ميتاً.

صناعة الخبز والجعة

وسنتحدث عنهما بشيء من التفصيل في الباب السابع من هذا الكتاب.

أعياد القمح:

كان المصريون القدماء يقيمون للقمح أعياداً رائعة في موسم الحصاد بين مظاهر الغبطة والسرور ويقدمونه قرباناً للآلهة. وكانوا يعتقدون ان الالهة ايزيس هي التي اكتشفته ناميا بحالة برية وصنعت منه الخبز كما أن أوزيريس هو الذي علم المصريين زراعة هذا النبات لذلك تعتبر سنابل القمح مقدسة.

ومما يذكر أن كلاً من قمح مصر العليا ومصر السفلى في أيامنا هذه له طابعه الخاص فيقال (قمح صعيدي) و (قمح بحري). ولعل هذه التسمية قد جاءت عن طريق (التسمية الثنائية) للقطرين في عهد الفراعنة. فكان الفرعون يفخر بأنه (ملك مصر العليا ومصر السفلى).

الشعير Hordeum sp.

يرجح بعض المؤرخين أن الشعير هو أول الحبوب التي عرفها المصريون القدماء وأن زراعته قد جلبت إلى مصر، ومنها انتشر إلى بلاد كلديا وفلسطين وبابل. وكان يعتبر المحصول الرئيسي لمصر العليا واستخدم في الأكل منذ العصر الحجري الحديث ووجد في القبور مختلطاً بالقمح "امر" طوال العصور الفرعونية.

اسماؤه:

ذكر الشعير في الأدب المصري القديم منذ الأسرة السادسة باسم "جت" Jet وورد في المتون الهيروغليفية باسم "ايت" It كما عرف في القبطية باسم "جت" أو "جوت" Jot.

تقديسه:

يروي (ديودور) أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الالهة ايزيس هي التي اكتشفت القمح والشعير ناميان بحالة برية. وكان النوع البري منهما ينمو في فلسطين وبرقة وشمال افريقيا واثيوبيا. ومع أن الشعير كان

ينمو بكثرة في مصر إلا أنه قد جلب من سوريا في عهد تحتمس الثالث. ومن الراجح أنه قد جلب قبل ذلك التاريخ ضمن الهدايا المألوفة التي كانت تقدم للمعابد وذكر أنه قريان مقدس.

انواعه :

ويبدو أن الشعير الذي كان ينمو في ذلك الوقت هو من النوع الذي ينمو في مصر اليوم وقد عرفت منه الأنواع الآتية:

١- الشعير العادي عن أغلفته : Naked Barley

وقد عثر على حبوب من هذا النوع في الفيوم من العصر الحجري الحديث وهو أصغر حجما من الشعير العادي الذي ينمو في مصر اليوم. وما عثر عليه أقرب إلى النوع ذي الستة صفوف. وفي معظم الأحوال يصعب التفرقة بين حبوب الشعير العادي المكربن وبين حبوب القمح العادي القديم.

٢- الشعير ذو الصفين : Hordeun distichum L.

رقد عثر عليه في أحد المخازن في الشمال الغربي لبحيرة قارون بالفيوم من العصر الحجري الحديث وهو خليط من الشعير ذي الصفين وذي الستة صفوف.

٣- الشعير ذو الأربعة صفوف: .Hordeum tetrastichum L

وقد وجد في القبور منذ أقدم العصور.

٤- الشعير ذو الستة صفوف: .Hordeum hexastichum L

وقد عثر عليه في قبر "آني" بالجبلين من الأسرة الحادية عشرة وهو أصفر قاتم اللون.

ويرى (شفينفورت) أن معظم الحبوب التي زرعت في مصر كانت من الشعير ذي الستة صفوف والقمح "امر" الذي وجد مخلوطاً بالشعير ذي الأربعة صفوف.

آثاره:

عثر على حبوب من الشعير المكربن بين حبوب القمح الذي وجد في بعض الحفر التي استخدمت كمخازن للغلال في مرمدة بني سلامة من العصر الحجري القديم. وعثر أيضاً على قدور كبيرة من الفخار في المعادي تحتوي على حبوب من الشعير المكربن وغير المكربن ومن النوع ذي الأربعة صفوف كما عثر على الشعير في أحد قبور نقادة من عصر ما قبل الأسرات.

وقد وجد الشعير في قبر الملك " زر" بأبيدروس (العرابة المدفونة) وفي قبر (حماكا) بسقارة من الأسرة الأولى. ووجد شعير من النوع ذي

الستة صفوف في قدر من الفخار في المعصرة من الأسرة الثانية كما وجدت أغلفة (قنابع) شعير مكربن ذي أربعة صفوف في مخازن الهرم المدرج بسقارة من الأسرة الثالثة. ووجد أيضاً خبز مصنوع من الشعير في أحد القبور من عصر بناة الأهرام من الأسرة الرابعة كما وجد قدر من الفخار به شعير في سقارة من الأسرة الخامسة وكذا حبوب مكربنة من الشعير العادي بين كمية من القمح في أساس المعبد الجنائزي للملك "ساحورع" بأبي صير.



(شكل ٤٤).. عقد من قش الشعير المضفور.. أحد قبور العاسيف بطيبة — الأسرة الحادية عشرة.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي).

وعثر على عقد من قش الشعير المضفور في العساسيف بطيبة من الأسرة الحادية عشرة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة (شكل ٤٤) كعا عثر على نماذج لمخازن غلال وأوان لصنع البيرة وحبوب شعير في أساس معبد "منوحتب" بالدير البحري بطيبة. وعثر أيضاً

على حبوب من الشعير المكربن ذي الستة صفوف في قالب من الطوب التي في أحد أهرامات دهشور بالفيوم من الأسرة الثانية عشرة.

ووجدت عيدان من الشعير في تابوت أمنحتب الأول بدراع أبي النجا طيبة من الأسرة الثامنة عشرة كما وجد "شفينفورت" قدرين كبيرين من الفخار بهما شعير مستنبت في قبر أمنحتب الثاني. ووجد أيضاً شعير مستنبت في قبر "سنوفر" – رئيس حدائق آمون – وقد عثر على نموذج من الخشب لمخزن غلال به قمح وشعير في قبر توت عنخ آمون كما عثر على سنابل شعير في أحد قبور الفنتين بأسوان وهوارة وكوم أوشيم من العصر اليوناني الروماني وعثر أيضاً على حبوب شعير في مخزن غلال بأحد الأديرة بطيبة من العصر القبطي (القرن السادس والسابع الميلاديين).

الشعير المستنبت:

يرى بعض العلماء أن الشعير المستنبت كان يستخدم في صناعة البيرة بينما يرى الآخرون أنه قد لعب دوراً هاماً في الطقوس الجنائزية في شهر كيهك حيت كانوا يحتفلون فيه بذكرى آلام أوزيريس.

وقد عثر على ما يسمى (أسرة أوزيريس) في قبور الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وبخاصة في قبر "يويا وتويا" بوادي الملوك بطيبة وهي محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة. وقد مثل هذا الاله وقد عادت اليه الحياة وذلك بوضع قطعة من نسيج الكتان على لوح من الخشب عليها صورة أوزيريس – رمز البعث – وقد غطيت بطبقة من الطمي بذرت فيها

حبوب الشعير ثم ترك حتى ينبت. وقد وضع هذا الرمز في القبر اظهاراً إلى أن الشعير – ولو أنه مجرد من الحياة – إلا أنه قد ينتج شيئاً حياً كذلك يعود الميت إلى الحياة الأخرى وهكذا تعود الحياة إلى الاله وبعودها تنبت المزروعات التي يعيش عليها الانسان والحيوان.

ووجد عقد من الشعير المستنبت على مومياء الشريف " كنت" بالشيخ عبد القرنة بطيبه كما وجد شعير مستنبت في أحد القبور من عصر الرمامسة.

ولا تزال فكرة انبات الحبوب في أوان مستخدمة في بعض الأعياد المصرية حتى اليوم.

الذرة الرفيعة Sorghum vulgar

اختلف المؤرخون في وجود الذرة الرفيعة في مصر. ومن الراجح أن زراعتها لم تعرف في العصور الفرعونية اذ لم يعثر على آثار لها في القبور حتى اليوم.

ويرى بعض العلماء مثل مسبرو وولكنسون وارمان أن الذرة الرفيعة قد ذكرت في أحدى البرديات من الأسرة التاسعة عشرة باسم "ديرايي" أو "دوراتي" التي حرفت إلى كلمة ذرة على مر العصور وبذلك ظنوا أنهم قد حققوا وجود هذا النبات على الآثار المصرية.

كما يرى (بيكرنج) Pickering أنه قد عثر على جذور ذرة رفيعة مخلوطة ببعض سيقان البردي في أحد التوابيت بسقارة غير أن "شفينفورت" يشك في ذلك.

وقد عثرت البعثة الايطالية على نورة ذرة رفيعة في حفائر الجبلين بمصر العليا يظن "كيمر" أنها من عصر الدولة القديمة وهي محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة. على أنه من المعروف أن الذرة الرفيعة انتشرت زراعتها في مصر في العصر اليوناني الروماني (شكل ٤٥).



(شكل ٤٥).. نورة ذرة رفيعة.. فائر الجبلين – يظن أنها من عصر الدولة القديمة

أما الذرة الشامية المعروفة باسم (زياميز) Zea mays فقد جلبها كولمبوس من أمريكا إلى أوربا عام ١٤٩٣ ثم أدخلت بعد ذلك إلى سوريا ولم تعرف زراعتها في مصر إلا بعد الفتح التركي.

البقول والأعلاف

البقول

اشتهرت مصر بزراعة البقول منذ عصر ما قبل الأسرات وكانت تسمى (بكن) Bakn ولعل الاسم الحالي (بقل) مشتق منها. وقد ذاع صيتها في العالم القديم حتى أن قوم موسى عليه السلام قد اشتاقوا إليها بعد خروجهم من مصر كما ورد في القرآن الكريم: "واذ قلتم يا موسى لن نصبر عل طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها".

وكانت بعض أنواع البقول وبخاصة الفول والعدس تدخل ضمن طعام العمال والفلاحين اليومي. وأهم البقول التي عرفوها الفول والعدس والحمص والترمس واللوبيا والبسلة والجلبان ويظن أن أصلها من أقاليم آسيا.

الفول

Vicia faba L.

أصله :

يعتبر الفول من أهم البقول التي عرفها العالم القديم لما لبذوره من قيمة غذائية كبيرة للإنسان والحيوان. ولم يعثر عليه بحالة برية ومن الراجع

أن أصله جنوب بحر قزوين وشمال افريقيا (مصر والسودان) كما يرى الفونس دي كاندول Alphonse de Candole في كتابه "أصل النباتات المزروعة". ويظن أن الآريين الغربيين هم الذين أدخلوا زراعته من الاقليمين المذكورين.

وعرف الفول في مصر منذ عصر الأسرات الأولى. وقد عثر "شفينفورت" على بذوره في أحد قبور الأسرة الثانية عشرة وفي طيبة من عصر الدولة الحديثة.

أسماؤه:

ورد ذكر الفول في كثير من الأوراق البردية الطبية مثل ايبرس Ebers وكاهون Kahun وهاريس Harris بأسماء مختلفة مثل "أوريت" و "أور" و "أورى" و "فور". ولعل الاسم الحالي فول مشتق منها بعد أن قلبت الراء لاما كما ورد في القبطية باسم "أورو" و "أرو" و "فاباو".

ويذكر "لوريه" أن الفول كان يقدم قرباناً للموتى وقد ورد في المتون القديمة أن رمسيس الثالث وزع كثيراً منه على مخازن معابد الاله آمون بطيبة.

ويروي "هردوت" أن أكل الفول كان محرماً على بعض المصريين القدماء وهو زعم لا يمكن قبوله ويرجح أن الأمر قد اختلط عليه فاعتقد أن البقلة القبطية Nymiaea Nelumbo أو الجلبان هي الفول الذي كان

يخصص لغذاء الحيوان كما هو الحال في مصر العليا كما أن وروده ضعن الوصفات الطبية في الأوراق البردية وتوزيعه على المعابد مما يستبعد معه هذا الزعم. وقد يكون السبب في تحريم أكل الفول أنه من الأغذية عسرة الهضم وأنه يفسد المعدة بما يثير فيها من غازات قد يتسبب عنها خروج رياح نتنة.

وعثر على بذور الفول في قبور سقارة وكوم أوشيم من العصر اليوناني الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

وقد دون الوزير "رخميرع" – الذي عاش في عهد تحتمس الثالث – على أحد جدران قبره بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة متنا فوق صورته يقول فيه: "أنه يتسلم الفول والشهد لخزانة معبد أمون". ونشاهد في الصورة حقائب فول يقدمها عمال بخضوع كما نشاهد العمال وهم يكدسون كومة من هذه البذور ويكيلونها ثم يدونون مقدارها وهي حمراء قاتمة اللون يرجح أنها نوع من الفول (شكل ٤٦).

وتحدثنا النقوش عن ذلك فتقول: "تسليم فول (وعح) لخزانة المعبد" ونشاهد عاملين يهرسانه في هاون مصنوع من جذع شجرة قد كتب عليه ما يأتي: "دق الفول في خزانة أمون رب تيجان الأرضين لعمل القرابين التي قررها جلالته".

ويبدو أن هذا الفول كان يهرس فحسب كما تدل عل ذلك قشوره الخشنة حتى بعد الهرس ولذلك كان من الضروري فصلها. فكان الدقيق المتخلف من الهرس ينخل عدة مرات وأحياناً يغربل بالمذراة. ويشاهد



(شكل ٤٦) العمال يكدسون كومة من بذور الفول ويكيلونها ويدونون مقدارها... قبر "رخميرع" بطيبة – الأسرة الثامنة عشرة

أحد العمال الذين يقومون بهذه العملية ينادي قائلاً: "فليسرع كل طحان منكم. تأمل أننا ننفذ أوامره".

الطعمية:

ومما يلفت النظر ما نشاهده من صنع أربع فطائر من هذا الفول وقد مزجت عجينتها بالماء في حوض ويذكر المتن ما يأتي: "خبز أرغفة يومياً للآلة أمون والآلهة التابعين له" ويلاحظ أن هذه العجينة قد أخذت من الحوض وقطمت إلى أجزا، في هيئة أقماع وذلك بدحرجتها على لوح ثم اعطائها الشكل النهائي باليد ولابد أن هذه الفطائر كانت تسوي على النار والدليل الوحيد على ذلك هو وجود فرن لم يوقد بعد. ومن الراجح

أن هذه الأرغفة هي (الطعمية) التي تعمل من الفول في الوقت الحالي (شكل ٤٧).

ومن الطريف أن الفول كانت تصنع منه (البصارة) المستخدمة في مصر اليوم واسمها بالقبطية "بسي. أورو" أي فول مطبوخ كما يعمل منه الفول النابت والفول المدمس.



(شكل ٤٧).. عمال يقومون بعمل فطائر من الفول ويقطعونها إلى أجزاء في هيئة أقماع ترجح أنها (الطعمية) التي تعمل من الفول في الوقت الحالي... قبر "رخميرع" بطيبة – الأسرة الثامنة عشرة

الفول المدمس:

هو طعام محبوب ولون مصري أصيل، وإذا تأملنا صناعة الفول، نشاهد أنه يوضع في قدور بها ماء، ثم توضع هذه القدور في رماد الفرن، وتظل به مدة إلى أن ينضج، ثم يؤكل مدمساً، وليس ذلك المكان الذي يسميه العامة "بالمستوقد"، والذي يعد فيه الفول المدمس بغريب عنا جميعاً فكلمة مدمس تشير إلى الطريقة التي ينضج بها الفول، وهي دفنه في الوقود والرماد، فالفول "المدمس" معناه الفول "المدفون"، وكلمة

"مدمس" عربية شكل اً لا موضوعاً، فأن مادة الكلمة "دمس" لا تمت إلى العربية بصلة، من قريب أو بعيد. ففي مادة الكلمة "دمس" لا تمت إلى العربية بصلة، من قريب أو بعيد. ففي اللغة القبطية فعل "تمس" أو "ثمس" أو "تامس" بلهجاتها الصعيدية والبحيرية والفيومية، واللغة القبطية ذات لهجات كأية لغة أخرى، وجدير بالملاحظة أن "السين" بقيت في الكلمة بجميع لهجاتها، بينما انقلب الحرف الأول منها وهو "الثاء" في اللهجة البحيرية، إلى "تاء" في اللهجة الصعيدية، وهو ما نلاحظه في لغة العامة حتى اليوم، فيقولون مثلاً "كرات" بدلاً من "كراث" لما بين الحرفين من علاقة صوتية.

ثم أن هذه الكلمة القبطية "تمس" بضم التاء بمعنى "يدفن" ذات أصل مصري. فهي بالمصرية القدية "سماتا" أي "يتحد بالأرض" تعبيراً عن الدفن.

إذن نكون كلمة "مدمس" أصلاً مصرية قديمة، عاشت بين المصريين آلاف السنين، وهم ينتقلون من الوثنية إلى المسيحية إلى الإسلام.

وكان عامة المصريين في العصور القديمة يأكلون الفول غالباً "مدمساً" بينما كان الكهنة – على حد فول بلوتارك الكاتب اليوناني – يكرهونه ويتجنبونه، ولعل السبب في ذلك أنه كان يسمن الأجسام، بينما كانوا يتوخون النحافة والزهد، ليتفرغوا للدرس والتعمق في اللاهوت .

العدس Lens esculenta Monch

موطنه:

يظن أن موطن العدس هو جنوب غرب آسيا في المناطق الدافئة وبخاصة في سوريا وقد عرف في مصر منذ أقدم العصور. ويروي (هردوت) أن العدس كان معروفاً منذ عصر بناة الأهرام وكان يقدم طعاماً للمال كما يروي (بليني) في كتابه عن التاريخ الطبيعي أن مصر كان ينمو فيها نوعان من العدس أحدهما مستدير يميل إلى السمرة ومن الراجح أنه يقصد بذور العدس قبل جرشها والآخر في شكل العدس العادي.

أسماؤه:

وقد ورد ذكر العدس في الأوراق البردية من عصر الدولة الحديثة باسم "عرشا" و "عرشانا" وعرف في القبطية باسم "أرش" و "أرشان" ووجدت رسومه لأول مرة على أحد جدران معابد الأسرة التاسعة عشرة.

وقد ذاعت شهرة العدس في مصر وما جاورها من البلاد وورد ذكره في التوراة (سفر التكوين) في قصة عيسو وأخيه يعقوب عندما باع الأول للثاني حقه في البركة الأبوية بصفته الابن البكر نظير طبق من حساء العدس الأحمر طهي له عقب عودته من الصيد، كما أن بني اسرائيل قد اشتاقوا إلى العدس عند خروجهم من مصر. وكان الكهان يأكلون العدس

وتركوا أكل الفول لعامة الشعب لأنه يحوي بعض المواد السامة كما تقول الباحثون.

آثاره:

عرف المصريون القدماء طريقة طهو العدس وتحضيره للأكل. وقد عثر على طبق به بذور عدس في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة كما عثر (مسبرو). على طبق آخر من الفخار يحتوي على عدس مطبوخ بقشره – وهو ما يطلق عليه اليوم (عدس أبو جبة) مختلطاً ببعض حبوب القمح والشعير في أحد القبور من العصر اليوناني الروماني محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة.

وكات العدس من أهم المحاصيل التي تصدر إلى الخارج في العصر الروماني واستمرت زراعته في العصر الاسلامي وبخاصة في الوجه القبلي وذكرت فوائده في كثير من كتب مؤرخي العرب.

الحمص Cicer arietinum L.

أصله :

من الراجح أن أصل الحمص هو بلاد الهند حيث وجد اسمه في اللغة القديمة ومنها انتشر إلى ايران والأناضول وآسيا الصغرى. ويبدو أنه استورد من هذه البلاد عن طريق التجارة أو الفتح بين المصريين القدماء

والأقوام الذين كانوا يقطنون في آسيا الصغرى حيث أن تاريخ الحمص في مصر يسبق وجوده في أوروبا بوقت كبير.

أما في اليونان فقد عرف الحمص منذ عصر هومير (نحو القرن التاسع قبل الميلاد) باسم "اريبنوس" Erebinthos وعرفه الرومان باسم "سيسر" Cicer ومن الراجح أن الآريين الغربيين Pelasgians والهلينيين Hellenes هم الذين أدخلوه إلى جنوب أوروبا الشرقي ومنها انتشر في مساحات واسعة ما بين الفرس واليونان.

ولم يعثر على الحمص في حالة برية في الهند فليس من المؤكد اذن ما إذا كان أصله من نبات بري أم من نبات مزروع.

أسماؤه:

ذكر الحمص في الأوراق البردية وبخاصة بردية "ايبرس" الطبية من عصر الدولة الحديثة باسم "حنبت" Henbet وعثر على اسم آخر له هو "حر. بيك" Bik . Hor مما يدل على دقة ملاحظة المصريين القدماء لأن "حر" معناها رأس و "بيك" معناها صقر أي (رأس الصقر) التي تشبه بذرة الحمص وعرف في القبطية باسم (حوف) Hof.

أثاره:

يعتبر الحمص من محاصيل البقول التي اشتهرت بها مصر. وقد عثر على بذوره في قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة والعصر

الروماني بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي والآخر بالمتحف البريطاني حيث يوجد به أيضاً قلادة مكونة من بذور الحمص.

فوائده:

يستخدم الحمص غذاء للإنسان وساقه علفاً للضأن والخيل وتشتهر به أسواق الموالد الهامة في مصر وبخاصة مولد السيد البدوي بطنطا. وقد عثر على سلال صغيرة مصنوعة من سعف النخيل من العصرين الروماني والقبطي تشبه ما يستعمل اليوم في تعبئته.

وللحمص فوائد طبية متنوعة فهو مدر للبول ويستخدم في حالة الطمث. أما الحمص الأسود فيستخدم منقوعة لعلاج الكبد والكلى حيث يساعد على تفتيح مسامهما ويفيد في علاج الخراجات اذا استخدم مع العسل كما أنه ملين ومنقي للدم ويستخدم لعلاج القروح والجرب وفيما يعرف (بفتح الحمصة) وهو اجراء يلجأ اليه عامة الناس لتوليد جرح في العضو المصاب بواسطة لصق حمصة عليه من طرفها المدبب وربطها جيداً حتى يتقيح المكان ويستخدم لإخراج المواد الصديدية ويصبح العضو نظيفاً بعد ذلك ثم يترك الجرح ليلتئم.

ويقول (أبقراط) أن في الحمص جوهرين يفارقانه بالطبخ. أحدهما صالح يلين الطبيعة والآخر حلو مدر للبول ويستخدم في الطعام فيكسبه نكهة ويساعد على نضج اللحم.

ويستخرج من الحمص خل يستخدم دواء قابضاً لعلاج عسر الهضم والتخمة والامساك، كما أن منقوع ورقه يستخدم في الهند وفي بعض أقطار آسيا الصغرى علاجاً لمرض الصفراء. وتضاف بذوره إلى اللبن وتستخدم ضد أمراض الرئة في حالة البرد. وقد يكون من المستحسن الاستفادة بالحمص المصري بما يتناسب وطبيعة البلاد واستنبات الأصناف التي يمكن استخدامها في الطب والصناعة.

ومن الطريف أن الحمص الأصفر يعرف في مصر باسم (المجوهر) ولعلها صفة له يكتسبها بالتحميص فيأخذ اللون الأصفر البراق وهو من صفات الجواهر.

واعتاد المصريون القدماء أن يحتفلوا بعيد الربيع وكان الحمص من أحب البقول الشائعة بينهم وبخاصة الأخضر منه الذي يعرف باسم (الملآنة).

الترمس Lupins termis Forsk.

من الراجح أن أصل الترمس هو جنوب أوروبا وسوريا. وقد عثر على بذوره في قبور دراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة وكوم أوشيم من العصر اليوناني الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي وتستعمل البذور في الأعراض الطبية المختلفة.

اللوبيا .Vigna sinensis EndL. -var

كان المصريون القدماء يعرفون اللوبيا. وقد وجدت بذورها في القبور منذ عصر الدولة الوسطى. ويذكر "ل . كيمر" أنه قد عثر على نماذج من هذه البذور في أحد قبور اللشت بالفيوم من الأسرة الثانية عشرة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

البسلة .Piaum sativum L

عثر على بذور البسلة في قبور كاهون بالفيوم من عصر الدولة الوسطى وهوارة من العصر اليوناني الروماني كما عثر (أنجر) Unger على أجزاء من البسلة من النوع المعروف باسم Pisum arvense في هرم دهشور بالفيوم. وعثر (بتري) أيضاً على بقايا من هذا النوع في قبور كاهون وهوارة.

ويذكر (نيوبري) أنه شاهد ست حبات من البسلة تختلف في شكل ها عن النوعين المذكورين بين بعض حبوب الشعير الذي وجد في أحد قبور كاهون ويبدو أنها من النوع المعروف باسم Pisum elatius الذي ذكره (شفينفورت) في معجم نباتاته.

الجلبان .Lathyrus sativus L

يعتبر الجلبان من النباتات البقولية اليت عرفها العالم القديم. ويبدو أن أصله هو المنطقة الواقعة جنوب القوقاز وشمال الهند ومنها انتشر إلى المنطقة المعتدلة والحارة.

اسمه وآثاره:

عرف المصريون القدماء الجلبان وكان يسمى بالقبطية "بي. حوف" Pi. Hof وقد عثر (مسبرو) على بذوره في أحد قبور الجبلين من عصر الدولة الوسطى كما عثر عليه ضمن بذور حمص في أحد قبور دير المدينة بطيبة من الأسرة التاسعة عشرة وفي هوارة من العصر اليوناني الروماني بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

وكان الجلبان يستخدم علفاً للماشية وبخاصة في مصر العليا وانتشرت زراعته في العصور المتأخرة لملاءمة التربة والمناخ له.

الأعلاف

البرسيم الحجازي Medicago sativa L.

أصله :

لا يزال أصل البرسيم غير معروف. وكان المصريون القدماء يعرفون النوع المسمى البرسيم الحجازي .Medicago sativa L ويظن أنهم عرفوه منذ أواخر عصر الدولة الحديثة بعد اختلاطهم بأقاليم آسيا الصغرى والبحر الأبيض المتوسط.

اسمه :

عرف البرسيم الحجازي باسم "سبن . نتر" Seben. Neter وورد ذكره باسم "برسم" Bersem ولعل الاسم الحالي مشتق من الاسم المصري القديم كما ورد في القبطية باسم " تريم". Trim

آثاره:

وعثر على بذور برسيم في أناء من الفخار في معبد الالهة ايزيس بدندرة من العصر الروماني كما عثر على بذوره في قبور كوم أوشيم محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

أما البرسيم المعروف باسم .Trifolium alexandrium L فيذكر (لوريه) و (بتري) أنه عثر على كمية منه في أحد قبور كاهون وهوارة من

العصر اليوناني الروماني ويرجح أن هذا النوع قد انتشر في العصر القبطي واستخدم علفاً للماشية وبخاصة في الدلتا.

النباتات الزيتية

عني المصريون القدماء بزراعة النباتات التي استخرجوا من بذورها الزيوت ولم يدخر البطالمة وسعا في العناية بها أيضاً. وقد أمدتنا (وثيقة الدخل) التي أصدرها بطليموس فيلادلفوس بالقانون الذي وضع لتنظيم زراعة هذه البذور واستخراج الزيت منها والاتجار فيها. ومن الغريب أن زيت الزيتون لم يرد له ذكر في هذه الوثيقة. ويبدو أن سبب ذلك هو خضوعه لنظام خاص. وكانت الحكومة تحدد مساحة الأراضي التي تزرع بذور زيتية في كل اقليم لسد حاجة سكانه وتفرض على بعض الأقاليم زراعة كميات اضافية لسد حاجة المدن والاقاليم التي تزرع هذه البذور أو التي يقل محصولها عن كفاية سكانها. وكان في كل مديرية ملتزم تمده الادارة المالية بكميات معينة من المواد الخام اللازمة لاستخراج الزيت من البذور كما كانت الحكومة تشرف اشرافاً دقيقاً على زراعة هذه البذور منذ وضعها في الأرض حتى يتم نضجها في جميع أنواع الأراضي وبالنسبة لجميع أنواع الزراع.

وكانت قيمة المحصول تقدر قبل جنيه على يد موظفي الإدارة المحليين والملتزم الذي يقوم بعد ذلك بشراء المحصول بالأسعار التي تحددها

الحكومة. ولا شك أن هذه الاحتياطات الصارمة قد وضعت لضمان سلامة عملية احتكار الزيت وبيعه.

وأهم النباتات الزيتية التي عرفها المصريون القدماء هي الكتان والخس والهجليج والزيتون والخروع والقرطم والسمسم والعرعر.

الكتان:

كان يستخرج من بذور الكتان زيتا يعتبر من أقدم الزيوت التي عرفوها منذ عصر ما قبل الأسرات. وقد كانت قيمته عظيمة في الغذاء والطب والتدليك ومركبات الروائح العطرية كما استخدم في الاضاءة وأداء الطقوس الدينية في المعابد.

الخس:

عرف الخس منذ الأسرة الرابعة واشتهرت بزراعته أقاليم مصر العليا وبخاصة فقط وطيبة. ولا يزال هاتان البلجتان تشتهران بإنتاج أجود أنواع الخس. وكان يستخرج من بذوره زيتا استخدموه في الطعام والتدليك وعرفوا خواصه في تقوية الأجسام مما جعلهم يتخذونه رمزاً للمعبود "مين".

الهجليج:

عثر على ثمار الهجليج في بعض القبور وكان القوم يأكلونها ويستخرجون منها زيتاً استخدموه في الطب وصناعة العطور والدهون.

الزيتون:

اكتسب زيت الزيتون شهرة فائقة في كثير من البلاد نظراً لاستخدامه في الأغراض المختلفة. وعرف الكهان خواصه الطبية والغذائية فاستخدموه علاجاً للكبد ودهاناً لتقوية الشعير كما استخدموه في الإضاءة. ويمتاز الزيت بأنه ملين وطارد للديدان فهو –كما يقال عنه – غذاء ودواء.

وكان الزيت يسمى بالهيروغليفية "قب" Keb ولم يرد اسمه الا نادراً في عصر الدولة الحديثة. وذكر رمسيس الثالث في بردية (هاريس) أنه أنشأ مزرعة كبيرة للزيتون حول معبد الشمس في مدينة (أون) – عين شمس الحالية – رغبة في توفير الزيت اللازم لإضاءة معبد الاله "رع" كما ورد ذكر زيت الزيتون في الكتب المقدسة.

وقد تمخض النشاط في زراعة الزينون – وبخاصة في اقليم الفيوم – عن رواج صناع الزيوت في العصر اليوناني الروماني وكانت مورداً مالياً عظيماً حيث قد احتكرتها الدولة احتكاراً كاملاً.

الخروع:

لم يعتر على رسوم واضحة للخروع على جدران القبور ويزرع في معظم الاقطار الاستوائية لاستخدام زيته في الأغراض المختلفة. وقد انتشرت زراعة الخروع في مصر منذ العصر اليوناني الروماني وعثر على بذوره في كثير من قبور كوم أوشيم وهوارة بالفيوم.

وكان زيت الخروع يستخدم بكثرة لرخص ثمنه واستخدم في الطب لتليين الامعاء والتدليك وعلاج الاورام والبثور.

القرطم:

عرف القرطم في مصر منذ عصر الدولة الحديثة وانتشرت زراعته بعد ذلك في العصر اليوناني الروماني وكان يستخرج من بذوره زيتا استخدمه القوم في أغراض كثيرة.

السمسم:

لم يثبت أن المصريين القدماء قد زرعوا السمسم على الرغم من ورود اسمه في بردية "ايبرس" الطبية. ومن الراجح أنهم كانوا يجلبونه من الاقاليم المجاورة لمصر لاستخراج زيته واستخدامه في الاغراض الطبية.

وذكر (ثيوفراست) و (ديوسكور يدس) أن القوم قد زرعوا نباتاً عرف باسم السمسم كانوا يستخرجون من بذوره الزيت. وأضاف (بليني) أن هذا النبات قد جلب من الهند وتكلم عن أهمية زيته.

وقد عرفت زراعة السمسم في مصر منذ العصر اليوناني وانتشرت معاصره في العصر القبطي وكان يستخدم في صناعة العطور ومواد التجميل.

العرعر:

عثر على ثمار العرعر في قبور الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة قبر توت عنخ آمون بطيبة. كما عثر على كمية منه في خبيئة الدير البحري بطيبة من الأسرة العشرين. ويبدو أن الزيت المستخرج من هذه الثمار كان يستخدم في التحنيط ومسوح الموتى.

وقد عثر على بذور هذه النباتات وثمارها في قبور مختلفة بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

نباتات الصباغة والدباغة

(١) نباتات الصباغة

كان المصريون القدماء يعرفون الصباغة واستخدموا في تثبيتها الاملاح والحوامض وقد ضربوا بسهم وافر في هذا المضمار شأنهم في ذلك شأن الفنون الصناعية الاخرى. وأهم الالوان التي استخدموها في صباغة الملابس هي الازرق والاخضر والاحمر والاصفر والبنى. ويبدو أن اللون الاحمر كان محببا لديهم فقد لونت به معظم الصناعات الجلدية وظهر قبل أي لون آخر ويعتبر أقدم مواد الصباغة المعروفة.

وأهم النباتات التي استخر ت متها الاصباغ هي الحناء والقرطم والسنط والرمان والنيلة.

١- الحناء: Lawsonia inermis L.

يذكر (دي كاندول) أن الحناء كانت تنمو على حدود فارس (ايران) وقد جلبها المصريون القدماء من غرب آسيا. ويرى يعض المؤرخين أن شجرة الحناء قد جلبت إلى مصر في عصر الدولة الوسطى وأن الهكسوس كانوا يقدسونها ويدخلونها ضمن تقاليدهم الدينية كما يرى هؤلاء المؤرخون أنهم علموا المصريين زراعتها في شرق الدلتا وبخاصة في مدينة افاريس، (صاد الحجر) مركز فاقوس.

ومن الراجح أن الحناء قد جلبت إلى مصر في عهد تحتمس الثالث. ويذكر (نافيل) أنه شاهد مومياء مخضبة بالحناء في معبد الدير البحري بطيبة مما يرجح أن تخضيب المومياوات لم يشاهد إلا في عصر الدولة الحديثة، فقد وصف (اليوت سميث) شعر مومياء سيدة تسمى "حتنوي" من الأسرة الثامنة عشرة بأنه مخضب بلون احمر زاه يرجح حدوثه من الحناء ويذكر (بليني) أن أجود أنواع الحناء كان ينمو بناحية كمانوب بمحافظة البحيرة وكانوا يستخرجون من ازهارها زيتا رائحته نفاذة.

وقد أرسل رمسيس الأول من فراعنة الأسرة التاسعة عشرة بعثة إلى آسيا للحصول على بعض الأخشاب اللازمة فجلبت البعثة معها الحناء ضمن النباتات التي جلبتها معها وغرست شجرة منها في حديقة معبد الكرنك بطيبة في طريق الاله آمون.

وكانت الحناء تدخل ضمن المواد التي استخدمت في التحنيط وتخضيب الايدي والأظافر والاقدام وصبغ الشعير للتجميل وصناعة العطور واستخلاص صبغتها. وقد قلدهم في ذلك اليونان والرومان فاتخذوا أكاليلهم الجنائزية من أغصانها المزهرة.

وقد عثر على مومياوات مخضبة الأظافر في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بطيبة من الأسرة العشرين كما عثر (شفينفورت) و (بتري) على أجزا، من شجرة الحناء في أحد القبور مما لا يتجاوز تاريخها عهد رمسيس الثالث. وعثر أيضاً على بعض أوراق الحناء في سلة صغيرة من العصر اليوناني الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

وكانت شجرة الحناء تسمى بالهيروغليفية (بوكر) Bouker وهو اسم كانت تسمى به شجرة مقدسة زعموا أنها كانت تظلل قبر أوزيريس سيد أهل الجنة.

ولا يزال بعض الناس في مصر يعتقدون أن شجرة الحناء أصلها من الجنة وهو زعم قد ورثوه عن أجدادهم الفراعنة فنشاهدهم ينثرون مسحوقها تحت موتاهم مبشرين اياهم بدخول الجنة.

٢- القرطم: Carthamus tinctorius L.

يذكر (لوريه) أن القرطم كان يزرع في حقول القمح. وقد عثر على اسمه من عهد "تيتي" أحد فراعنة الأسرة السادسة واستخرج من أزهاره

العصفر واستخدم في صباغة المنسوجات الحمراء والصفراء وأقدم ما وصل الينا من عهد الأسرة الثانية عشرة. وقد عثر على أكفان كتانية كثيرة مصبوغة بصبغة القرطم الحمراء كما عثر على كمية من بذور القرطم في سلة كبيره في كوم أوشيم من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

٣- السنط: Acacia nilotica Willd.

كان المصريون القدماء يستخدمون بذور شجر السنط (القرظ) في تثبيت الألوان. وقد عثر على كمية منها في كوم أوشيم من العصر الروماني محفوظة يقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي كما عثر على كمية أخرى منها في سقارة من العصر الفرعوني المتأخر.

٤- الرمان: Punica granatum L.

أدخل الرمان في عهد تحتمس الثالث وكان قد جلبه من سوريا في عهد الأسرة الثامنة عشرة. ولا يزال قشر الرمان يستخدم في مصر لصباغة الجلد الأصفر مما يرجح أنه كان يستعمل لهذا الغرض في العصور القديمة.

٥- النيلة: Indigofera tinctoria L

ثبت من الفحص والتحليل أن اللون الازرق الذي استخدم في الصباغة كان يستخرج من النيلة. وأقدم المنسوجات المصبوغة بها يرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة. وقد قام "تومسون" عام ١٨٣٤بفحص بعض

القطع الثابتة التاريخ من الأسرة الثانية والعشرين واتضح أن النيلة المستخدمة فيها من النوع المسمى .Indigofera tinctoria L وأيضاً من العظلم الذي يستخرج من أوراق النبات المعروف باسم Isatis tinctoria L.وكلا النباتين متشابهين ويصعب التمييز بينهما.

ومن المعروف أنه يمكن الحصول على اللون الازرق من هذين النباتين بطريقة تخمير الأوراق التي تحتوي على مادة جوهرية هي Indican ثم تتحول إلى النيلة الزرقاء. وكان نبات العظلم ينمو في الفيوم من العصر القبطي (نحو القرن الرابع الميلادي) كما يتضح ذلك من بردية "أكسير نكوس" Oxyrhynchus.

الراجح أن المصريين القدماء قد استخدموا نبات النيلة في صباغة المنسوجات ولو أنه من الثابت أنهم عرفوا النيلة الهندية ويبدو ذلك واضحاً في صناعة الحبر وكانت تلك النيلة تزرع في مصر إلى عهد قريب.

وظلت الصباغة في مصر تعتمد على المواد النباتية في العصر اليوناني الروماني ثم العصر القبطي إلى أن تفوقت عليها الأصبغة الكيميائية الحديثة.

(ب) نباتات الدباغة

يبدو تفوق المصريين القدماء في دبغ الجلود مما عثر عليه في القبور وبخاصة في الصور التي عثر عليها على جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى.

وذكر (ولكنسون) نباتاً ينمو في الصحراء لا يزال البدو يستخدمونه لإزالة الشعر من الجلد يسمى Periploca secamone L. كما ذكر (ثيوفراست و(بليني) أن المصريين القدماء قد استخدموا ثمار شجر السنط (القرظ) في الدباغة أيضاً بدلاً من العفص ولا تزال هذه الطريقة تستخدم في السودان حتى اليوم.

وأهم الألوان التي استخدمت في تلوين الجلود المدبوغة هي الأخضر والأحمر والأصفر.

الباب الرابع

نباتات الألياف

عنى المصريون القدماء عناية بالغة بالنباتات ذات الألياف التي استخدموها في حياتهم اليومية منذ أقدم العصور. وأهم هذه النباتات هي الكتان والبردي والقطن.

الكتان Linum usitatissimum L.

يعتبر الكتان من أقدم النباتات التي كانت تزرع في مصر منذ عصر ما قبل التاريخ. والمصريون القدماء أول من زرعوا الكتان وغزلوه واستخدموا أليافه في صناعة المنسوجات وكانوا يسمونه "محى" أو "محو" كما سموا نسيج الكتان "مك" أو "معك".

وقد عنى القوم به عناية كبيرة لدرجة التقديس. وكانوا يعتقدون أن الإله أوزيريس قد كفن بنسيج الكتان بعد موته. وكان لهذه العقيدة أثر كبير في بقاء استخدام هذا النبات في المنسوجات حتى العصور المتأخرة.

ويذكر (هردوت) أن الكهان كانوا يرتدون الملابس الكتانية البيضاء أثناء قيامهم بالطقوس الدينية فقد كان رمزاً للطهارة في نظرهم دون سائر الألياف الأخرى. كما كانوا يرفضون إدخال جثث الموتى غير المكفنة به إلى المعابد. ولا يزال هذا الاعتقاد سائداً بين بعض المصريين إذ يعتقدون أن

أحسن الأكفان هي التي تصنع من الكتان. ويوجد نوع من المنسوجات منه ظل استعماله شائعاً حتى السنين الأخيرة يسمى "المرحومي" وقد أشار (بليني) إلى الناحية التجارية لزراعة هذا النبات في مصر.

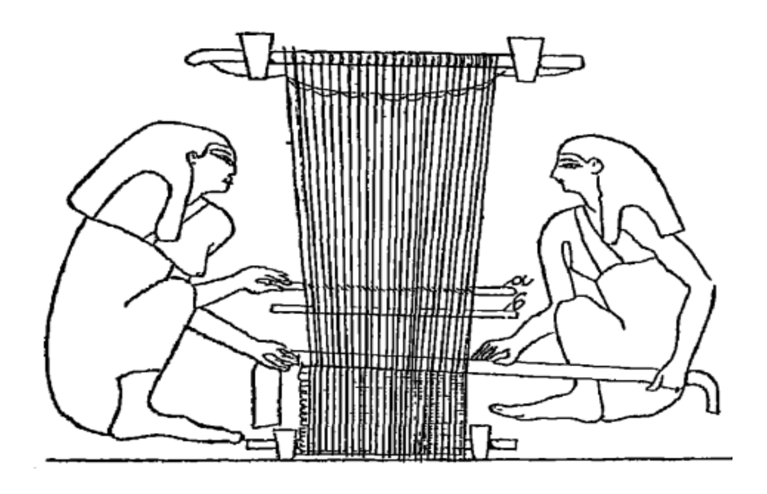
وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الآلهة "نايت" هي التي ابتكرت فن النسيج كما أن هناك متوناً عديدة تشيد بملابس الآلهة ولفائف الموتى. وكانت صناعة النسيج تعتبر بصفة عامة من عمل النساء فقد سبق للآلهتين إيزيس ونفتيس أن "نسجتا وغزلتا وبيضتا" ملابس أخيهما أوزيريس.

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى تمثل امرأتين تقومان بنسيج الكتان على النول اليدوي (شكل ٤٨).

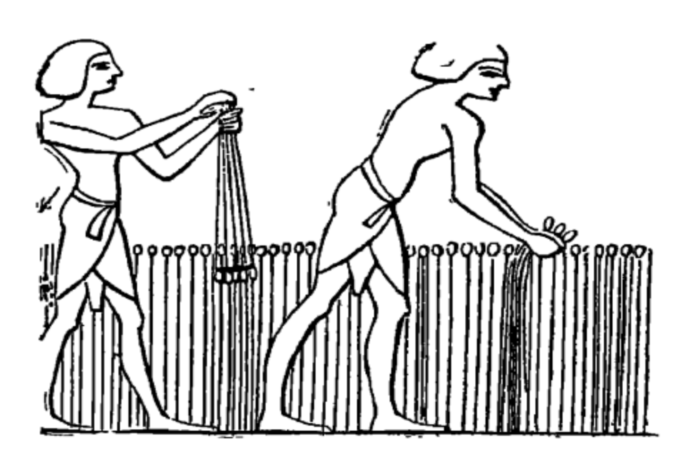
زراعته: كانت المنسوجات المصرية عامة تصنع من الكتان وقد لقيت زراعته وإعداده اهتماماً خاصاً. فكانت بذوره تزرع في الأرض بعد هبوط النيل عقب موسم الفيضان ويترك النبات ينمو حتى يتم نضجه.

وكان الكتان يزرع في كثير من المدن. وقد اشتهرت بزراعته بصفة خاصة تانيس (صا الحجر) وبوتو (تل الفراعين) قرب دسوق. وقامت حول منف (البدرشين) حقول واسعة تزرع أجود الأنواع. ولا تزال بلدة ناهية القريبة منها تعتبر من أهم مراكز زراعته وصناعته حتى اليوم كما اشتهرت به بلدة خمنو (أخميم) وطينة (العرابة المدفونة) قرب البلينا وتنتيرا (دندرة)

ونقادة. وتعتبر بلدة الزرابي مركز أبو تيج وما جاورها من البلاد مركزاً هاماً لزراعته وصناعته في الوقت الحاضر.



(شكل ٤٨) .. امرأتان تنسجان الكتان على النول اليدوي.. أحد قبور بني حسن– عصر الدولة الوسطى



(شكل ٤٩).. عاملان يقتلعان الكتان من جذوره.. أحد قبور طيبة– عصر الدولة الحديثة.. (عن ولكنسون)

أنواعه: وقد وردت أسماء خمسة أنواع مختلفة من الكتان وجدت منقوشة على جدران بعض قبور عصر الدولة القديمة أهمها ما كان يزرع في بوتو وتانيس ودندرة.

ويقول (لوكأس) أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون نوعاً من الكتان يسمى Linum humile Mill. كان يزرع في مصر منذ أقدم العصور وهو النوع الذي وجدت منه كل أنواع نسيج الكتان.

وتدل البذور الكثيرة التي عثر عليها في القبور على أنه كان يوجد نوع خاص منه يختلف عن النوع الذي لا يزال ينمو في مصر اليوم وهو Linum usitatissimum L.

حصاده: كثيراً ما نشاهد على جدران القبور صوراً تمثل جني الكتان وحصاده إلى جانب حصاد القمح (كانت هذه الصور تفسر خطأ بأنها تمثل جني الذرة). فكانت سيقان الكتان تقتلع للحصول على أطول خيوط ممكنة وتحزم في مجموعات تربط وتترك في الحقل لتجف. ونشاهد في (شكل ٤٩) صورة عثر عليها على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة تمثل عاملين يقتلعان الكتان من جذوره. وكانت الحزم تربط من الوسط وعندما يقتلع الكتان من جذوره بنقل إلى الجرن لإجراء عملية التنفيض ثم يحمل إلى رجل مسن ليقوم بنزع رؤوسه بما تحتويه من بذور ثم يمشط بمشط مثبت على الأرض كما يشاهد في الصورة التي عثر عليها على أحد جدران قبر "باحرى" بالكاب من عهد الأسرة الثامنة عشرة (شكل ٥٠). ويفخر الرجل قائلاً للشاب الذي يقدم له حزمة من الكتان:

"إن أتيت بأحد عشر ألفا وتسع فاني الرجل الذي يمشطها (جميعاً)". ويجيبه الشاب: "أسرع ولا تثرثر أيها العجوز"! كما عثر على صورة أخرى على أحد جدران قبور الأسرة السادسة تمثل قلع الكتان وربطه حزماً ثم قيده بمعرفة كاتب الزراعة.

فوائده: يتميز الكتان بقوة احتماله التي تعادل مرتين ونصف من قوة احتمال القطن. وتمتص المنسوجات الكتانية الرطوبة وتعزل الحرارة لذا فهي أنسب كساء للإنسان في الجو الحار الرطب.

ولم تكن فائدة الكتان قاصرة على صنع المنسوجات ولفائف المومياوات وتغطيتها بل استخدم أيضاً في صنع شباك صيد الأسماك والطيور والحبال والأعلام وقلوع المراكب واستخرج من بذوره زيت استخدم في الطقوس الدينية داخل المعابد وكذلك في الطعام والطب والتدليك والتحنيط وغير ذلك من الأغراض المختلفة.

وقد استخدمت فضلات عيدان الكتان بعد دقها في حشو بعض أثاث المنازل وكانوا يضيفونه إلى الطين لزيادة تماسكه أسوة بالتبن ولا تزال هذه الطريقة مستعملة في مصر حتى اليوم.



(شكل ٥٠).. تمشيط الكتان بمشط مثبت في الأرض.. قبر "باحرى" بالكاب– الأسرة الثامنة عشرة

وتدل اللغة المصرية القديمة نفسها على أن فن تضفير أعواد النبات كان في وادي النيل أصلاً لفن النسيج. فكان يعبر عن التضفير بكلمة "سخت" وعن النسيج "سخت. نج" ومعناها الأصلي "التضفير بخيوط الكتان".

ونلاحظ في معظم الأحيان أن الملابس الكتانية قد رسمت على جدران القبور باللون الأبيض وهو أمر طبيعي لأن معظم الأقمشة المنسوجة التي استخدمت في الملابس كانت بيضاء.

وقد عثر في أحد قبور سقارة من الأسرة السادسة على لباس داخلي وطاقية وقطعة جميلة من الكتان قام بصنعها الملك "ببي" كما ذكر في النقوش المكتوبة عليها بالمداد كما عثر (ونلوك) في أحد قبور الأسرة

الحادية عشرة على أقمشة كتانية ذات طيات من النوع المعروف باسم "بليسيه". وعثر أيضاً على ملاءة من الكتان يبلغ طولها حوالي عشرين متراً في تابوت الأميرة (مايت). وفي أحد قبور طيبة من الأسرة الثامنة عشرة عثر على ثلاثة نماذج من الكتان ذي الطيات في غاية الدقة والإبداع أحسنها ذلك النموذج الذي يحتوي على طرازين من الطيات المتعامد بعضها ببعض وهما في هيئة منفاخ الآلة الموسيقية المعروفة باسم (أكورديون). Accordion

وكان النساجون يصنعون أنسجة موشاة بصور ملونة. وقد عثر على أقمشة كتانية موشاة بأسلاك الذهب في قبر تحتمس الرابع بطيبة كما عثر على بعض الأقمشة الكتانية الموشاة بالصور الملونة وكذا على بعض حالات من شغل الإبرة والتطريز في قبر توت عنخ آمون بطيبة كانت تعلق على جدران القصور وتفرش فوق أرضها أو تستعمل سقفاً يظلل حديقة السطح في منازل الإشراف. وعثر أيضاً في الدير البحري بطيبة من عهد الأسرة الحادية والعشرين على عينات من المنسوجات الكتانية تشبه الحرير وجدت على إحدى المومياوات. وفي أحد قبور سقارة من العصر اليوناني الروماني عثر على رداء من الكتان مذهب محلى بمناظر من الأساطير الدينية.

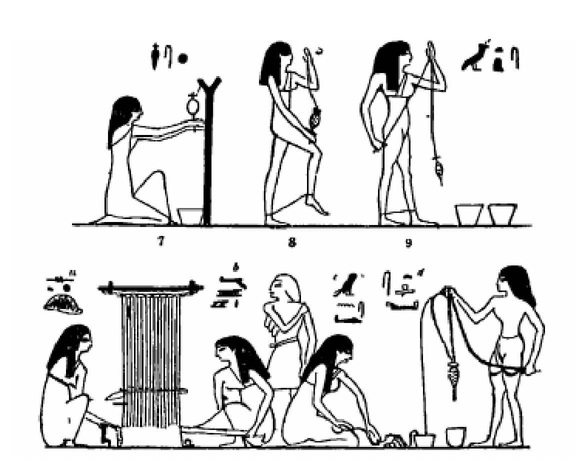
أدوات الغزل والنسيج: تشمل هذه الأدوات المغزل والمشط والنول والبكرة والمكوك وسنتكلم عن أهمها:

المغزل: وكان صغيراً عادة يبلغ طوله حوالي قدم وثلاث بوصات واستخدم في غزل الكتان وظهر في كل الصور التي عثر عليها في القبور والتي تمثل صناعة النسيج كما عثر على عدد كبير منه في قبور طيبة محفوظاً في المتحف المصري وفي قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة وغيرهما من المتاحف. ويتكون المغزل من قرص مستدير من الخشب مركب على قائم رفيع ينتهي بطرف مدبب ليتسنى إدارته بسهولة. ويلاحظ أن المغازل القديمة جداً كانت خالية من السنارة التي يشبك فيها الخيط أثناء الغزل ويوجد بدلاً منها شق صغير يكفي لتثبيت الخيط. وهذا هو الفرق بين المغازل التي يستخدمها القرويون والرعاة اليوم وبين مثيلاتها القديمة. وقد وجدت بعض هذه المغازل في قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة.

مشط الكتان: كانت تصنع من خشب السنط ولها يد لتمشيط الكتان بعد تعطينه ودقه. ويتكون بعضها من عدة أجزاء متصلة بعضها ببعض بواسطة مسامير خشبية من الداخل. ولم يحفظ لنا من أمشاط الكتان إلا مشط من العصر القبطي (حوالي القرن الخامس الميلادي).

مشط النسيج: تتكون من قائمين من جريد النخيل مستقيمين ومتصلان عرضا بعيدان من السمار متساوية البعد عن بعضها وعلى أبعاد ضيقة. ومن هذه المسافات تمر الخيوط المشدودة على المنسج. وبواسطة هذه المشط تضغط على الخيوط العرضية التي تجر من المكوك لذا فهي تتحرك دائماً في يد الصانع كالمكوك.

ويبين (شكل ٥١) صورة عثر عليها في أحد قبور بني حسن تمثل في الصف العلوي نساء يقمن بغزل خيوط الكتان بالمغزل بينما يبين الصف السفلي تحضير الخيوط واستخدام المنسج الرأسي.



(شكل ٥١).. الصف العلوي يمثل نساء يقمن بغزل خيوط الكتان بالمغزل. والسفلي تمثل تحضير الخيوط واستخدام المنسج الرأسي... أحد قبور بني حسن– عصر الدولة الوسطى. (عن ولكنسون)

ولا تزال هذه الأمشاط تستخدم في بعض القرى المصرية بل تشاهد في القاهرة أن المناسج البلدية لا تزال تقتفي أثر المناسج القديمة.

نول النسيج: كانت الأنوال في عصر الدولة القديمة توضع على الأرض في وضع أفقي بينما نشاهد بعض الأنوال من عصر الدولة الحديثة في وضع عمودي رأسي.

ويوجد في متحف برلين نماذج من الأنوال من عصري الدولتين الوسطى والحديثة كما يوجد بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي مدق

من الخشب وبكرة من العظم وأوتاد من الخشب للنسج وأثقال للنول من الطمي والحجر الجيري عثر عليها في الفنتين بأسوان من العصر اليوناني الروماني وكذا أقراص مغازل من الخشب والفخار والحجر ومغازل من خشب ملفوف عليها خيوط رفيعة من الكتان عثر عليها في مدينة العمال بطيبة من عصر الدولة الحديثة.

الكتان في العصر البطلمي: كانت الحكومة تحدد مساحة الأرض التي تزرع كتاناً وتحتم أن يباع لها بسعر معين فقط من محصول الكتان وتبذل قصارى جهدها حتى يزاول النسيج في كل مديرية أكبر عدد ممكن من الأنوال. وعلى كل مديرية أن تقدم للحكومة كمية معينة من الأقمشة والملابس التي أنتجتها. ويبدو أن هذه الكمية كانت نسبة معينة من إنتاج الأنوال العاملة. وفي حالة العجز عن السداد يتعين دفع ثمن المنسوجات بحسب ما حددته اللوائح وكذلك في حالة هبوط المنسوجات عن المستوى المطلوب تفرض غرامات للمحافظة على مستوى الصناعة. وفضلاً عن ذلك كانت الحكومة تفرض على الناسجين دفع ضريبة لعلها كانت ضريبة الترخيص بمزاولة النسيج.

ولما كانت الحكومة لا تشتري كل محصول الكتان ولا تفرض على الناسجين أن يقدموا لها كل منتجاتهم. فإنه يتبين من ذلك أنها كانت لا تحتكر هذه الصناعة احتكاراً كلياً وإن كانت تشرف عليها وقسمهم فيها. ولابد من أن الكتان الذي كانت تفرض بيعه لها بسعر معين كان يصنع في مصانع ملكية غير مصانع الأهالي.

الكتان في العصر القبطي: وقد استمرت مزاولة صناعة غزل الكتان في المنازل إلى جانب المصانع في العصر القبطي وفرضت على الناسجين كضريبة الترخيص بمزاولة صناعة نسج الكتان.

وكانت زخارف المنسوجات الملونة منقوشة بطريقة (التابسري) Tapestry التي سماها العرب (القباطي) نسبة إلى أقباط مصر أي تقاطع خيوط اللحمة بخيوط السداة حتى إذا وصل النساج إلى النقطة التي يريد زخرفتها أوقف عملية الحشو بخيوط اللحمة وأخذ في عمل الزخرفة بخيوط جديدة تختلف في لونها عن خيوط اللحمة الأصلية وقد تختلف عنها في نوعها وذلك بنسج هذه الخيوط الجديدة مع خيوط السداة الأصلية. وبعد الفراغ من عمل الزخرفة تنظم خيوط السداة كما كانت من قبل ثم تستأنف عملية النسيج التي كانت تزاول قبل الزخرفة.

وطريقة (التابستري) هي التي حدقها الفراعنة وبلغوا فيها شأوا عظيماً وقد ورثها عنهم أحفادهم الأقباط وحافظوا عليها طوال العصور.

ولقد كان لجو مصر الفضل الأكبر في بقاء كثير من المنسوجات وحفظ ألوان زخرفتها كما نشاهد ذلك في آثار توت عنخ آمون بالمتحف المصري بالقاهرة وفي المنسوجات والأقمشة المحفوظة بالمتحف القبطي بمصر القديمة التي تشهد بدقة الصناعة.

البردي Cyperus Papyrus L.

يعتبر البردي من أهم النباتات التي اشتهرت بها مصر القديمة وكانت تعد مركزاً هاماً لزراعته.

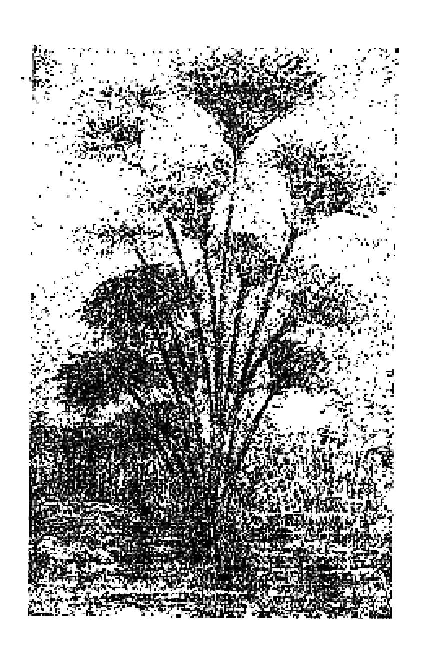
وكان يسمى بالهيروغليفية "سوفي" أي البوص. ولم تظهر هذه الكلمة في اللغة المصرية القديمة إلا في عصر الدولة الحديثة.

وقد عثر على عدة أسماء أخرى للبردي مثل "ايحو" و"وثف" و"ثو" ويسمى الورق بالإنجليزية Paper وبالفرنسية Papier وهما مشتقتان من الاسم العلمي Papyans ويرجح أن تكون كلمة Paper مشتقة من الكلمة القبطية "با. اب. ابور" ومعناها (ناتج النهر) ثم حرفت بعد ذلك إلى الاسم الحالي.

ينتمي البردي إلى العائلة السعدية وكان ينمو بكثرة في مستنقعات الدلتا واعتبره المصريون القدماء النبات الدال على الوجه البحري. وقد انقرض من مصر نظراً لتنظيم الري الدائم. ويوجد اليوم في بعض الحدائق للزينة ويكثر في جهات مختلفة من السودان. ويتراوح طول ساقه بين مترين وثلاثة أمتار عدا الزهرة وقطره حوالي أربعة سنتيمترات.

ويتكون البردي من غلاف خارجي صلب بداخله نسيج رخو أبيض اللون غير أنه يتغير إلى اللون الأصفر مع مرور الزمن وساقه مثلثة الشكل

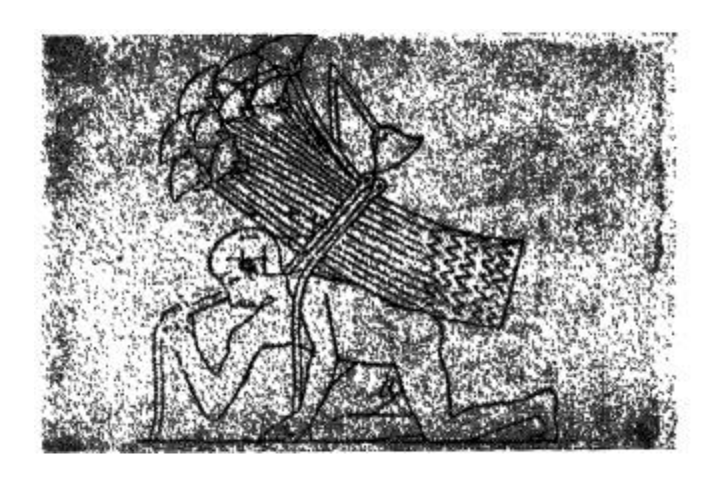
وينمو كل يوم بمقدار يتراوح بين ستة وسبعة سنتيمترات وهي سرعة لا نظير لها في النباتات الأخرى (شكل ٥٢).



(شكل ٥٢) .. نبات البردي.

تقديسه: كان المصريون القدماء يقدسون نبات البردي ويعتقدون أن الزوارق المصنوعة منه تحمي راكب اليم من التماسيح. وكان لهذا النبات في حياة المصريين وحضارتهم أثر خطير. فيذكر (بلوتارخ) أنهم قد صنعوا من أعواده زوارقهم وبخاصة زوارق الصيد يلتمسون فيها السلامة من عدوان التماسيح زاعمين أن الآلهة إيزيس قد ركبت زورقاً من البردي وجابت به القنوات باحثة عن أشلاء زوجها الإله أوزيريس.

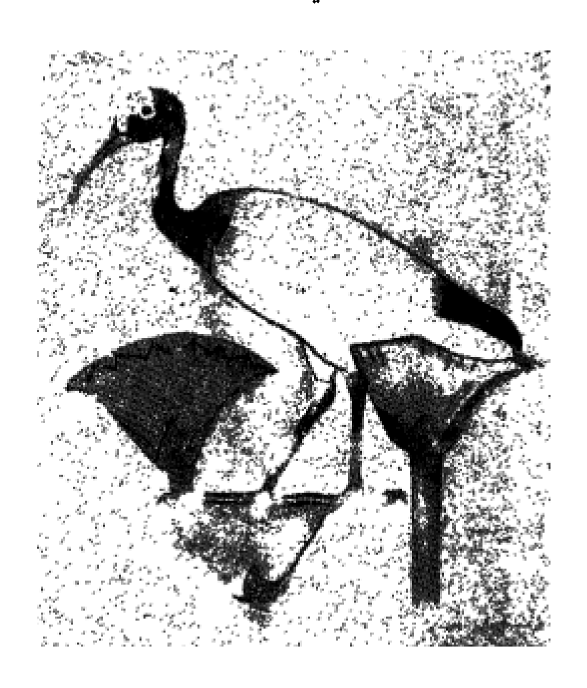
جمعه وإعداده: لم تبين لنا نقوش عصر الدولة الحديثة شيئاً جديداً عن كيفية جمع البردي وإعداده. ويقول (هردوت) أن المصريين كانوا يقتلعونه من المستنقعات حتى يحتفظ بطول الساق ويقطعون الجزء الأعلى منه ويفيدون منه في أمور عديدة بينما الجزء الأسفل الذي يتبقى وطوله ذراع تقريباً يأكلونه أو يبيعونه. أما المولعون جداً به فيأكلونه بعد طبخه في فرن محمى. فإذا نزعت سيقانه من الأرض قطعت أسافلها الغليظة إلى قطع متساوية الطول ثم ربطت حزماً. وكانوا يربطون السيقان المتوسطة الغلظة حزماً ويحملونها على ظهورهم حيث يشاءون كما نشاهد ذلك في الصورة التي عثر عليها في قبر "أوخ. حتب" بمير من عهد الأسرة الثانية عشرة ويستخدمونها في صنع الزوارق الخفيفة. أما السيقان الرفيعة جداً فكانت تقطع إلى نصفين وتستخدم كأربطة لحزم الربطات (شكل ٥٣).



(شكل ٥٣).. عامل يحمل محصول البردي على ظهره... قبر "أوخ. حتب" بمير– الأسرة الثانية عشرة

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبر "خنم. حتب" ببني حسن من عصر الدولة الوسطى تمثل الطائر المقدس أبو منجل "ايبس" وهو يعتلي نبات البردي (شكل ٥٤) كما عثر على سيقان البردي وأزهاره ورءوس عيدانه في توابيت فراعنة الأسرة الثامنة عشرة. وهناك أكاليل جنائزية من البردي عثر عليها في أحد قبور كوم أوشيم من العصر الروماني.

فوائده: نظراً لارتفاع ثمن ورق البردي كان القوم يستخدمونه أكثر من مرة وذلك بمحو الكتابة التي عليه بالماء وإعادة كتابة غيرها مرة ثانية. وقد استخدمت شظايا الحجر الجيري التي كان التلاميذ يتمرنون



(شكل ٥٤).. الطائر المقدس أبو منجل "ايبس" يعني نبات البردي.. قبر "خنم. حتب" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى

عليها في المدارس في الأعمال اليومية حيث لم يكن يسمح باستخدام ورق البردي إلا للمتقدمين من الطلاب. أما ألواح الكتابة الخشبية فكان التلاميذ وغيرهم يستخدمونها بعد تغطيتها بطبقة رقيقة من الجص حتى يتسنى محو الكتابة بعد انتهاء الغرض منها واستخدام اللوح مرة أخرى.

وكان ورق البردي من مكملات دور الكتب القديمة. وقد احتفظ به لسد مطالب الجهاز الحكومي. فقد كان فيه تسجيل لكثير مما وصل إليه المصريون القدماء من علوم الطب والفلك والرياضة وفيه كثير من القصص الرائع وآدابهم وأخبار حروبهم ومعاركهم الكبرى. وفيه تصوير لبعض نواحي الحياة المصرية بما فيها من جد وهزل ولعب ولهو. كما احتوى على الكثير من صور الحياة الدينية وبخاصة ما يسمى (بكتاب الموتى) وهو عبارة عن قرطاس من البردي يحتوي على بعض الأدعية والصلوات كان الناس يحرصون على وضعها مع الميت لنفعه في العالم الآخر- وكذا أخبار الآلهة المصرية وما نشأ حول حياتها من أساطير وتصوير الحياة الأخرى كما تخيلوها في عصورهم المختلفة. وهذا الورق سريع التلف. وقد تبين أن أحسن طريقة لفتحه وحل وموزه هي وضعه بالقرب من بخار الماء ونشره بعناية تامة حتى يمكن تمييز وجه البردية عن ظهرها. فإذا كانت الكتابة أفقية مع الألياف دل ذلك على أنه الوجه. أما إذا كانت عمودية فمعنى ذلك أنه الظهر. ومع ذلك فقد يجد المرء عند فحصه إحدى البرديات أن الكتابة متعامدة مع الألياف وفي هذه الحالة يقرر الخبير أنه وجه البردية. وقد اكتشف هذه الكتابة وبحثها العالم الألماني "ابشر". Ibscher.

وتزخر معظم المتاحف في مصر والخارج بمجموعات كبيرة من أوراق البردي. وقد استخدم في كتابتها اللونان الأسود أو الأحمر. فاستخدموا الأسود في الكتابة العادية بينما الأحمر استخدموه في كتابة فقرات خاصة كالعناوين أو الكلمات الأولى في الفصول أو أسماء الآلهة الهامة. وكانوا يصنعون هذه الألوان من مادة الكربون أو أكسيد الحديد أو المغرى الحمراء أو أكسيد الرصاص الأحمر (السلاقون). وقد استخدموا في هذه الكتابة قلماً عبارة عن ساق رفيعة من نبات السمار أو سيقان البوص يصبح طرفه كالفرشاة. وعن طريق الضغط تنفصل الألياف ثم يغمس طرفه في المداد ويخط به الكتابة أو الرسم المطلوب.

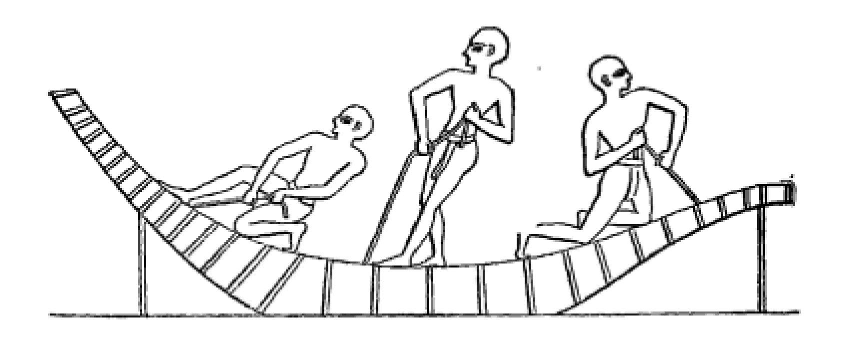
زوارق البردي: كان الإغريق ينظرون إلى الزوارق المصنوعة من البردي بإعجاب كبير ولا يزال يستخدم نظيرها في السودان حتى اليوم. وهي في الواقع لم تكن إلا مجرد أطراف لا حافة لها تتألف من عيدان البردي يشد بعضها بعضاً بحيث تكون في الوسط أعرض منها في طرفيها. أما المؤخرة فكانت مرتفعة ذات انحدار شديد في حين تنبسط المقدمة فوق الماء.

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبور عصر الدولة القديمة تمثل عمالاً يقومون بصنع زورق من البردي (شكل ٥٥).

ولم يكن الأمر يحتاج في أصغر الزوارق– ولم تكن تسع أكثر من شخصين– إلى غير طول عيدان البردي. أما الزوارق الكبيرة فكان لابد لها من عدة أطوال توصل معاً بمهارة فائقة. وكان صنع هذه الزوارق يعتمد

على أحكام شد البردي شداً وثيقاً ثم ربطها على مسافات قصيرة بواسطة الحبال. ولكي يتجنبوا ما قد ينجم عن أضرار الرطوبة المتسربة إليها كانوا يفرشون على أرضها حصيراً سميكاً وبخاصة إذا أعدت لاستخدام أحد الأشراف.

وكانت هذه الزوارق ذات الغور الضئيل تصلح لركوب الماء الضحل في المستنقعات. وحيثما كان الماء في غاية الضحولة أمكن حملها في يسر إلى حيث يزيد عمق الماء. وقد استخدمها دون سواها كل من يتصل عمله بهذه المستنقعات كالرعاة وصيادي أفراس النهر والطيور والأسماك وكان يمكن إجادة توجيهها بسهولة نظراً لخفتها وصغرها.



(شكل ٥٥).. عمال يقومون بصنع قارب من البردي. عصر الدولة القديمة (عن ولكنسون)

ولم تكن هذه الزوارق تجري بالتجديف على النحو المعروف أولها أشرعة وإنما كانت تدفع بالمرادي ذات الشوكتين من أسفل ليحسن غرزها في الأرض. وكانوا يستخدمون مجاديف عريضة الرأس يضرب بها سطح الماء بخفة ويكفي أقل ضربة في الماء لجعلها تنزلق على سطح الماء الأملس.

على أن استخدام البردي كانت له نواح أخرى كيفية النباتات ذات الألياف. فاستخلصوا من جذوره طعاماً للفقراء وطريقتهم في



(شكل ٥٦).. رجل يحمل باقة من نبات البردي.. قبر "أوسرحت" بالشيخ عبد القرنة بطيبة– عصر الدولة الحديثة

ذلك هي قطع الجزء الأسفل من ساقه مما يلي الجدر ومصها أو طبخها ثم أكلها بعد ذلك كما صنعوا من أوراقه وسيقانه الحصر والسلال والنعال والفرش والأكياس وكانوا يجدلون منه الحبال ويصنعون من جذوره الفحم ومن مخلفاته الوقود ومن أزهاره الأكاليل والباقات.

وهناك صورة عثر عليها على أحد جدران قبر "أوسرحت" بالنسيج عبد القرنة بطيبة من عهد الأسرة الثامنة عشرة تمثل رجلاً يحمل باقة من نبات البردي (شكل **٥٦**).

ويذكر (لوريه) أن الصندوق الذي وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام وهو طفل وألقى في اليم كان مصنوعاً من البردي ومطلياً بالقار.

القطن Gossypium barbadense L.

اختلف المؤرخون في تاريخ إدخال زراعة القطن إلى مصر. فيرى بعضهم أنه كان يزرع منذ عهد قديم جداً بينما يرى بعضهم الآخر غير ذلك.

والمعروف أن الهند هي أصل القطن وأنه كان ينسج هناك منذ القرن الخامس قبل الميلاد ومنها انتشرت زراعته في البلاد الواقعة منها غرباً.

ولم يرد في الوثائق التاريخية ما يثبت زراعته في مصر ولو أنها أشارت بوضوح إلى ما يدل على أن مصر كانت تستورد المواد الخام اللازمة للنسج من آسيا وغيرها. ولا يخفى أن المصريين القدماء كانوا يحدقون نسج الأقمشة الكتانية التي كانت منتشرة في مصر. ومن المحتمل أنهم وجهوا عنايتهم إلى نسج القطن حينما أصبح في متناول أيديهم الحصول على الخامات اللازمة لهذه الصناعة من الخارج وذلك قبل التفكير في زراعته جدياً.

الوثائق التاريخية وأقوال المؤرخين عنه :

ولشرح ذلك ينبغي لنا أن نستعرض الوثائق التاريخية التي تتصل بالقطن وعلاقته بمصر منذ العصور القديمة.

ولقد تضاربت الآراء حول استخدام القطن في مصر ومعرفة المصريين القدماء له. فيذكر (هردوت) أنه "ينمو في بلاد الهند أشجار صوف بربة تنتج صوفاً أجمل وأنفس من صوف الغنم. وهذه الأشجار تمد الهنود بالملابس وأنهم كانوا يلبسون ثياباً من صوف الشجر".

وقد ورد على اسطوانة أسورية من عهد الملك سنحاريب (حوالي القرن السابع قبل الميلاد) ذكر أشجار تحمل صوفاً. كما يذكر (هردوت) أن الفرعون أحمس الثاني من عهد الأسرة السادسة والعشرين أهدى قميصين مصنوعين من الكتان عليهما صور حيوانات كثيرة أحدهما للساميين (الاسبرطيين) والآخر لمعبد في لندس كانا مطرزين بالقطن وكل خيط في القميص يستحق الإعجاب.

ويروى (نيوفراست) أن جزيرة تيلوس أي بلاد البحرين (الخليج الفارسي) ينمو فيها أشجار كثيرة تنتج الصوف- يقصد القطن- كما يشير إلى أقمشة منسوجة منه ويذكر أن "هذه الشجرة توجد في الهند وبلاد العرب".

وقد نقل (بليني) عن (تيوفراست) هذا الوصف ولكنه فرق بين الأشجار التي تنتج "صوفاً" وبين تلك التي توجد عليها شرانق دودة القز وهي أشجار التوت.

ويحدثنا (بليني) أيضاً أن الجزء الشمالي من مصر المجاور لبلاد العرب كان يزرع شجرة تسمى "زايلينا" Xylina أو "جوسيبيون" Gossypion وأن أثمن الملابس التي يلبسها الكهان في مصر كانت مصنوعة من القطن ولو أنهم كانوا يستخدمون الملابس الكتانية. وقد جاء ذكر القطن ضمن النقوش الموجودة على (حجر رشيد) فروى أن الحكومة كانت تقدم للمعابد هدايا من الملابس القطنية. وثمار القطن تشبه ثمار البندق وفيها صوف يصلح للنسيج ولا يوجد ما يضارعه في نعومته وبياض لونه. ويرجح أن النبات الذي يقصده (بليني) هو القطن الذي يوجد اليوم بحالته البرية في سنار أو هو نوع من القطن كان ينمو في المناطق الحارة في أفريقيا. كما يذكر (بليني) أن "أثيوبيا التي تتاخم مصر لا توجد بها عموماً أشجار مشهورة سوى تلك التي تنتج الصوف".

وقد فحص (دفريا) Deveria بباريس قطعة من قماش مصري قديم واتضح له أنها من القطن وبذا ثبتت رواية (بليني).

وأقدم أقمشة قطنية عثر عليها في بلاد النوبة من العصر الروماني. ويذكر (ريزنر) أنه عثر على بعض المنسوجات القطنية من هذا العصر في بلدة مروى بالسودان. وهناك وثيقتان قديمتان تشيران إلى استخدام القطن

في بلاد النوبة يرجع تاريخ أحداهما إلى عام ٢٥٠ ميلادية والأخرى متأخرة عن الأولى بنحو ثمانية قرون.

ويروي (روزلليني) أنه عثر على بذور القطن في وعاء من الفخار في أحد قبور طيبة محفوظة اليوم في متحف فلورنسا واتضح من فحص هذه البذور أنها من نوع القطن الشجري. Gossypium Arboreum

وقد عزز (دي كاندول) هذا الكشف فقال: "إن روزليني واثق بأنه لم يخدع. فقد كان أول من فتح القبر والوعاء الذي يحتوي على هذه البذور. ولم يعثر أو يقرأ أحد من علماء الآثار شيئاً خاصاً عن زراعة القطن في عصور المدنية المصرية القديمة. فكيف لم يوصف بأزهاره وبذوره إذا كان مزروعاً في ذلك الحين" كما يقول: "إن الأقمشة التي كانت الجثث المحنطة مسجاة فيها والتي كان يظن أنها من نسيج القطن اتضح أنها من الكتان كما قرر بعض الخبراء الذين استخدموا المجهر أنه إذا كانت البذور التي عثر عليها قديمة حقاً فإنها كانت درة غير مألوفة الاستعمال، وربما كانت من شجيرات وجدت بإحدى الحدائق أو وردت من المناطق الممطرة بالسودان الذي كان واقعاً ضمن الحدود المصرية حيث كانت شجرة القطن تنمو برياً في ربوعه".

ويذكر بعض المؤرخين أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون كميات كبيرة من القطن لتأثيث المنازل وأغطية الكراسي وفي أغراض شتى.

وقد عثر (بشتلى) على مخلفات من منسوجات وسلال وحبال وآثار نباتية في حفائر جمعية الآثار القبطية بدير أنبا "فويبامون" في الصحراء قرب ببيان الملكات بطيبة عام ١٩٤٧ يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وتبين من فحص المنسوجات أن بعضها مصنوع من القطن.

وقد انتشرت زراعة القطن في العصر البطلمي والروماني واستخدمت تيلته في صناعة ملابس الكهان. وكانت مصر تصدر المنسوجات القطنية إلى روما غير أن بعض العلماء يظن أن هذه المنسوجات لم تعرف في مصر إلا بعد الفتح العربي بضعة قرون وأن الأقمشة التي عثر عليها– ويرجع تاريخها إلى أقدم من هذا– كانت مستوردة ولم تنسج في مصر.

ويذكر (ابن الأفضل) الأندلسي عام ١٠٩٧ ميلادية وصفاً مفصلاً لازدهار القطن في العصر الإسلامي.

كما يذكر (أبو عثمان الصفدي) في قائمته المفصلة عن المحاصيل في عام ٦٤١ هجرية (١٢٤٣ ميلادية) أن كميات قليلة من القطن كانت تزرع في منطقة الفيوم.

ويروي (المقريزي)– وقد توفى عام ١٤٤٢ ميلادية– عن زراعة القطن في مصر أن البذور كانت تزرع في شهر برمودة (أبريل) ويبلغ تمام نموها في شهر توت (سبتمبر) كما يذكر أن هذه البذور كانت تطعم للخراف لتسمينها وأن غلة الفدان تصل إلى ثمانية قناطير.

ويذكر (الغزي)– وقد توفي عام ١٤٧٧ ميلادية– في كتابه عن الزراعة وصفاً مطولاً لزراعة القطن في الشرق الأوسط ويقول أنه كان يزرع في كل من الحجاز ومصر أن البذور كانت تبذر من بداية فبراير حتى منتصف مارس لزراعة (البعلي) وفي أبريل لزراعة (المسكاوي).

أما (داود الانطاكي)– وقد عاش في القاهرة نحو عام ١٥٩٩ ميلادية– فيذكر أن القطن كان يزرع في مصر كمحصول سنوي يبذر في برمودة (أبريل) ويكمل نموه في أكتوبر ويحمل ثماراً في هيئة التفاحة.

ويروي (الأدريسي) أن بلدة البهسا بمصر العليا كانت مشهورة بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية. وقد تكلم العلماء الذين رافقوا الحملة الفرنسية إلى مصر عن القطن.

وفي عهد مُحَّد علي عثر (جوميل)– وهو مهندس فرنسي استدعته الحكومة المصرية لتنظيم صناعة النسيج في مصر عام ١٨٢٠– على شجيرات قطن للزينة في إحدى الحدائق وأعجب بطول شعرة هذا النبات ومتانته يعمل على الإكثار من بذوره. ولما نجحت زراعته بيع الناتج منه بثمن غال ثم بدأت زراعة القطن في الانتشار تدريجياً وحلت محل الأصناف القديمة وكانت سبباً في زراعة القطن في مصر.

الباب الخامس

المحاصيل البستانية

مقدمة :

أغرم المصريون القدماء بالمحاصيل البستانية وعنوا بمنتجاتها الكثيرة عناية بالغة. وقد أكثروا من غرس أشجار الفاكهة في الحدائق كالبلح والعنب والتين والرمان ووجدت رسومها على جدران القبور واحتلت مكاناً بارزاً على موائد القربان.

أما الخضر فقد استخدموها بكثرة في طعامهم وكانوا يقدمون معظم أنواعها كالخس والبصل والكرات والقثاء قرباناً للآلهة.

كما عنى القوم بزراعة الأشجار الخشبية كالجميز والسنط والصفصاف والأثل والبرساء واستخدموا أخشابها في أغراض شتى. وتذكر لنا المتون المصرية أنواعاً كثيرة من الأشجار المجلوبة من الأقطار المجاورة كالعرعر والأرز والابنوس والبلوط.

وكان المصريون مغرمين بزراعة الحدائق وتنسيقها. والصور التي عثر عليها على جدران القبور تبين شدة ولعهم بها وبالأشجار والأزهار المختلفة المنتشرة فيها.

كما عنوا بتربية الأزهار عناية فائقة وكانت تحتل مكاناً بارزاً في حياتهم اليومية فيتزينون بها ويقدمونها لضيوفهم في الولائم والحفلات. وأهم الأزهار التي عرفوها اللوتس والعنبر والنرجس والزنبق والياسمين والريحان والورد.

الفاكهة

كان المصريون القدماء يعرفون ما للفاكهة من قيمة غذائية فأكثروا من غرس أشجارها في الحدائق والمعابد فازدانت بها موائد السراة والفقراء على حد سواء كما يبدو ذلك من الصور التي عثر عليها على جدران القبور وما قدم منها على موائد القربان.

وقد احتلت الفاكهة مكانة ممتازة في الفن المصري القديم. فاتخذت الأعمدة التي تمثل النخيل طرازاً مميزاً منذ أقدم العصور كما أن نماذج الحلي وأدوات الزينة كالقلائد والأقراط الخزفية قد نظمت حياتها في هيئة ثمار الرمان. وكانت ثمار البلح والعنب من أحسن ما ادخروه في الحياة الدنيا والآخرة.

وأهم الفاكهة التي عرفوها نخيل البلح والدوم والعرجون والتين والعنب والرمان والزيتون والخوخ والمشمش والقشطة والتوت واللوز والبندق والجوز (عين الجمل) والخروب كما عرفوا الجميز والهجليج والنبق والمخيط وهي من الأشجار مزدوجة الأغراض وسنتكلم عنها في الأشجار الخشبية.

وهناك فاكهة أخرى كالتفاح والبرقوق والكمثرى والسفرجل لم يعثر على آثار لها في القبور حتى اليوم ويرجح أن زراعتها قد جلبت إلى مصر من الأقطار المجاورة في العصر الروماني.

وكان القوم يزرعون التفاح ويسمونه "دبح" وقد حرفت إلى الكلمة المعروفة به اليوم في العربية. وقد انتشرت زراعته في عهد الأسرة التاسعة عشرة حيث قام رمسيس الثاني بزراعته في الدلتا بينما كان رمسيس الثالث يرسل سلالاً مليئة به إلى كهان طيبة لتقديمها قرباناً.

وكانت زراعة الفاكهة في العصر اليوناني الروماني تؤدي إلى استثمار مساحات شاسعة من الأراضي تجبي عنها ضرائب تأتي للملك بأموال طائلة وقد تعددت مظاهر تشجيع البطالمة لها فكانوا يمنحون زراعها ملكية الأراضي التي يزرعونها.

نخيل البلح Phoenix dactylifera L.

يعتبر نخيل البلح من أهم الأشجار التي ازدانت به حدائق المصريين القدماء فمنظره يؤثر في النفس لما فيه من الهيبة والجلال. وإذا نظر المرء إلى جذوعه العارية المرتفعة ظن أنه يشاهد تلك الأعمدة الرشيقة التي أبدع الفنان المصري القديم صنعها وقد اتخذ الفنان من النخيل مورداً لا ينضب لوسائل الزخرفة وكثرت طرز الأعمدة التي تمثله في القبور والمعابد طوال العصور التاريخية.

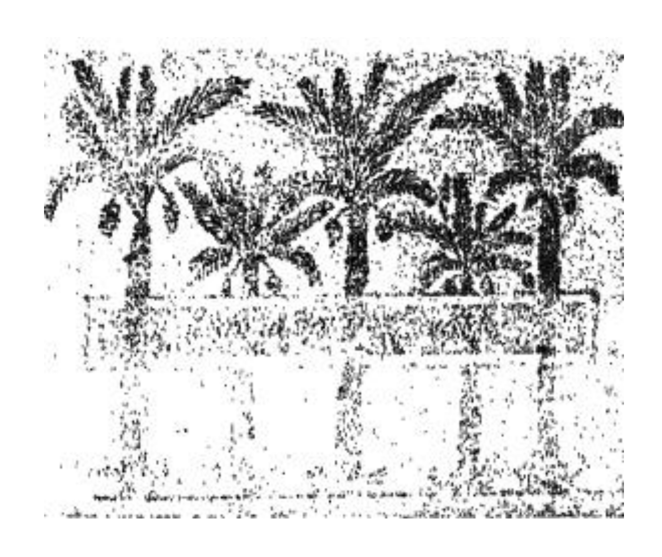
وأصل نخيل البلح من بلاد العرب وأثيوبيا وقد عرفوا منه أنواعاً كثيرة وكان يعتبر (نبات أوزيريس). ويذكر (هورابوللو) أن أغصان النخيل كانت ترمز للسنة.

وجاء في (بردية هاريس) أن رمسيس الثالث قال: "أنشأت لك بستاناً وغرست فيه أشجار السنط والنخيل وزينت أحواضه باللوتس والبردي".

وقد عثر على بقايا جذوع النخيل في الواحات الخارجة من العصر الحجري القديم كما عثر على مومياء ملفوفة في حصير من سعف النخيل بجهة الرزيقات من عصر ما قبل الأسرات وعلى نخلة صغيرة كاملة حول مومياء في أحد قبور سقارة من الأسرتين الأولى والثانية. وقد وجد سقف قبر من جذوع النخيل في سقارة من الأسرة الثانية وبسقف آخر من الحجر منقوش عليه جذوع النخيل في قبر "رع. ور" بالجيزة وقبر "بتاح. حتب". بسقارة من الأسرة الخامسة كما وجدت صور نخيل البلح على جدران القبور وبخاصة من الأسرة الثامنة عشرة ضمن نقوش معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحري بطيبة. وتدل تلك النقوش على أنه جلب من بلاد "بنت" (الصومال).

ونشاهد في إحدى الصور التي عثر عليها على أحد جدران قبر "رخميرع" بطيبة من عصر الدولة الحديثة نخيل البلح شامخاً في الجو حول حوض به ماء (شكل ٥٧).

وكان القوم يقدمون سعف النخيل مع البلح المجفف بكميات وفيرة



(شكل ٥٧).. نخل البلح حول حوض به ماء... قبر "رخميرع" بطيبة– عصر الدولة الحديثة

قرباناً لإله النيل ويتيمنون بثماره كما كانوا يصنعون من السعف الباقات والأكاليل الجنائزية ويجعلون منه مثوى لبعض الجثث.

وذكر (ولكنسون) أن المصريين كانوا ينثرون السعف في الطرقات التي تمر بها الجنازات ولا يزال بعض المصريين يتبركون به فيحملون الباقات المصنوعة منه إلى القبور ويوزعون ثماره صدقة على أرواح موتاهم.

وقد عثر على صورة تمثل رجالاً يحملون سعف النخيل في طريقهم إلى قبور موتاهم (شكل ٥٨). وقد اعتاد المسيحيون أن يحملوا سعف النخيل المضفور في عبد (أحد السعف) تذكاراً للدخول للسد المسيح مدينة أورشليم ظافراً. وقد استقبله الشعب حاملين سعف النخيل مع أغصان

الزيتون. وقد يرجع السبب في اختيار السعف إلى خضرته والخضرة ترمز للحياة المتجددة أو لأنه قد أخذ من قلب الشجرة والكتاب المقدس يقول: "يا ابني أعطني قلبك". وقد عثر على باقات من سعف



(شكل ٥٨).. رجال يحملون سعف النخيل في طريقهم إلى قبور موتاهم... (عن ولكنسون)

النخيل المضفور في قبور العساسيف بطيبة وتبتنيس بالفيوم يشبه إلى حد كبير ما يستخدمه المسيحيون في أعيادهم اليوم.

وقد ذكر النخيل في (سفر الأمثال) من التوراة إذ يقول: "والصديق كالنخلة يزهو وكالأرز في لبنان ينمو". كما ذكرت في القرآن الكريم في سورة مريم: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً} [مريم:٢٥].

وتضفير السعف قد يكون فكرة ترمز إلى الاتحاد لأن الاتحاد قوة كالسلسلة المتصلة الحلقات يأخذ بعضها برقاب بعض.

وقد استخدم النخيل وأجزاؤه في صناعة الأدوات اللازمة للفلاح في الحقل والمنزل. فاستخدم الجريد في صناعة العصي والكراسي الخفيفة والسعف في صناعة الحصر والسلال والنعال والأطباق والعبوات والعثاليج في صناعة الفراجين والمكانس والألياف في الاغتسال وجدل الحبال.

وكانوا يجنون الثمار طازجة ويأكلون بعضها ويحفظون بعضها الآخر. ويذكر (ل. كيمر) أنه رغم وجود آثار للنخيل من عصر ما قبل الأسرات إلا أن الثمار لم يعثر عليها حتى عصر الدولة الوسطى.

وقد عرف المصريون القدماء التلقيح الصناعي عن البابليين في عصر الدولة الحديثة. وعثر في بعض قبور هذا العصر على أنواع عديدة من البلح الصالح للأكل بعكس البلح الذي عثر عليه في قبور عصر الدولة الوسطى فقد كان صغيراً وقليل الحلاوة نسبياً ويسمى هذا النوع في بلادنا اليوم (بلح صيص).

وقد عثر على كأس جميلة من الخزف الأزرق من عصر الدولة الحديثة نقش عليها صورة لأربعة صبية وهم يجنون ثمار البلح بينما القردة تساعدهم في جنيها كما عثر على عقد يمثل البلح وحياته من الخزف الأخضر في أحد قبور الأسرة الثامنة عشرة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

وورد ذكر البلح ضمن نقوش قبر "نفر. معت" بميدوم من الأسرة الرابعة باسم "بنرت" كما سمى "أمت" ولعلها نفس الكلمة التي تطلق اليوم على نوع من البلح يسمى (أمهات).

وهناك أسطورة للبلح تدل على قيمته الغذائية عند القساوسة والرهبان عثر عليها في بعض الأديرة القبطية ولعل ذلك راجع إلى أنه كان طعام السيدة العذراء مدة حملها بالسيد المسيح.

نخيل الدوم Hyphaene thebaica Nart.

نخلة الدوم أفريقية الأصل كانت تزرع في مصر منذ أقدم العصور وتكثر في الواحات الخارجة ومصر العليا وبلاد النوبة والسودان وتزرع في بعض حدائق القاهرة وكانت تسمى "ماما".

ويعتبر نخيل الدوم من أشجار الزينة التي زرعت في الحدائق لجمال شكل هـ وهو بطئ النمو وغلاف النواة خشبي واستخدمت جذوعه في بادئ الأمر دعامات لأسقف المنازل وساريات السفن. ويمتاز خشبه بعدم قابليته لفتك الحشرات وخاصة الحشرة القارضة ويزيده الماء صلابة بخلاف المواسير المعدنية التي تتأكسد وتتآكل على مر الزمن.

وقد عثر على ماسورة بئر بجهة المحاريق بالواحات الخارجة مصنوعة من خشب الدوم من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي تتكون من نصفين طوليين مفرغين ينبتان مع بعضهما

بتعاشيق خشبية. ولا زالت هذه المواسير تستخدم في الواحات حتى اليوم في الآبار العميقة وهي تقام رأسياً في فوهات العيون فتتدفق منها المياه.

وكانت تصنع من سعف النخيل المقاطف والسلال والحصر والأطباق والنعال ومن أليافه الحبال. وقد صنعت حبال أسطول الفرعون "ساحورع" من هذه الألياف وبلغ طول الحبل منها نحو ثلاثمائة ذراع.

وقد عثر على ثمار الدوم في قبور البدارى من عصر ما قبل الأسرات. وعثر على أول صورة لنخيل الدوم في قبر "كا. ام. نفرت" من عصر الدولة القديمة كما عثر على ثماره في جبانة اللاهون من عصر الدولة الوسطى. ووجدت صور الدوم على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة كما وجدت ثماره في قبور دير المدينة بطيبة وقبر توت عنخ آمون. وقد وجدت جذور الدوم في أكوام من الطمي في تونا الجبل عام **١٩٣١** من العصر اليوناني الروماني ووجدت الثمار في قبور سقارة وكوم أوشيم والفنتين من العصر اليوناني الروماني.

وقد ذكر نخيل الدوم في (بردية إيبرس) الطبية واستخدمت القردة لجني ثماره. وتشاهد على أحد جدران قبر "سن. نجم" بطيبة من الأسرة التاسعة عشرة صورة تمثل أشجار الجميز ونخيل البلح والدوم وهي مليئة بالثمار ويلاحظ دقة التعبير والتمييز بين الأشجار المختلفة (شكل **٥٩**).



(شكل ٥٩) .. صورة تجمع بين أشجار الجميز ونخيل البلح والدوم... قبر "سن. نجم" بطيبة– الأسرة التاسعة عشرة

وقد درب المصريون القدماء القردة للمساعدة في جني ثمار الدوم نظراً لحبها لها فكانت تسرع إلى النخيل وبعد أن تترك لحظة عليه يجذب صباحها فتثور وتلقى بالثمار وتتكرر هذه العملية حتى تلقى بعدد كبير منها فيجنونه في سلال. وكانوا يأكلون الثمار ويقدمونها ضمن القرابين للآلهة.

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة تمثل الشريف "نخت آمون" وهو يشرب بخشوع من ماء (الايمنتى) Imenti المقدس– وهو عالم الغرب في عقيدة المصريين القدماء تحت نخلة دوم ذات سبائط كبيرة– ويلاحظ أن جذع هذه النخلة يعو التفرع الثنائي من أعلى وهو من أهم خصائص نخيل الدوم (شكل ٦٠)



(شكل ٦٠) .. الشريف "نخت آمون" يشرب بخشوع من ماء (الايمنتى) المقدس تحت نخلة دوم ذو سبائط كبيرة.. أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة

نخيل العرجون edemia argun Mart. Württemb. Exh. Wendl.

يعتبر نخيل العرجون من الأشجار الهامة وأصله من بلاد النوبة. وقد عثر على ثماره في القبور ضمن القرابين التي كانت تقدم للآلهة مع ثمار البلح والدوم كما عثر على نقوش تمثل هذا النوع من النخيل وكان يسمى "ماما. ان. خنت" أو "ماما. ان. خانين" ,Mama. En. Khent Mama. En. Khanin. للتفرقة بينه وبين اسم "ماما" Mama الذي سمى به نخيل الدوم.

وكان يظن أن ثمار نخيل العرجون لا تؤكل إلى أن وجد أن النوبيين يكمرون (يدفنون) الثمار في الأرض لمدة ما ثم يأكلونها حيث أن مذاقه

يقرب من مذاق جوز الهند ومن الواضح أنه إذا كانت هذه الطريقة تمارس عند المصريين القدماء فإن ذلك يفسر سبب تقديم تلك الثمار ضمن القرابين للآلهة.

وقد عثر على ثماره في القبور وبخاصة في أحد قبور طيبة من عهد الأسرة الثامنة عشرة كما عثر على صورة على أحد جدران قبر "انيني" بالشيخ عبد القرنة بطيبة وعلى ثماره في قبور الفنتين بأسوان من العصر اليوناني الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

ويذكر (شفينفورت) أن نخيل العرجون لا يزال ينمو في بلاد النوبة وكردفان. وتقول (فيفي تأكلهم) ودكتور لطفي بولس الذي تفضل بإهدائي صورة حديثة لهذا النخيل وجده في واحة دنقل بالصحراء النوبية (شكل ٦١)- وتبعد نحو مائتي وعشرين كيلو مترا جنوب غرب أسوان- كما وجد في بير نخيل- وتبعد نحو مائتي كيلو مترا غرب أسوان. وتتميز هذه النخلة بأنها فارغة الطول غير متفرعة الساق ذات أوراق مروحية الشكل وثمارها صغيرة ذات لون بنفسجي يميل إلى البني.

وكان القوم يصنعون من ألياف النخيل الحبال لصلابتها وقوتها.



(شكل ٦١) .. صورة حديثة تمثل نخيل العرجون عثر عليها في واحة دنقل بصحراء النوبة.. (من مجموعة الدكتور لطفي بولس)

التين Ficus carica L.

كان المصريون القدماء يعرفون شجرة التين وقد جلبت إلى مصر من بلاد العرب وأصلها من جبال اليمن وكانوا يسمونها "نهى. نت. داب".

وتمتاز هذه الشجرة بجذوعها القوية وعقدها الكثيرة ويبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار على حين أن أغصانها ليست قوية بحيث تسمح للعمال الذين يجنون ثمارها في سلال منبسطة باعتلائها. وما دام العامل لا يتمكن من الوصول إليها بنفسه فقد كان يرسل قردة مستأنسة تساعد في جني الثمار كما نشاهد ذلك في الصورة التي وجدت على أحد جدران قبر "خنم. حتب" ببني حسن من عصر الدولة الوسطى (شكل ٦٢) وقبر

"منا" بطيبة من عصر الدولة الحديثة. ولعل ذلك راجع إلى تقديس القرد باعتباره رمزاً للإله "تحوت" رب العلم والحكمة.

وكانت شجرة التين تنمو في حديقة الملك سنفرو من عهد الأسرة



(شكل ٦٢).. قردة تساعد في جني ثمار التين... قبر "خنم. حتب" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى.

الرابعة ثم انتشرت زراعتها في الأسرة السادسة لدرجة أن موظفي القصر كانوا يتناولون ثمارها ضمن طعامهم اليومي.

وكان القوم يأكلون الثمار طازجة لصفاتها الملينة والمرطبة. وقد عثر على نماذج من الخزف تمثل التين كما عثر على إناء من الفخار في الفيوم من العصر الروماني وقد ملئ بنماذج في هيئة التين محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. أما خشبها فقد استخدم في الأغراض المختلفة.

وقد ذكرت شجرة التين في التوراة (الملوك الأول: أصحاح ٤ عدد ٢٥) وفي انجيل لوقا (أصحاح ١٣ عدد٦) وفي القرآن الكريم.

العنب Vitis vinifera L.

ذكر اسم العنب في تاريخ حياة العظيم "متن" من عهد الأسرة الثالثة فقد كانت له كروم كثيرة. ولو أن الإشارات الهيروغليفية من عهد الأسرة الأولى تدل على أن النبيذ كان معروفاً لدى المصريين القدماء.

وكان القوم يأكلون العنب بكثرة وقد أشادوا به في شعرهم وذكروه في كتاباتهم ونقشوه على جدران قبورهم. ويذكر (بترى) أنه كان ذا ألوان مختلفة. ويرجح أن العنب الأحمر القاتم كان منتشراً في العصور الفرعونية لأن معظم الثمار التي عثر عليها بيضاوية الشكل من نفس اللون وهو قريب الشبه من الصنف الذي يزرع اليوم في مصر العليا.

وقد عنى المصريون القدماء بتربية العنب كشجيرات قائمة بنفسها لا تحتاج إلى دعامات أو يربونه ليتسلق نكاعيب. وتدل الإشارات الهيروغليفية على أن التكاعيب كانت أكثر انتشاراً عندهم. وليس هناك ما يدل على أنهم كانوا يزرعون أعنابهم بجوار أشجار الحور والكافور لتتسلقها كما كان الحال في العصر الروماني.

ونشاهد على أحد جدران قبر "خع. ام. واست" بدراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة صورة تمثل عاملاً يروى العنب بالجرار (شكل ٦٣).

وقد عثر على صور كثيرة تمثل جني العنب وعصره تمهيداً لصنع النبيذ وتعبئته في الجرار كما نشاهد ذلك على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة (شكل ٦٤).

ووجدت جذور العنب في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة كما وجدت أغصان منه في ادفو من العصر الروماني ونماذج كثيرة له محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. وهناك حزم من أوراق العنب وجدت في القبور يرجح أنها كانت تستخدم في حشو اللحم و(الفريك) كما هي العادة المتبعة في المطابخ المصرية حتى اليوم.

وكانت الكروم موضع تشجيع خاص من الحكومة في العصر اليوناني



(شكل ٦٣) .. عامل يروي العنب بالجرار... قبر "خع. ام. واست" بدراع أبي النجا بطيبة– عصر الدولة الحديثة



(شكل ٦٤).. جني العنب وعصره تمهيداً لصنع النبيذ وتعبئته في الجرار.. أحد قبور طيبة– عصر الدولة الحديثة

الروماني لأنها تؤدي إلى استقرار اليونانيين في البلاد ولم يسمح للمصريين بذلك إلا نادراً كي يتفرغوا لزراعة الحبوب والأراضي الملكية.

الرمان Punica granatum L.

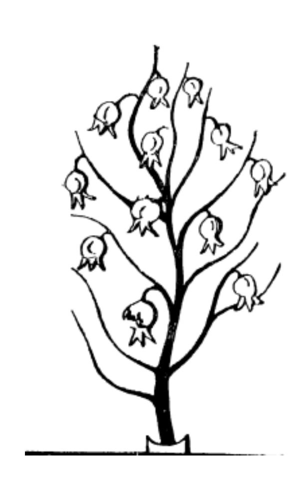
جلبت شجرة الرمان من أقاليم آسيا الصغرى في عهد تحتمس الثالث. ويظن أن أصلها من بلاد العرب ثم انتشرت زراعتها بعد ذلك في عهد رمسيس الرابع. وكان الرمان يسمى "أرماني" وبالقبطية "أرمان" أو "هرمان" بل لقد ورد في أحد المتون اسم "رمان" الذي نستعمله اليوم.

ويعتبر الرمان من أحب الفاكهة لدى المصريين القدماء. وقد ورد ذكره في (بردية إيبرس) الطيبة لعلاج بعض الأمراض وكانت ثماره صغيرة تشبه الأنواع التي تزرع حالياً في شبه جزيرة سيناء.

وكانت أزهاره تدخل في صناعة الباقات الجنائزية واستخدمت مع الثمار في الزخارف والرسوم. وورد ذكر الرمان في الأدب المصري القديم واستخرج من عصيره شراب مرطب كان من أحب المشروبات إليهم.

وقد عثر على صوره على جدران القاعة النباتية بمعبد الكرنك ضمن النباتات التي جلبها الفرعون تحتمس الثالث من سوريا كما عثر على ثماره وبراعمه الزهرية في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة وفي كوم أشيم من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

ونشاهد في الصورة التي وجدت على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة شجرة رمان مليئة بالثمار (شكل ٦٥).



(شكل ٦٥) .. شجرة رمان مليئة بالثمار... أحد قبور طيبة- عصر الدولة الحديثة.. (عن ولكنسون)

الزيتون Olea europea L.

تعتبر شجرة الزيتون من أهم الأشجار المتوطنة في حوض البحر الأبيض المتوسط. وكانت تنمو في فلسطين ومنها انتشرت في أنحاء العالم.

ويقول (بليت) أن شجرة الزيتون قد جلبت إلى مصر في عهد الفتوحات العظيمة التي قام بها فراعنة عصر الدولة الحديثة وبخاصة في عهد تحتمس الثالث. وقد وافقه على ذلك (كيمر) إذ يقول أن هذه الشجرة قد جلبت إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ولكن يدحض ذلك أن (نيوبري) كان أول من عثر على اسم هذه الشجرة في متون الأسرة الثالثة

ويعتقد أنها كانت تزرع في مصر منذ بدء العصر التاريخي غير أن ذلك مشكوك فيه كما يقال أن اسم الزيتون عثر عليه في هرم "تتى" من عصر الأسرة السادسة.

وهي شجرة كبيرة دائمة الخضرة تعمر طويلاً وتعيش نحو ألف سنة وتجود زراعتها في واحة سيوة والواحات الجنوبية ووادي النطرون ومحافظة الفيوم وغرب محافظة البحيرة. ويمتاز خشبها بصلابته ولونه الأصفر البني وتصنع منه التحف الزخرفية والأدوات الكتابية والدينية كالصلبان وترد مصنوعات هذا الخشب من فلسطين إلى مصر وبخاصة مع الحجاج المسيحيين.

وكانت الشجرة تسمى "زتنو" أو "جتنو" وبالقبطية "جتنو" واشتق منها اللفظ العبري "زايت" ويمتاز الزيتون بثمرته اللحمية التي يستخرج منها الزيت بنسبة قليلة لا تتعدى ٧ أو ٨%.

وكثيراً ما كانت شجرة الزيتون تنمو في الحدائق والبساتين وقد ذكرها كثير من الكتاب الأقدمين. ويذكر (سترابون) أن منطقة أرسينوي بالفيوم كانت مشهورة بزراعتها وتنتج زيتوناً وزيتاً جيداً وتعتبر شجرة مقدسة وذات علاقة بالآلهة "بتاح" و"تحوت" و"حوريس" و"ست". وكان كل واحد من هؤلاء الآلهة يلقب بلقب تدخل فيه شجرة الزيتون.

وقد عنى الرماسة– وبخاصة رمسيس الثالث– من عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين بالإكثار من زراعة الزيتون فقد ورد في بردية

(هاريس) أنه أنشأ مزرعة كبيرة للزيتون حول معبد الشمس في مدينة أون (هليوبوليس) وهي عين شمس الحالية. ولعل اسم ضاحية الزيتون قد اشتق من شهرتها القديمة بزراعته. وكانت الثمار تجني كما هي الحال في مصر وتشبه الأنواع المحلية المنتشرة اليوم.

وكان المصريون القدماء يتخذون من أغصانها أكاليل يضعونها على ورءوس الموتى وقد برعوا في تنسيقها براعة فائقة. وقد عثر على بعض هذه الأغصان في قبر نوت عنخ آمون بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة كما عثر على أوراقها ضمن الأكاليل الجنائزية التي وجدت مع مومياوات الأسرة العشرين.

وقد عثر (مسبرو) في عام ١٨٨٥ على باقة مكونة من أغصان الزيتون وشجر البرساء محزومة بخوص نخيل البلح في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من الأسرة العشرين وعلى باقة أخرى عثر عليها في أحد قبور الجبلين من العصر البطلمي محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

ويقول عباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية المسيح): "إن شجرة الزيتون تتشابه بركتها على الأبطال الأقدمين فيتمسحون بطيبها طلباً لقوة النفس وقوة الجسد وهم يقبلون على الصراع ويتناضلون. وتتشابه بركتها كرة أخرى فهم يعلنون السلم ويرفعون غصن الزيتون رمز السلام. وقد بوركت في وحي المعابد والضمائر وفي رموز القرائح والخواطر. رمزوا بها إلى

الضياء ورمزوا بها إلى السلام وإلى الخير والرخاء واتخذوها للمصابيح في محاريب الصلاة والتسبيح. ورجعوا إليها باسم من أقدس الأسماء هو اسم السيد المسيح". وتذكر التوراة أن الحمامة التي أطلقها سيدنا نوح عليه السلام من فلكه قد عادت وفي فمها غصن زيتون.

الخوخ Amygdalus persica L.

ينمو الخوخ بريا في أواسط آسيا ويرجح أن زراعته قد جلبت من إيران وسوريا منذ العصر اليوناني الروماني والعصر المتأخر. وقد عثر على ثمار ونوى الخوخ في أحد قبور هوارة وكوم أوشيم والفنتين وتبتنيس وسقارة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

المشمش Prunus armeniaca L.

ينمو المشمش بريا في وسط آسيا ويرجح أن زراعته قد جلبت إلى مصر في العصر اليوناني الروماني.

القشدة Annona squamosa L.

عثر على ثمار القشطة في أحد قبور تونا الجبل من العصر الروماني.

التوت Morus alba L.

يعتبر التوت من الأشجار الجيدة الظل ويمتاز خشبه بلونه الأصفر وصلابته ويستخدم في البناء وصناعة الأثاث وآلات الزراعة. وثماره حلوة

أما بيضاء أو سوداء أو حمراء وشرابها مفيد. أما التوت الأسود الحقيقي فاسمه العلمي Morus nigra L. وقد عثر على ثماره في أحد قبور هوارة من العصر الروماني.

اللوز Amygdalus communis L.

أصله من غرب آسيا ثم نقل منها إلى كثير من بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط. وهو من الأشجار المتساقطة الأوراق يزرع في مساحات كبيرة في سوريا وقد نجحت زراعته في مصر.

وقد عثر على ثماره في أحد قبور دير المدينة بطيبة يرجح أنها من عصر الدولة الحديثة وفي سقارة وهوارة وكوم أوشيم من العصر اليوناني الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

البندق Corylus avellana L.

عثر على ثماره في قبور كوم أوشيم بالفيوم من العصر الروماني ويستخدم خشبه في صنع الأثاث.

الجوز (عين الجمل) Jaglans regia L.

عثر على ثماره في قبور كوم أوشيم وتبتنيس بالفيوم من العصر الروماني. ويمتاز خشبه بجودته ويستخدم في صنع الأثاث.

الخروب Ceratonia siliqua L.

شجرة الخروب دائمة الخضرة كبيرة أو متوسطة الحجم بطيئة النمو منتشرة الفروع ثمارها حلوة الطعم تؤكل طازجة أو يعمل منها شراب مفيد في فصل الصيف.

ويذكر (لوريه) أن هذه الشجرة كانت ضمن الأشجار المصرية استناداً إلى الاسم المصري القديم "نجم" الذي يرمز له بقرن يشبه الخروب الوارد ذكره في النقوش والأوراق البردية رغم أنه لم يعثر على آثار أو رسوم له تدل على وجوده في العصر الفرعوني.

ويبدو أن هذا الاسم كان يقصد به ثمرة سنط كما يرى (كيمر). ومما يرجح هذا الرأي أن (بليني) لم يذكر الخروب ضمن الأشجار المصرية حتى العصر اليوناني كما أن (شفينفورت) لم يعتبره ضمن النباتات المصرية.

وقد عرفت زراعة الخروب في مصر منذ العصر اليوناني الروماني. وعثر (بترى) على بذوره وثماره في قبور اللاهون وهوارة من عصر الدولة الوسطى يرجح أنها جلبت من آسيا الصغرى. ويؤيد ذلك أن الكلمة الهيروغليفية "جاروت" التي تعني شجرة الخروب والتي اشتقت منها الكلمة القبطية "شاراته" قد عثر عليها ضمن نقوش معبد ادفو من العصر اليوناني.

وقد وردت كلمة "داروجا"- وينطقها بعض علماء الآثار "جاروتا"- بمعنى خروب في كتاب "اللآلئ الدرية في النبات والأشجار القديمة المصرية" كما وردت الكلمتان "كاكا" و"دجم" بمعنى خروب في بعض المتون القديمة. ويستدل من نطق هذه الكلمات على أن أصلها غير مصري.

وعثر (أنجر) على ثمرة خروب مرسومة في لوحة ضمن القرابين التي قدمت للموتى. وذكرت الثمار في (بردية ايبرس) الطبية كملين وهذه الخاصية نسبها فيما بعد كثير من المؤرخين مثل (ديوسقوريدس) و(جالينوس) و(بليني) لثمار الخروب الجديدة. ويستدل من ذلك على أن هذه الثمار هي المقصودة في بردية (إيبرس) دون سواها.

وشجرة الخروب اسمها بالهيروغليفية "نوتم". وقد عثر عليها بجانب رسم الخروب في كثير من الآثار. وعثر (كوتشى) Kotschy على عصا من خشبها في أحد توابيت الموتى واستخدم الخشب في النجارة الدقيقة ويمتاز بصلابته ولونه المائل إلى الحمرة ويستخدم محلياً للوقود.

وقد ذكر الخروب في انجيل لوقا (أصحاح ١٥ عدد ١٦) إذ يقول: "وكان يشتهي أن يملأ بطنه بالخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله فلم يعطه أحد".

وقد عثر على طبق من الفخار به ثمار خروب من العصر القبطي محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الخضر

تحتوي الخضر على مركبات بروتينية وكربوهيدراتية وفيتامينات وعناصر معدنية ذات فائدة للجسم وتتطلب زراعتها عناية خاصة ويستخدم زرق الحمام (الزبل) سماداً عضوياً في تسميدها مع أسمدة أخرى وتحتاج محاصيلها إلى وفرة مياه الري.

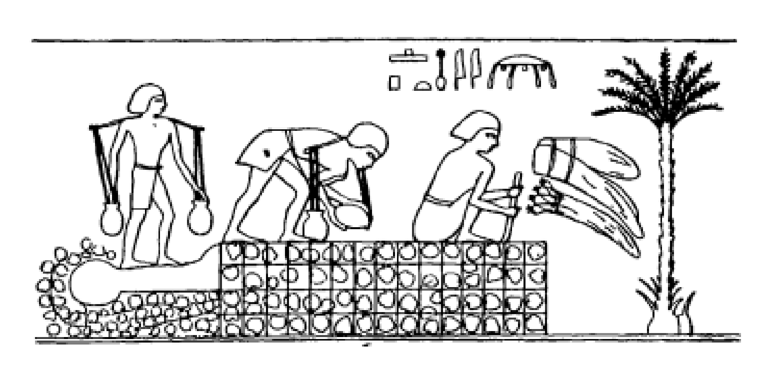
وكان المصريون القدماء يستخدمون الخضر بكثرة في طعامهم لفائدتها من جهة واقتصاداً في تناول اللحوم من جهة أخرى. وكانوا يقدمون معظم أنواعها وبخاصة الخس والبصل والكرات والقثاء على موائد القربان.

وأهم الخضر التي عرفوها البصل والثوم والخس والكرفس والبقدونس والفجل والكرات والخبيزة واللفت والشبت والبسلة والحماض والترنج والرجلة والسلق والكرنب والباميا والملوخية كما عرفوا البطيخ والشمام والقثاء والخيار وقرع الكوسة.

حدائق الخضر:

ترك المصريون القدماء صوراً كثيراً على جدران قبور عصر الدولة القديمة تبين حدائق الخضر. فنشاهد على أحد جدران قبر "مرزوكا" بسقارة من الأسرة السادسة طريقة شتل الخس في أحواض وريه بالجرار. وكانت الأحواض تقسم إلى مربعات صغيرة كل منها يعلو في الجوانب عنه في الوسط حتى تنصرف المياه التي تصب فيه إلى المزروعات لريها. وكانت

تروي بالجرار– جرتان في العادة– تعلقان على نير من الخشب يحمل على الأكتاف وأحياناً تروى بالشودايف أو بقرب الماء تحمل على الحمير. كما نشاهد على أحد جدران قبر "خنم. حتب" يبني حسن من عصر الدولة الوسطى صورة تمثل أحواضاً مربعة بالنباتات الخضراء وقناة تنتهي في حوض مستدير حولها تكاعيب خضراء لتدل على أنها تقع داخل الحديقة وبجوارها عمال منهمكون في العمل يروون الأحواض بينما توجد حزم من البصل مكومة بالقرب منها. وهناك أوان فخارية استخدمت كأصص للأزهار وقد شتلت بها بعض فسائل النباتات أو استنبتت فيها بعض البذور. ويبدو أنه نمت بجانب أحد الأحواض أشجار ونباتات لا تزال منخفضة على حين تقوم شجرة نخيل إلى جانب حوض آخر. ولا ريب في أن هذا كله يكون قسماً من الحديقة الكبيرة. وكان العامل يقوم بري الأرض من قناة أو حوض يعلوه صف من أصص الأزهار مما زاد في رونق المكان. ويعتبر هذا النوع أقدم مثل للأصص التي شاع استخدامها فيما بعد وأصبحت نموذجاً لأصص الزينة الحالية (شكل ٦٦).



(شكل ٦٦) .. عمال يعملون في حديقة خضر. وتشاهد حزم البصل بالقرب منها.. قبر "خنم. حتب" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى

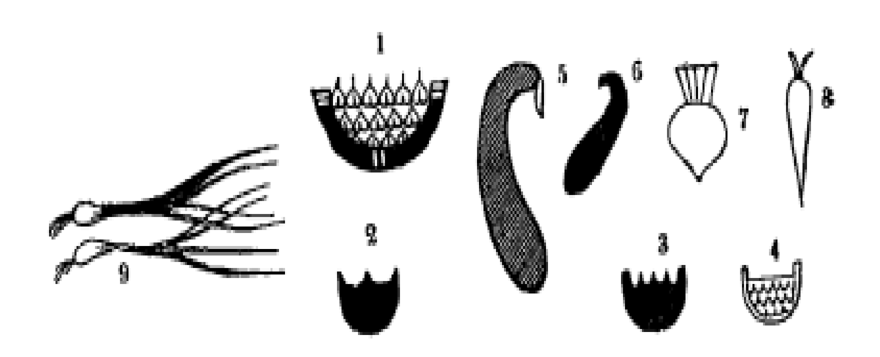
وثمة صورة أخرى عثر عليها على أحد جدران قبور البرشا من عصر الدولة الوسطى تبين تحديد الأحواض بمربعات تشبه لعبة (الداما) تحتوي على بعض النباتات بينما العمال يروونها بالجرار والصحاف.

البصل Allium cepa L.

يعتبر البصل من أهم الخضر التي انتشرت زراعتها في مصر وظهرت صوره على موائد القربان منذ الأسرة الخامسة وكان أحياناً يربط حزمياً ويقدم قرباناً للآلهة.

وقد عثر على صور البصل على جدران القبور وشوهد بعض الكهان وهم يمسكونه في أيديهم ووجدت رسوم بعض المذابح وهي مغطاة به كما عثر على البصل في يد إحدى المومياوات وفي لفائف أكفان الموتى منذ الأسرة الثالثة عشرة ووجد قشره على عين الميت وكان يوضع على التجويف الجوفي والصدري والأذن.

وقد عثر على صورة فريدة في أحد القبور تمثل خضراً متنوعة يظهر بينها البصل والفجل والقثاء واللفت (شكل ٦٧).



(شكل ٦٧).. خضر متنوعة يشاهد بينها رقم (١) سلة بها جميز و(٢ و٣ و٤) تمثل علامات هيروغليفية بمعنى زوجه وكل علامة منها تشبه سلة الجميز و(٥ و٦) قثاء و (٧) لفت و(٨) فجل و(٩) بصل... (عن ولكنسون)

وورد ذكر البصل في النقوش الهيروغليفية باسم "بدجر" أو "بصر" وإن كان بعض علماء الآثار ينطقونها "بصل" بلفظها الحالي كما ورد ذكره في كثير من المتون القديمة والكتب المقدسة. وتكلم عنه كثير من المؤرخين القدامى مثل (هردوت) فقد روى أن العمال الذين بنوا الهرم الأكبر بالجيزة قد استهلكوا كميات كبيرة منه ضمن طعامهم اليومي. واستخدم البصل في الطب لعلاج بعض الأمراض وكان يدخل ضمن المواد التي استخدمت في تحنيط الجثث كما روى (بلونارك) أن الكهان كان محظوراً عليهم دون غيرهم أكل البصل. وفي عيد "نتريت" أحد أعيادهم الزراعية– ويقع في ٢٥ كيهك– كانوا يعلقون حزماً من البصل في هيئة عقود حول أعناقهم تبركاً به ثم يطوفون حول معبد الإله "سكر" يقدمون له القرابين.

وقد أشارت بعض المتون القديمة إلى تقديس البصل غير أن عبادته لم تعم البلاد كلها أنما استقرت بين فئة قليلة من الناس بسبب ما يكونه من غازات تصيب البطن اعتقدوا أنها آلهة.

وكان المصريون القدماء يضعون البصل قرب أنف المريض في بداية الربيع وعند ولادة الطفل. ولا يزال للبصل نفس العناية التي كانت له في الزمن القديم حيث يستخدمه القوم بكثرة ويعلقونه على أبواب منازلهم ويصبون عصيره على عتب الباب كما يحدث اليوم في عيد شم النسيم لاعتقادهم بأنه يطرد الأمراض والحسد.

وقد روى بعض المؤرخين أن بني إسرائيل كانوا يأكلون كميات كبيرة منه وأنهم أسفوا كثيراً من أجله عند رحيلهم من مصر في أيام سيدنا موسى عليه السلام.

وقد عنى اليونان بالبصل عناية كبيرة حتى لقد أوصى سقراط بأكله في إحدى الحفلات وعثر على حزم منه في بعض قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة، كما عثر على البصل في هوارة من العصر الروماني محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الثوم Allium sativum L.

كان المصريون القدماء يستخدمون الثوم بكثرة في الطعام والطب. وقد ورد ذكره في المتون القديمة والكتب المقدسة. وكان يسمى

بالهيروغليفية "سمعو" كما وردت له أسماء أخرى مثل "ميكات" أو "حتيتم" أو "حتتوم" وبالعبرية "شوم" ثم حرفت في العربية إلى ثوم.

وقد عثر على حباته (فصوصه) في القبور منذ عصر ما قبل الأسرات كما عثر على رءوسه وعروشه وحزم منه مربوطة بالحلفاء وخيوط الكتان في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. ومما يذكر في هذا الصدد أن اليونان لم يقبلوا على أكله لرائحته النفاذة.

الخس Lactuca sativa L.

يبدو أن أصل الخس هو أواسط آسيا ومنها انتشر غرباً إلى أوروبا وأفريقيا. وقد عرف في مصر منذ الأسرة الرابعة وظهرت صورة في سلال القرابين بورقه الأخضر الطويل وكان مخصصاً للإلهين "مين" و"آمون" ويعتبر رمزاً للخصب والقوة الحيوية لذا يشاهد الإله "مين" ممثلاً على جدران معبده مع الخس. ويظن أن العلاقة بين الخس وبين هذا الإله كان نتيجة ما أثبته البحث العلمي من أن استخدام زينه يزيد في القوة الجنسية كما نبت أن الخس يحتوي على نسبة من فيتامين (هـ) الذي يستخدم اليوم لعلاج الحالات التناسلية عند السيدات والرجال على حد سواء وهناك علاقة كبيرة بين فيتامين (هـ) وهرمونات التناسل.

وكان الخس يسمى بالهيروغليفية "عب" أو "عبو" وبالقبطية "أوب". وكانت مقاطعات مصر العليا تشتهر بزراعته. وقد عرفت أخميم– وأصلها

"خم. مين" وهي تعني (خميم) وأضاف العرب إليها حرف الألف فأصبحت أخميم- بخصب تربتها وكان الخس نباتها المفضل. والعجيب أن بعض أهل الصعيد من حول أخميم ما يزالون يذكرون ذلك الخصب في أغانيهم التي يرددونها مستعينين بها على العمل ومن ذلك: "هات لي عنب وتين.. من جناين خميم".

كما اشتهرت بزراعته بلدة قفط- مركز المعبود "مين"- وقدس في طيبة مركز المعبود "آمون" ولا تزال هاتان البلدتان تشتهران بإنتاج أجود أنواع الخس والزيت.

وكان المصريون القدماء يحبون الخس لدرجة التقديس، وقد مثلوه على موائد القربان وعرفوا خواصه الطبيعية في التغذية واستخرجوا من بذوره زيتاً استخدموه في الطعام والتدليك والطب كما عرفوا خواصه في تقوية الجسم.

وقد ورد ذكره كثيراً في الأوراق البردية مثل ورقة "إيبرس" الطبية حيث ذكر فيها ثلاث عشرة مرة في تراكيب طبية لعلاج بعض الأمراض كما أنه دواء مسكن وغني بفيتامين "ج" ويساعد على تقوية الجسم ويكسبه مناعة ضد الأمراض ويحتوي على أملاح معدنية كالفسفور والكلسيوم والحديد وهي ذات فائدة عظيمة في حالات الإجهاد وفقر الدم كما أنه سريع الهضم يلائم المرضى ويعتبر مسكناً للجهاز العصبي ويساعد

على علاج قرح المعدة كما أنه مفيد في حالات زيادة حموضة المعدة المستعصية والإمساك ويستخدم ضد الروماتزم.

وقد عثر على بذور الخس في قبور مختلفة بعضها محفوظ بمتحف برلين وبعضها الآخر بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الكرفس Apium graveolens

كان المصريون القدماء يستخدمون الكرفس في الأكل كما كانت أوراقه وأزهاره تستخدم في تزيين مومياوات وتوابيت الموتى. ويرجح أنهم كانوا يقصدون بذلك إنعاش الميت عندما تعود إليه الروح في الحياة الأخرى.

وقد عثر على قلادة مكونة من أوراق وأغصان الكرفس البري على صدر الشريف "كنت" بالشيخ عبد القرنة بطيبة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي كما عثر على بذوره في القبور بعضها محفوظ بمتحف فلورنس. وكان الكرفس يستخدم في الأغراض الطبية.

البقدونس Petroselinum sativum Hoffm.

يعتبر البقدونس من أهم الخضر التي استخدمها المصريون القدماء واستخدمت بذوره في الطب لإدرار البول والطمث وطرد غازات الأمعاء. وقد اتخذوا منه قلائد وضعوها فوق مومياواتهم واستخدم بكثرة في الأعياد في العصر اليوناني الروماني وكان يسمى بالهيروغليفية "ماتت".

الفجل Raphanus sativus L.

عثر على الفجل مرسوماً على جدران بعض القبور واسمه بالهيروغليفية "نيوبن" أو "نون" وبالقبطية "بي. نوني". وقد تعرف (أنجز) على رسمين له عثر عليهما في أحد جدران معبد الكرنك بطيبة. ويذكر (لوريه) أنه عثر على فجلتين في أحد قبور كاهون من العصر الروماني. ويروي (هردوت) أنه كان يقدم في الوجبات الخاصة بالعمال الذين بنوا الهرم الأكبر بالجيزة مع البصل والثوم.

الكرات Allium porrum L.

يذكر (بليني) أن الكرات نبات مصري قديم. ومن الراجح أنه كان يزرع في مصر منذ الأسرة الخامسة. واسمه بالهيروغليفية "ياقت" كما وردت له أسماء أخرى مثل "كرهتا" التي ذكرت في تركيب اسم إحدى ضياع العظيم "متن". وقد عثر على هذا الاسم أيضاً في أحد قبور عصر الدولة الوسطى وهو قريب الشبه من الاسم الحالي وسمى بالقبطية "ادجي" أو "ايجي" كما ذكر أيضاً في الكتب المقدسة.

الخبيزة Malva sylvestris L.

أصل الخبيزة شمال أفريقيا وكانت من أهم الخضر التي استخدمها المصريون القدماء وتزرع بكثرة في مصر اليوم. وكانت تسمى بالهيروغليفية "شبيزي" أو "خبازي" وتستخدم في الأغراض الطبية المختلفة.

اللفت Brassica rapa Var Esculenta L.

كان اللفت يزرع في مصر واسمه بالهيروغليفية "أبت". وقد عثر على جذوره في أحد قبور كوم أوشيم من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الشبت Peucedanum graveolens Benth.

عثر على اسمه المصري القديم على جدران بعض القبور وينطقه العلماء "أميس" أو "أميسى" أو "أمست" كما عثر على اسم آخر له وهو "بسبس" وتستخدم ثماره وبذوره في علاج بعض الأمراض.

البسلة Pisum sativum L.

وجدت بذور البسلة في أحد قبور هوارة وكاهون وقد وجد (أنجر) جذورها في هرم دهشور. كما عثر (نيوبري) على بذورها في كاهون من الأسرة الثانية عشرة. واسمها بالهيروغليفية "تحوي" وهي تدخل في تركيب المراهم وتستخدم كمسكن لبعض الأمراض.

الحماض Rumex acetosa L.

كان الحماض ينمو في مصر ويعتبر من الخضر الشائعة عند المصريين القدماء. وقد عثر (كويبل) على حماض في أحد قبور سقارة يرجح أنه من العصر اليوناني الروماني محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الترنج Citrus mediea L.

عثر على ثمار الترنج في أحد قبور دير المدينة بطيبة من الأسرة العشرين محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الرجلة Portulaca oleracea L.

يذكر بعض العلماء أن الرجلة نبات مصري قديم واسمها بالهيروغليفية "مخماي" وورد لها اسم آخر هو "مثموتم" وبالقبطية "مهموهي" وتستخدم بذورها في علاج بعض الأمراض.

السلق Beta vulgaris L.

كان السلق يزرع في مصر واسمه بالهيروغليفية "هتات".

الكرنب Brassica oleracea L. Var. Capitata L.

ذكر (أثنايوس) Athenaeus أن الكرنب كان من أهم الخضر التي شاع استخدامها في مصر القديمة. وقد عثر عليه (بترى) في أحد قبور هوارة من العصر اليوناني الروماني. واسمه بالقبطية "بي ششيو".

الباميا Hibiscus esculentus L.

لم يثبت وجود الباميا في العصر الفرعوني لكنها انتشرت في العصر اليوناني الروماني وقد عثر عليها (شفينفورت) نامية بريا في بلاد النوبة وكردفان وستار وأثيوبيا.

الملوخية Corchorus olitorius L.

أصل الملوخية هو شمال أفريقيا والهند. ومعرفة المصريين القدماء بها يكتنفها كثير من الغموض إذ لم يعثر على آثار لها في العصور الفرعونية كما لم يثبت وجود اسمها في النقوش الهيروغليفية.

ويرجح أن الاسم المصري القديم "منوح" أو "منح" الذي ورد في بعض المتون القديمة يقصد به الملوخية التي انتشرت زراعتها في العصر اليوناني الروماني.

وقد عثر على بذور ملوخية في أحد قبور كوم أوشيم من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

المقات

اشتهرت مصر منذ أقدم العصور بزراعة أنواع شتى من المقات كالبطيخ والشمام والقثاء والخيار وقرع الكوسة.

البطيخ Citrullus vulgaris Schrad.

عرف البطيخ في مصر منذ عصر الدولة القديمة ويرجح أنه كان من النوع البري الذي ينمو اليوم في بلاد النوبة وشرق السودان والمعروف باسم Colocynthoides وربما كان هو أصل الأنواع الكبيرة المعروفة اليوم.

ويمتاز هذا البطيخ بصغر حجمه وثماره في حجم ثمار التفاح الكبير أو الحنظل ولا طعم له ولحمه الداخلي أبيض اللون وكان يزرع في مصر العليا والواحات الخارجية ويستخرج منه البذور (اللب) التي تؤكل اليوم للتسلية.

وقد ذكره (أنجر) في كتابه عن النباتات كما ذكره (لبسيوس). وصور البطيخ قليلة في القبور والمعابد فقد وردت على أحد جدران معبد الملك (ساحورع) بأبي صير من الأسرة الخامسة. ويقال أن صورته شوهدت على موائد القربان وقد ذكر اسمه "بتوكا" في قصة (البحار الغريق) منذ عصر الدولة الوسطى.

وأحدث النقوش التي ظهر فيها البطيخ عثر عليها على أحد جدران قبور الجبلين بمصر العليا من العصر اليوناني الروماني.

وكانت أوراقه تستخدم في تزيين المومياوات وتوابيت الموتى وربما كانوا يقصدون بذلك إنعاش الميت عندما تعود إليه الروح في الحياة الأخرى. وقد عثر على أوراق البطيخ في تابوت الكاهن "نب. سنى" بالدير البحري

بطيبة كما عثر على بذوره في قبر توت عنخ آمون من الأسرة الثامنة عشرة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

ويبدو أن المصريين الحاليين قد ورثوا عادة (قزقزة) اللب عن أجدادهم الفراعنة!

الشمام (القاوون) Cucumis melo, L. Var. Aegyptiacus.

عثر على أوراق الشمام وأزهاره وبذوره في القبور وهو من النوع الذي كان ينمو برياً ولا يزال يوجد في بلاد النوبة وشرق السودان. وقد صور بكثرة على جدران القبور وبخاصة في سقارة، وذكر في المتون القديمة باسم "شوي".

وقد عثر على نموذج شمامة من الحجر الصلب يرجح أنها من عصر ما قبل الأسرات محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

القثاء (الفقوس) Cucumis sativus L. var Flexuosus Naud.

عثر على صور القثاء على موائد القرابين واسمها بالهيروغليفية "قادي" وجاء ذكرها ضمن متون هرم "تتى" من عصر الدولة القديمة، كما وردت في الكتب المقدسة حينما اشتاق بنو إسرائيل إلى خيرات مصر بعد خروجهم منها. وقد عثر على نماذج لها من الخزف من عصر الدولة

الوسطى وأخرى من الفخار من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الخيار Cucumis sativus L.

عثر على صور الخيار على جدران بعض القبور بين قرابين الميت واسمه بالهيروغليفية "شسبت" وبالقبطية "شوبي". وقد عثر عليه (بترى) في قبور كاهون وهوارة من العصر اليوناني الروماني.

قرع الكوسة Cucurbita Pepo L.

عثر على صورها على جدران قبور ومعابد الأسرة الثانية عشرة كما عثر على ثمارها في أحد قبور كوم أوشيم من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي واسمها بالهيروغليفية "داب" أو "دابي" أو "دابو" وهو قريب الشبه من الاسم الحالي "دبا".

الأشجار

عنى المصريون القدماء عناية بالغة بزراعة أنواع كثيرة من الأشجار التي استخدموا أخشابها في إقامة المباني والصناعات وعمل السفن والتوابيت والأثاث والآلات والأدوات الزراعية والمنزلية. وكانوا يقدسون بعض أنواعها ويعتقدون بأن أرواحاً تمثل القوى الإلهية قد آوت إليها.

ولم تكن تلك الأشجار بالسامقة كما أن أخشابها لم تكن جيدة بحيث تعين الصانع على أن يخرج منها ما يريد من قطع الأثاث الرقيقة وأن كنا نشهد له بالمهارة الفائقة التي مكنته من صنع الأثاث الجيد رغم خشونة المادة. وقد دعاه هذا إلى التفكير في الحصول على الأخشاب الجيدة من أقاليم الشرق والجنوب فكان يجلب منها ما يسد حاجته. فحصل على الأبنوس من السودان وعلى العرعر والصنوبر والأرز والبلوط من سوريا وفينيقيا (لبنان). وإلى ذلك تشير الحوليات في مدونة (بالرمو) وقد جاء فيها أن الملك سنفرو من عهد الأسرة الرابعة قد أرسل إلى فينيقيا أربعين سفينة عادت كلها محملة بخشب الأرز.

ولم يكن القوم يحصلون على تلك الأخشاب في يسر وسهولة لبعد الشقة وعناء السفر وكثرة النفقات. ومن أجل ذلك ظل النجار المصري يستخدم الأخشاب المصرية ويبذل قصارى جهده في معالجة عيوبها بالطلاء والتجميل.

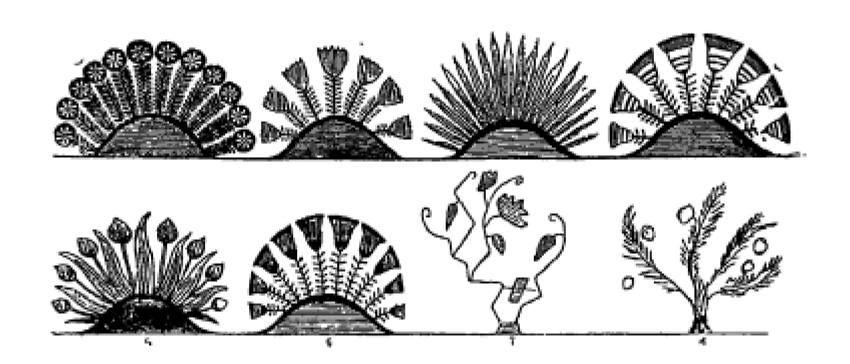
وقد توصل المصريون القدماء إلى معرفة ما يسمى اليوم خشب (الأبلكاج). وقد عثر في أحد ممرات هرم سقارة المدرج من الأسرة الثالثة على قطعة من الخشب مكونة من ست طبقات رقيقة لا يزيد سمك الواحدة منها عن سنتيمتر واحد من أشجار السرو والصنوبر.

وقد وجدت غابات متحجرة في المعادي عام **١٩٥٩** من جنس (الأكاسيا) نسبة الأنواع Acacia Arabica, Acacia Albida و

Reinbek Nr. وقد أجرى بحثها في معهد Acacia Senegal Hamburg بألمانيا الغربية كما وجدت غابة متحجرة في منطقة تبعد عن بلدة الحمام بناحية برج العرب بها أخشاب مقطوعة ومتحجرة يخيل للناظر إليها أنها (ورشة أخشاب) لا زالت موجودة حتى اليوم مما يدل على أنه كانت توجد مناطق تشجير في مصر القديمة.

وقد كثر تمثيل الأشجار على جدران القبور والمعابد وكانت تدخل ضمن العلامات والمخصصات في الكتابة الهيروغليفية.

وعثر على صور لنباتات وأشجار مختلفة كما نشاهد ذلك على أحد جدران قبر رمسيس الثالث (شكل ٦٨).

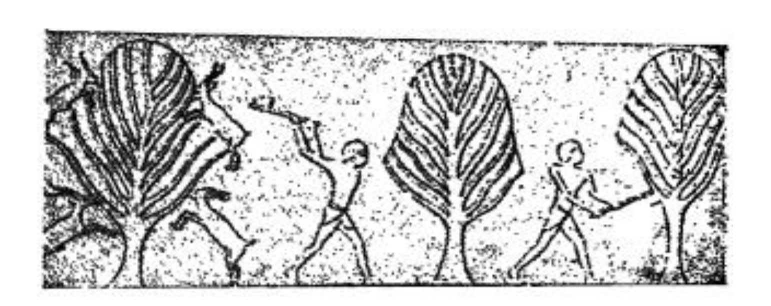


(شكل ٦٨).. نباتات وأشجار مختلفة... قبر رمسيس الثالث بطيبة– الأسرة التاسعة عشرة.. (عن ولكنسون)

وكان الفنان المصري القديم يرسم الصور التي تمثل الموضوعات التي تتسم بالحياة المتحركة. فمثلاً إذا أراد تصوير صورة لقطع الأشجار نراه قد

احتفظ بالموضوع القديم وهو ترك الماعز يلتهم الأغصان ويتلف الشجرة وخشبها ولكنه في الوقت نفسه قد ترك شجرة الجميز ذات الخطوط المتوازية وقد انتصب عليها الماعز كما هي العادة في صور عصر الدولة القديمة واستبدلها بمجموعة من أشجار النخيل وهي تتمايل برشاقة.

وكانت قطعان الماعز تخرج مع الرعاة إلى الحقول وتلتهم الأشجار المقطوعة على نحو ما يشاهد في مصر اليوم. لذلك نرى أنه بينما تعمل بلط النجارين في قطع شجرة جميز يثب الماعز نحو شجرة أخرى كما يبدو في الصورة التي عثر عليها في زاوية الميتين بمصر الوسطى من عصر الدولة القديمة (شكل ٦٩).



(شكل ٦٩) .. قطيع من الماعز يثب نحو شجرة جميز ويلتهم أغصانها ويتلفها كأنما تجتث بالبلط التي يستخدمها الإنسان في قطع الأشجار. زاوية الميتين بمصر الوسطى– عصر الدولة القديمة

ويعتبر الماعز من أعداء الغابات فيأتي على الشجرة وخشبها ويتلفها إتلافاً تاماً. وهناك قوانين دولية في هذا الصدد منها القانون القائم بجزيرة قبرص الذي يقضى بتحريم رعي الماعز للأشجار.

وأهم الأشجار الخشبية المصرية التي أمكن للعلماء تحقيقها هي الجميز والسنط والصفصاف والأثل والبرساء والهجليج والنبق والمخيط.

الأشجار الخشبية المصرية

الجميز Ficus sycomorus L.

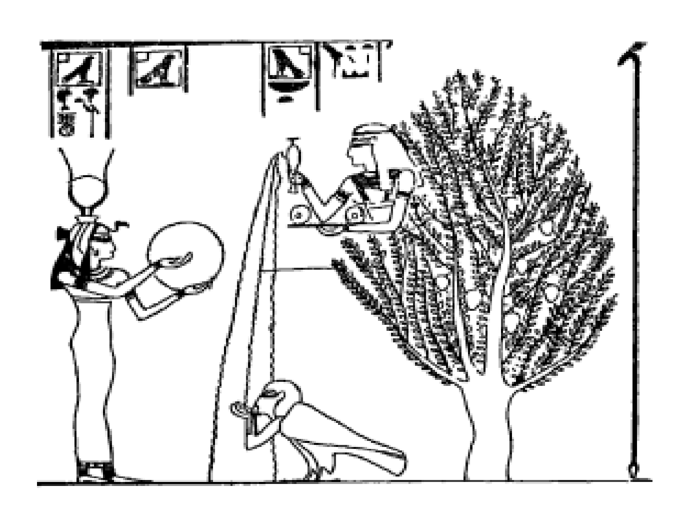
تعتبر شجرة الجميز من أهم الأشجار التي زرعت في مصر منذ عصر ما قبل الأسرات وقد ذكر (شفينفورت) أنها قد جلبت من أثيوبيا إلى مصر مع أشجار أخرى كالبرساء. وأصلها من شمال أثيوبيا حيث توجد أشجار ضخمة تعرف باسم (أشجار العذراء) ويسميها الكثيرون (أشجار المريمات) وهي شجرة دائمة الخضرة تمتاز بضخامتها وتعلو إلى نحو عشرين متراً. ولأهميتها كانت تزرع في الحدائق حتى أن الرحالة الشهير "خوف. حر" من عهد الأسرة السادسة ذكر عن تاريخ حياته المنقوش على جدران قبره في أسوان هذا المتن: "لقد حفرت بحيرة وزرعت أشجار الجميز وأشجاراً وارفة الظلال متشابكة الأغصان حولها".

ولما كان الجميز لا ينتج بذوراً فهو لا يتكاثر بنفسه لذا كانت زراعته تتوقف على نشاط الإنسان. وقد عرف المصريون القدماء تختين ثمار الجميز. ومن المعروف أن التختين يجعل الثمرة ناضجة حمراء اللون حلوة شهية ويطرد ما بها من حشرات. ويقول علماء النبات أنه توجد حشرة في ثمرة الجميز تتخذ من مبايض الأزهار المؤنثة خلايا تودع فيها بيضها وتربي صغارها وتصبح صالحة للأكل بعد تختينها. أما الثمرة التي لا تختن فيكبر

حجمها وتنعدم فيها الحلاوة نسبياً ويسمى هذا النوع باسم (التين الباطة) ومن هذا سار المثل العامي (راحت عليه باطة)!

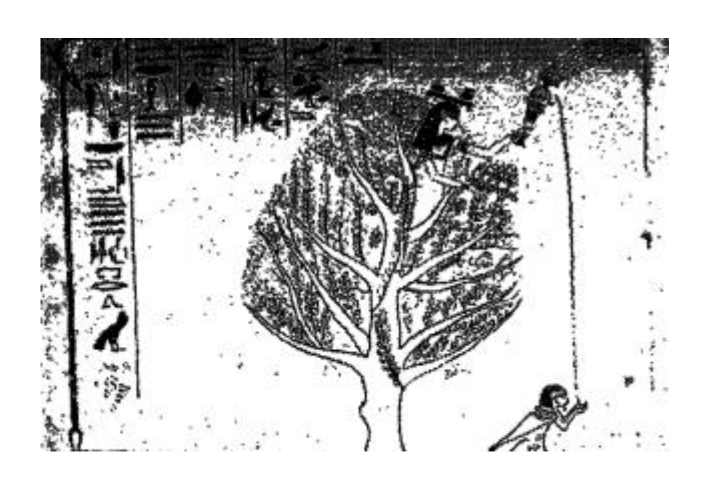
وكانت هذه الشجرة مقدسة وتسمى بالهيروغليفية "نهت" واتخذ منها المصريون القدماء مسكناً لروح البقرة "حتحور" أي (بيت الإله حور وملاذه). ويتمثل في البقرة حنان الأم والشجرة فيها الرحمة والحنان تتمثلان في الثمار والمادة اللبنية فأسكنوا "حتحور" هذه الشجرة وأكثروا من غرسها في الجبانات. وكانوا يعتقدون أن شجرة الجميز هي الجسم الحي للآلهة "حتحور" على الأرض وتسمى الآلهة "سيدة شجرة الجميز الجنوبية" جنوب معبد الإله "بتاح" في منف.

وكثيراً ما نشاهد على جدران القبور نقوشاً تمثل الآلهة "حتحور" في هيئة امرأة مطلة من بين أغصان شجرة جميز تستظل بظلالها الوارفة وبيدها إناء تصب منه ماء الرحمة على من ذهبوا إلى عالم الموتى وبيدها الأخرى مائدة قرابين (شكل ٧٠).



(شكل ٧٠).. الآلهة "حتحور" تطل من بين أغصان شجرة جميز وبيدها إناء تصب منه ماء الرحمة على من ذهبوا إلى عالم الموتى وبيدها الأخرى مائدة قرابين.

وهناك آلهة أخرى هي "نوت" آلهة السماء كانت تستقر على هذه الشجرة أيضاً باعتبارها قد أخذت صفات "حتحور" وهي الرحمة والحنان والحماية. وكان المصريون يأملون أن تعطى هذه الشجرة الماء والطعام للموتى. وقد عثر على صورة لها وهي تطل من بين أغصان شجرة جميز وبيدها إناء تصب منه الماء المقدس على من ذهبوا إلى عالم الموتى وباليد الأخرى مائدة قرابين (شكل ٧١) وعثر على صورة أخرى لهذه الآلهة على أحد جدران قبر "بيسي. ور" بطيبة وقد برزت من بين أغصان شجرة جميز بينما الميت وزوجه أمامها وهي تقدم لهما مائدة قرابين مكونة من الخبز والماء للحياة الأخرى (شكل ٧٢) كما عثر على صورة على أحد جدران قبور جبل الموتى بواحة سيوة تمثل الآلهة "نوت" وهي تطل من بين أغصان



(شكل (٧١).. الآلهة "نوت" تطل من بين أغصان شجرة جميز وبيدها إناء تصب منه الماء المقدس
ذهبوا إلى عالم الموتى وبيدها الأخرى مائدة قرابين. على من



(شكل ٧٢).. الميت وزوجته أمام شجرة جميز وقد برزت من بين أغصانها الآلهة "نوت" تقدم لهما قرابين من الخبز والماء للحياة الأخرى.. قبر "بيسى. ور" بطيبة– عصر الدولة الحديثة (عن مسبرو)

شجرة جميز وبيدها اليمنى مائدة قرابين تشتمل على الخبز والبخور وباليسرى إناء تصب منه الماء المقدس (صورة الغلاف).

وهناك صورة تمثل جني ثمار الجميز تمهيداً لتقديمه قرباناً. ونشاهد الشجرة في نهاية حقل القمح لتحمي المحصول كما تشاهد الأواني المعدة لحفظ الثمار والسائل اللبني الذي كان ولا يزال يستخدم في علاج بعض الأمراض الجلدية (شكل ٧٣). وقد وجدت صورة على

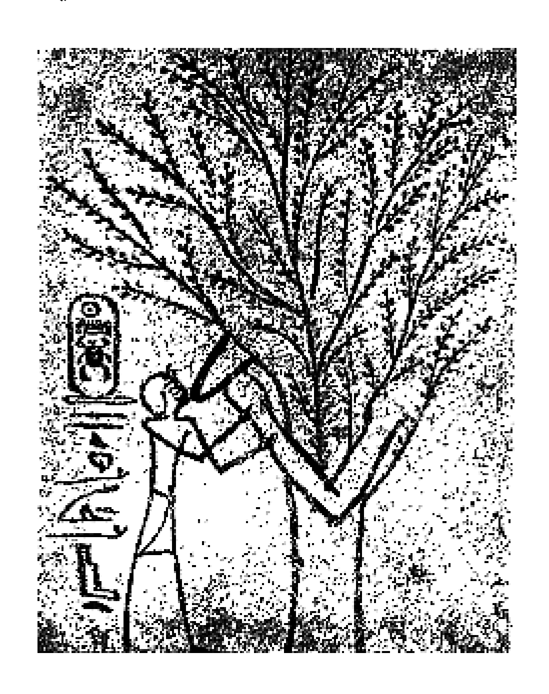


(شكل ٧٣).. جني ثمار الجميز تمهيداً لتقديمها قرباناً. وتشاهد الأواني المعدة لحفظ الثمار والسائل اللبني.

(عن مسبرو)

أحد جدران قبر تحتمس الثالث بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل هذا الفرعون وهو يرضع من الآلهة إيزيس ممثلة في هيئة شجرة جميز لها ثدي يتكئ على ذراع (شكل ٧٤).

وقد ذكرت شجرة الجميز في الكتب المقدسة. وأقدم شجرة في مصر تلك الشجرة الضخمة الموجودة حالياً في المطرية بضواحي القاهرة



(شكل ٧٤).. تحتمس الثالث يرضع من الآلهة إيزيس.. ممثلة في هيئة شجرة جميز لها ثدي وذراع... قبر تحتمس الثالث بوادي الملوك بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة

وتعرف باسم "شجرة مريم". ويروي أن مريم العذراء قد استظلت تحت كنفها الوارف عندما لجأت إلى مصر ومعها السيد المسيح وهو طفل. ويقول بعض المؤرخين أن الشجرة الأصلية قد احترقت ونمت في مكانها الحالي الشجرة الموجودة اليوم ويقدر عمرها بنحو ستة قرون.

ولا ننسى (شجرات العزى) من نواحي الطائف- "اللات والعزى" إلهان كان العرب قبل الإسلام يلجأون إليهما لاستخارتهما في أمور دنياهم- وأمثلة ذلك كثيرة جداً.

وقد وجد المصريون القدماء في شجرة الجميز حاجتهم من الظل والمادة اللبنية والثمر والخشب فهي شجرة مورقة متشابكة الأغصان وارفة الظلال وكانت طبيعة البلاد تجعل المصريين في حاجة ماسة إلى الظل كملاذ لهم من الشمس المحرقة. أما المادة اللبنية التي تنتج من قطع لحاء الشجرة فكانت تستخدم في علاج بعض الأمراض الجلدية وقد ورد في كتب الإغريق أنها اتخذت دواء للبثور. أما الثمر فهو حلو لذيذ.

وقد عثر على خشبها في قبور نقادة والبلاص من عصر ما قبل الأسرات وكانوا يصنعون منه التوابيت والتماثيل والأثاث من صناديق وأبواب وكراسي وأيدي أدوات ومسامير خشبية. ولما كان الخشب لا يعتريه الفساد فقد صنع منه تابوت الإله أوزيريس حيث كانت تظلله شجرة الجميز.

وكثيراً ما ذكرت الشجرة في المتون الدينية بأنها شجرة مقدسة فارعة الطول مديدة الارتفاع تشارف الأفق الشرقي على حين أن الآلهة التي تسكن بداخلها متربعة عروشاً من فروعها. وكان الميت يتمنى لو أن روحه تسكن أغصان هذه الشجرة.

وقد ترجم "مسبرو" النشيد التالي الذي عثر عليه في أحد القراطيس البردية:

"إن الجميزة الصغيرة التي غرستها بيدها قد بدأت تتكلم بألفاظ مثل قطر الشهد. إنها فتانة وأغصانها جميلة مخضرة كالبردي وهي محملة بالثمر تفوق العقيق حمرة. الهواء رطب تحت ظلها. فتعالى وأقضي وقتاً في الحديقة. فالبستانيون فرحون متهللون برؤياك. إن خدمك يأتونك بأنواع الخبز والأزهار والفاكهة المنعشة. تعالي واحتفلي بيومك هذا جالسة في ظلالي وسأحتفظ بالسر ولن أبوح بشيء مما أراه".

ويحتوي (كتاب الموتى) على فصول في وصف أشجار الجميز وخطاب موجه إلى الآلهة الساكنة فيها: "تحية لك يا شجرة الجميز الخاصة بالآلهة "نوت". زوديني بالماء والهواء من لدنك". ويظهر "آني"– من عهد الأسرة الثامنة عشرة– جاثياً على ركبتيه تحت ظلال شجرة جميز ضخمة أوراقها خضراء وثمارها بنية اللون وتظهر الإلهة وهي تطل برأسها من بين أغصان الشجرة وتمد ذراعيها نحو الميت وتمسك بإحدى يديها مائدة قرابين وبيدها الأخرى إناء تصب منه الماء المقدس على من ذهبوا إلى عالم الموتى (شكل ٧٥).



(شكل ٧٥) .. الإلهة "نوت" تطل من بين أغصان شجرة جميز وتمد ذراعيها نحو الميت وتمسك بإحدى يديها مائدة قرابين وبيدها الأخرى إناء تصب منه الماء المقدس على من ذهبوا إلى عالم الموتى... (عن برلين ٧٢٩١)

وكان من أحسن ما يتمتع به المصريون القدماء في الحياة الأخرى بعد موتهم أن يتنزهوا ويتفيأوا تحت ظلال أشجار جميز قد تولوا بأنفسهم غرسها وسقيها.

وقد عثر على لوحة جنائزية من عصر الدولة الوسطى محفوظة في متحف برلين بها المتن الآتي: "لقد كنت الشخص الذي يمتلك بحيرات جميلة وأشجار جميز مرتفعة ضخمة". كما عثر على ثمار جميز في أحد قبور الأسرة الأولى وفي مخازن هرم زوسر المدرج بسقارة من الأسرة الثالثة ووجدت ثمار جميز مختن في أحد قبور دير المدينة بطيبة من الأسرة التاسعة

عشرة ثم من العصر اليوناني الروماني. وتمثل الصورة التي عثر عليها على أحد جدران قبر "منا" من عصر الدولة الحديثة جني ثمار الجميز (شكل ٧٦). وتوجد صورة أخرى تمثل شجرتا جميز ورمان عثر عليها على أحد جدران قبور طيبة وبجوارهما فتاة تشرب النبيذ في إناء وتقضى يومها في مرح



(شكل ٧٦).. عاملان يجنيان ثمار الجميز.. قبر "منا" بطيبة– عصر الدولة الحديثة

وسرور (شكل ٧٧). وعثر أيضاً على ثمار جميز ضمن القرابين التي قدمت على مذابح الآلهة كما عثر على أغصانه وأوراقه مع المومياوات في بعض التوابيت. وهناك نقش في أحد قبور سقارة يمثل رجلين يعتليان شجرة جميز ضخمة ويجنيان منها الثمار ويلقيانها في سلال تحتها.

وأروع مثل للأثاث هو تمثال "كاعبر" الذي عثر عليه في أحد قبور سقارة من الأسرة الخامسة ويعرف باسم (شيخ البلد) وهو مصنوع من



(شكل ٧٧) .. شجرتا جميز ورمان وتشاهد فتاة وهي تشرب النبيذ وتقضى يومها في مرح وسرور... أحد قبور طيبة– عصر الدولة الحديثة

خشب الجميز وتتمثل فيه جميع مظاهر الحياة (شكل ٧٨) ويعتبر من روائع الفن المصري القديم ويدل على براعة المصريين القدماء في صناعة الأخشاب. وقد أظهر الفنان ملامحه وتقاطيعه بما يثير الدهشة والإعجاب وهو خير شاهد على مقدرتهم ودقتهم في فن النحت. وقد كتب عنه (مسبرو) فقال: "لو أن معرضاً فتح في مكان ما لتعرض فيه روائع الفن في العالم كله لكان هذا التمثال واحداً من التماثيل التي أبعث بها إليه تمجيداً للفن المصري".

ويوجد ضمن مجموعة "شفينفورت" النباتية المحفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي أحد أغصان شجرة جميز عثر عليه مع مومياء الشريف "كنت" في أحد قبور طيبة من الأسرة العشرين.

ولدينا مظهر من مظاهر تقديس هذه الشجرة لا يزال باقياً في أسماء بعض المدن المصرية كالجميزة والسنطة والنخلية.

ولا زالت هذه الشجرة تزرع في بلادنا إلى اليوم وبخاصة بجوار القبور يستظل الموتى بفيئها وتروي ظمأهم كما يعتقد عامة الشعب ويعتبر قطعها من الأمور المحرمة.



(شكل ٧٨).. تمثال "كاعبر" المعروف باسم (شيخ البلد) مصنوع من خشب الجميز.. أحد قبور سقارة– الأسرة الخامسة..(المتحف المصري)

السنط Acucia nilotica Willd.

أصل هذه الشجرة أفريقيا الاستوائية وآسيا وهي شجرة شوكية متوسطة الحجم سريعة النمو تزرع في الأراضي الرملية. ويذكر (سترابو) أنها كانت تنمو فيما جاور إقليم طيبة. وقد ذكر في المتون القديمة أن السنط كان يجلب من بلاد "واوات" (النوبة).

وكان المصريون القدماء يسمونها "شند" أو "شنت" وبالقبطية "شونتي" ثم حرفت في العربية إلى سنط. وقد اتخذتها بعض المعابد ضمن أشجارها المقدسة تقديراً لفوائدها الكثيرة. ويمتاز خشبها بقوته وصلابته ولونه الداكن ومقاومته للماء وبخاصة بعد تعطينه لذا استخدم في صناعة الأثاث والتوابيت والنواويس والآلات الزراعية وأسلحة المحاريث والفؤوس والسواقي كما استخدم في صناعة السفن الكبيرة التي تحمل البضائع في عصر الدولة القديمة فنقرأ عن "سفينة واسعة من خشب السنط طولها ستون ذراعاً وعرضها ثلاثون ذراعاً". وقد صنعت هذه السفينة في سبعة عشر يوماً واستخدمت لنقل الأحجار. وتدل صور هذه السفن على تقدم صناعتها ولا يزال السودانيون يصنعون سفنهم من خشب السنط حتى اليوم.

ويذكر (هرودوت) أن خشب السنط لم يستخدم في صنع السفن فحسب بل في صنع الساريات أيضاً (ثيوفراست) أن الخشب استخدم في عمل أسقف المنازل وجوانب السفن. وقد عثر على أجزاء من هذا

الخشب في البداري من عصر ما قبل الأسرات ومن عصر الدولة القديمة. ووردت صور هذه الشجرة بأغصانها ذات الأشواك وأزهارها الصفراء وأوراقها ممثلة تمثيلاً طبيعياً دقيقاً على جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى.

وتمتاز هذه الشجرة بأنها تزهر طوال العام وكانت أزهارها تدخل في صناعة الباقات والأكاليل الجنائزية. أما غلافها (قرنها) فكان يمثل أحد العلامات الهيروغليفية ويسمى "نجم" ويقدم ضمن القرابين للآلهة.

ونشاهد في إحدى الصور التي عثر عليها على أحد جدران قبر "خنم. حتب" ببني حسن شجرة سنط ضخمة ترفرف فوق أغصانها طيور مختلفة الأشكال والألوان للدلالة على أنها تأوي الطيور النافعة (شكل ٧٩) كما نشاهد صورتين أخريين من نفس القبر تمثلان عمالاً يقطعون أشجار السنط بينما الماعز تأكل منها أي أن الإنسان والحيوان قد اشتركا في قطع الأشجار.

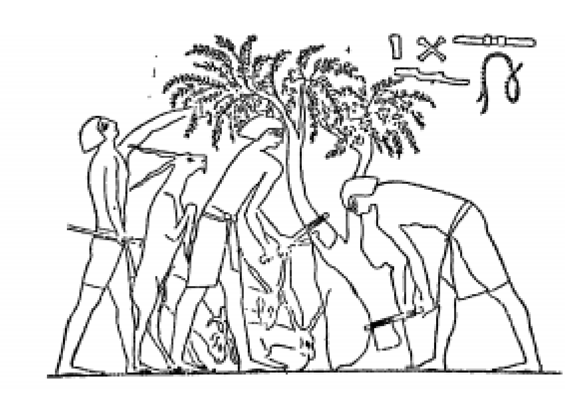


(شكل ٧٩) .. شجرة سنط ترفرف فوق أغصانها طيور مختلفة الألوان.. قبر "خنم. حتب" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى

وترى إحداهما وهي تثب نحو الشجرة لتقتات من أوراقها (شكل ٨٠ و٨١). وهناك صورة حديثة للمقارنة تمثل معزة تأكل من شجرة سنط من نوع Acacia Raddiana عثر عليها في وادي هيكوال بجبل علبة



(شكل ٨٠) .. عمال يقطعون شجر السنط بينما الماعز تأكل منها... أحد قبور بني حسن– عصر الدولة الوسطى



(شكل ٨١).. عمال يقطعون شجرة سنط بينما الماعز تأكل منها.. وتشاهد إحداها وهي تثب نحو الشجرة. أحد قبور عصر الدولة الوسطى

بالصحراء الشرقية (شكل ٨٢). ولا تزال هذه الشجرة موضع تقدير الفلاح المصري حتى اليوم كما كانت في عهد أسلافه فيكثر من زرعها وبخاصة على الطرق الزراعية والجسور في مصر العليا ويستخدم خشبها في صنع الفحم النباتي (البلدي) وبعض الأغراض التي كانت تستخدم فيها قديماً.



(شكل ٨٢).. صورة حديثة للمقارنة من وادي هيكوال بجبل علبة بالصحراء الشرقية تمثل إحدى الماعز وهي تأكل من شجرة سنط من نوع Acacia raddiana (من مجموعة الدكتور لطفي بولس)

وهناك شجرة من نوع السنط كانت معروفة لدى المصريين القدماء تسمى (الفتنة) Acacia ferniciana كانت تستعمل في نفس الأغراض التي استعمل فيها السنط وبخاصة في الطب.

الصفصاف Salix sp.

هذه الشجرة على أنواع منها النوع المعروف باسم S. Babylonica L. والآخر اسمه S. safsaf Forsk. وأصلها من شمال شرق أفريقيا وقد جلبت إلى مصر منذ أقدم العصور. وهي شجرة متوسطة الحجم وارفة الظلال تزرع على شواطئ النيل والترع وخشبها أبيض اللون ناعم الملمس يستخدم في صناعة آلات الزراعة والأثاث كما يستخدم للوقود.

وكان المصريون القدماء يقدسون هذه الشجرة ويسمونها "ترت" و "تاري". واعتاد الفراعنة في أحد أعيادهم الدينية أن ينصبوا شجرة صفصاف أمام تمثال الإلهة "حتحور" ويخاطبونها. وكانوا يصنعون من أغصان الأشجار الرفيعة السلال التي كانت تسمى "مشن" وهي نفس الكلمة التي لا زالت تستعمل في الريف المصري حتى اليوم.

وقد عثر على قطع متحجرة من هذه الشجرة في وادي قنا من عصر ما قبل الأسرات كما عثر على مقبض سكين وصندوق من الخشب من عهد الأسرة الثالثة. ووجدت أيضاً أجزاء من أغصان هذه الشجرة وبقايا باقة جنائزية في أحد قبور نونا الجبل من العصر اليوناني الروماني.

ويوجد ضمن مجموعة "شفينفورت" النباتية المحفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي أجزاء من أكاليل جنائزية يدخل في تركيبها ورق شجر الصفصاف عثر عليها على مومياوات أحمس الأول وأمنحتب الأول من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة بطيبة والأميرة "نزى. خنسو" من الأسرة الحادية والعشرين.

الأثل Tamarix articulate L.

الطرفاء Tamarix nilotica Bunge.

كانت شجرة الأثل تزرع في مصر منذ أقدم العصور وكثيراً ما نشاهد صورها على جدران القبور وهي نوعان: الأول قصير العود ضامر الأغصان واسمه العلمي Tamarix nilotica Bunge ويسمى الطرفاء ويستخدم خشبه للوقود.

والثاني سامق العود واسمه العلمي Tamarix articulate L. كان المصريون القدماء يسمونه "أزر" أو "أسر" و "بالقبطية" أوسى و"بالعبرية" "ايشل" ثم حرف في العربية إلى أثل مما يدل على أن الشجرة أصلها آسيوي من بلاد فارس والهند وسوريا وفلسطين والجزء الشرقي من بلاد العرب.

وأنواع الأثل كثيرة الانتشار في مصر وهو دائم الخضرة متوسط الحجم سريع النمو جميل المنظر وارف الظلال يزرع على حافة الصحراء

وجوانب الطرق الزراعية وبجوار السواقي والأراضي الزراعية والأراضي الجافة لوقاية بساتين الفاكهة من الرياح العاصفة والرمال السافية. ويوجد من هذه الأشجار غابات طبيعية حول بركة قارون بالفيوم.

ويمتاز خشبه بصلابته وثقله ولونه الأبيض ويستخدم في صناعة السفن والعربات وآلات الزراعة ويصنع منه الوقود والفحم النباتي.

وقد عثر على قطع متحجرة من هذه الشجرة في وادي قنا من العصر الحجري القديم كما عثر على خشبها منذ العصر الحجري الحديث وفي البداري من عصر ما قبل الأسرات. أما أغصانها وأوراقها فقد وجدت في قبور منف وطيبة.

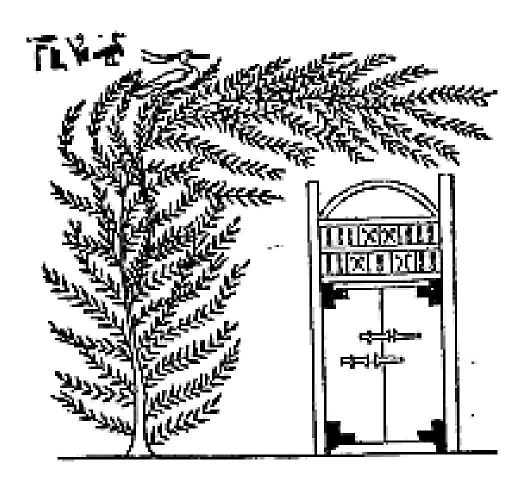
وذكر الأثل أحياناً في المتون المصرية القديمة ابتداء من عصر الأهرامات كما ذكرت حزم من خشب الأثل من عهد الأسرة العشرين.

وعثر (شفينفورت) على أغصان كاملة من هذه الشجرة في تابوت الشريف "كنت" من الأسرة العشرين كما عثر (بترى) على أجزاء منها في جبانة هوارة بالفيوم من العصر اليوناني الروماني. ويذكر (هرودوت) أن بعض العروق الخشبية من هذه الشجرة قد استخدم في صنع القوارب.

ويوجد بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي قطع خشبية من أغصان شجرة الأثل عثر عليها في قبر "كاعنخ" بسقارة من الأسرة الأولى

وفي اللشت بالفيوم من الأسرة الثانية عشرة والفنتين بأسوان من العصر الروماني.

وقدست هذه الشجرة للإله أوزيريس وكانت تظل قبره بأغصانها التي تتدلى منها كما يشاهد ذلك في الصورة التي عثر عليها في أحد القبور القديمة بمدينة (هو) بنجع حمادي. ويلاحظ أن الكتابة الهيروغليفية تشير إلى الطائر "بن" (بنو) الذي سماه اليونان (فونكس) Phoenix حيث يقف فوق أغصانها (شكل ٨٣). ويتبين من أسطورة الإله أوزيريس

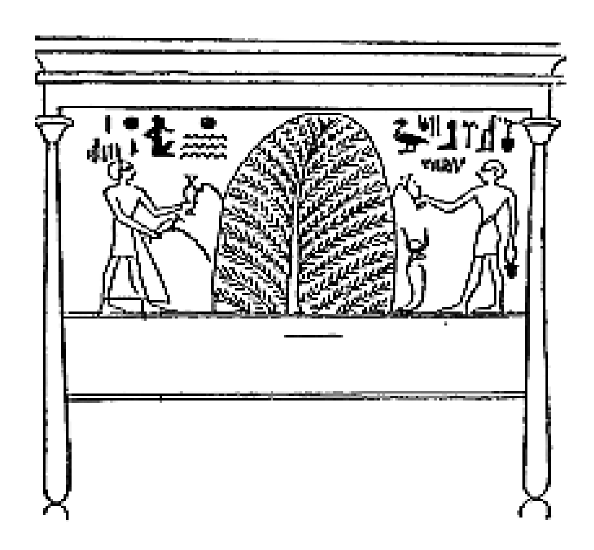


(شكل ٨٣) شجرة الأثل المقدسة وهي تظل بظلها الوارف قبر أوزيريس. ويلاحظ أن الكتابة الهيروغليفية تشير إلى الطائر بن "بنو" الذي سماه اليونان (فونكس).
أحد قبور مدينة (هو) بنجع حمادي (عن ولكنسون)

إن مؤامرة قد دبرت ضده انتهت بإلقاء التابوت الذي يحوي جسده في النيل فجرفته أمواج البحر عند شاطئ مدينة ببلوس على الساحل

الفينفيفي قرب بيروت واستقر هناك ونبتت فوقه هذه الشجرة ثم نمت وكبرت لتحميه من عين الرقيب حتى احتوته بأكمله وبذا أصبحت الشجرة رمزاً للحياة المتجددة.

وقد مثلت شجرة الأثل على أحد جدران الغرفة المقدسة التي كرست للإله أوزيريس في جزيرة فيلة بأسوان حيث نشاهد كاهنين يقومان بري الشجرة التي نبتت فوق القبر (شكل ٨٤) مما يثبت ما قاله (بلوتارخ) في وصف هذا القبر بأنه كان متوجاً بالأزهار عندما يقوم الكهان بأداء الطقوس الجنائزية.



(شكل ٨٤) الكهان يقومون بري شجرة الأثل المقدسة. من يمثل أسطورة أوزيريس في فيلة بأسوان

البرساء Mimusops schimperi Hoschst.

جلبت شجرة البرساء من البلاد الواقعة على سواحل البحر الأحمر وبخاصة شمال أثيوبيا. وكانت تنمو في مصر كما ذكر (بليني) و(ثيوفراست) وانتشرت زراعتها في عصر الدولة الحديثة ثم أخذت تقل تدريجاً خلال العصر اليوناني الروماني.

وكانت الشجرة تسمى بالهيروغليفية "شواب" وبالقبطية "شوب" أو "شوبي" وهي بطيئة النمو دائمة الخضرة ثمرتها حلوة المذاق في حجم اللوز الأخضر وذات فائدة للمعدة.

وقد ذكرت في كتب المؤرخين العرب مثل عبد اللطيف البغدادي والمقريزي باسم (اللبخ) وهي غير شجرة اللبخ المعروفة نباتياً باسم Albzzia lebbek Benth. وكان آخر من ذكرها الرحالة (فان سليبن) الذي سجل وجودها في مصر العليا عام ١٦٧٠ وانقرضت زراعتها في مصر حوالي القرن الثاني عشر الميلادي. وقد جلب "شفينفورت" بذورها من بلاد العرب حوالي عام ١٨٨٩ وزرعها في حديقة المتحف المصري بالقاهرة وذلك بمناسبة عثوره على بعض الباقات والأكاليل الجنائزية التي يدخل في تركيب معظمها أغصان هذه الشجرة وأوراقها. وحينما شذبت إحدى الأشجار المزروعة وفحص خشبها لوحظ أنه ذو لون بني فاتح جداً يكاد يكون أبيض مائلاً قليلاً إلى الصفرة ولو أنه أصبح قاتم اللون عند تعرضه للجو.

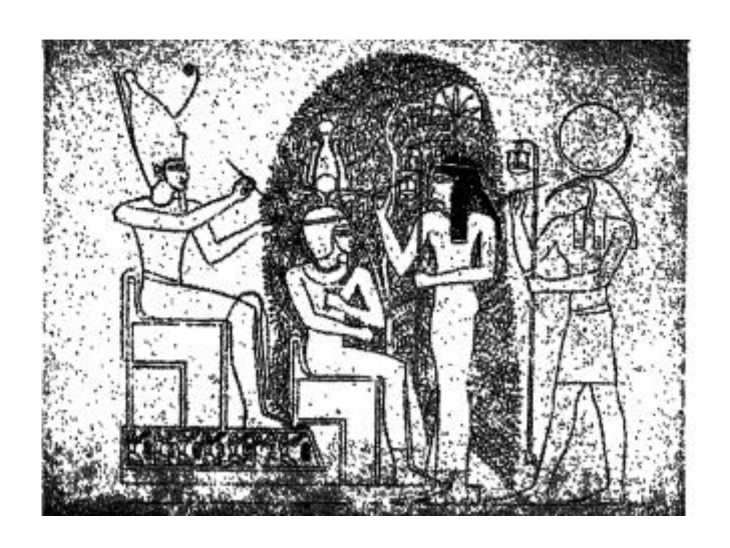
وكانت شجرة البرساء مقدسة للإله أوزيريس واعتبرتها بعض المعابد ضمن أشجارها التي تأوي إليها أرواح الآلهة والموتى كما كانت تظل مدخل وفناء المعبد الذي شيدته حتشبسوت بالدير البحري بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة وبقيت أجزاء من جذوعها في أماكنها حتى اليوم.

ويمتاز خشبها بصلابته وكان يصنع منه الأثاث الجنائزي من أسرة ومناضد وتماثيل "الشوابتي" (المجاوبين). وهي تماثيل صغيرة في هيئة فلاحين يحمل كل تمثال منها فأساً رمزاً للفلاحة والاستعداد للعمل. وقد نقش على التمثال نص سحري يبين الواجبات التي يقوم بها بدلاً من الميت في العالم الآخر. فعندما ينادي الميت هذه التماثيل تقوم بخدمته بواسطة التعاويذ السحرية التي تكسبها القدرة على العمل نيابة عنه. وقد فسر بعض المؤرخين كلمة "شوابتي" بمعنى "مجاوبين" أي عند ما يسألها الميت المعونة تجيبه قائلة: "هأنذا..."

وقد عثر على أغصان هذه الشجرة في قبور مختلفة من عصر الدولة الوسطى حتى العصر اليوناني الروماني كما عثر على باقات كاملة من أغصانها وأوراقها وثمارها في قبر توت عنخ آمون وقبور دير المدينة بطيبة من الأسرة التاسعة عشرة ووجدت أيضاً باقات وأكاليل جنائزية من هذه الشجرة في تابوت أحمس الأول ومع مومياء رمسيس الثاني.

وقد وجد نقش على أحد جدران معبد رمسيس الثاني بمدينة هابو بطيبة من الأسرة التاسعة عشرة يمثل الآلهة "تحوت" و"سشات" و"أتوم"

وهم يسجلون اسم رمسيس الثاني على شجرة كبيرة– يظن أنها البرساء– بينما يجلس الفرعون تحت ظلها الوارف أمام الإله "رع. حور. أختي" ليهبه العمر الطويل (شكل ٨٥). وما زالت هذه العادة منتشرة في مصر حتى اليوم إذ يسجل بعض الناس أسماءهم على جذوع الأشجار عند زيارتهم الحدائق.



(شكل ٨٥) .. الآلهة "تحوت" و"سشات" و"أتوم" يسجلون اسم رمسيس الثاني على الشجرة المقدسة ويظن أنها البرساء... طيبة– الأسرة التاسعة عشرة

الهجليج Balanites aegyptiaca Del.

كانت هذه الشجرة تنمو في الحدائق وهي نادرة الوجود في مصر اليوم ولا توجد إلا في الحدائق الهامة كحدائق الحيوان بالجيزة كما تنمو في أثيوبيا وبلاد النوبة والواحات الخارجة حيث تعرف باسم الهجليج أو تمر

العرب. وهي شجرة معمرة متوسطة الحجم بطيئة النمو ثمرتها تشبه ثمار البلح وخشبها صلب يقاوم فتك الحشرات يمتاز بجودته.

وكان المصريون القدماء يسمونها "ايشد" وقدست للإله أوزيريس. وكانوا يأكلون ثمارها ويصنعون من أغصانها الأكاليل الجنائزية ويستخدمون خشبها في البناء والصناعة وعمل مقابض السكاكين والحراب ويستخرجون من قلفها أليافاً لصنع الحبال. وكان القلف يستعمل أحياناً كالصابون لغسل الملابس.

وقد عثر على ثمار الهجليج في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

النبق Zizyphus spina-christi Willd.

كانت شجرة النبق تنمو في منطقة البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة بما فيها مصر منذ أقدم العصور. وكان القوم يعرفونها ويزرعونها في أفنية منازلهم ليستظلوا بظلها الوارف ابتغاء البركة. وهي تنمو طبيعياً في شبه جزيرة سيناء وبعض أنحاء الصحراء الشرقية. وتوجد حالياً في بلاد العرب والنوبة وأثيوبيا وأفريقيا الاستوائية.

وكانت تسمى بالهيروغليفية "نبس" ولعل الاسم الحالي نبق مشتق منها. وكثيراً ما ذكرت في الكتب القديمة وعرفها العرب باسم (سدر) Sidr وسموا وادياً هناك لا يزال يعرف باسم (وادي سدر). ولعل اقتران اسمها

باسم السيد المسيح Christ يرجع إلى أكليل الشوك الذي توج به حيث كان مصنوعاً من أغصانها. وقد أجمع المفسرون على أن (سدرة المنتهى) الواردة في القرآن الكريم ما هي إلا شجرة نبق كما أجمعت كتب الفقه عند الكلام على غسل الميت أنه "يندب غسله بماء مغلي بسدر".

وكان لهذه الشجرة مكانة ممتازة. ويزعم بعض الناس أن من يأكل ثمارها يبقى فمه طاهراً أربعين يوماً. وكان القوم يعتبرونها مقدسة حتى عهد قريب وتعرف باسم (المندورة) أو (شجرة فاطمة) ويزعمون أن السيدة فاطمة ﵂ زرعت هذه الشجرة وكان المرضى يؤمونها طلباً للشفاء وهو اعتقاد يشبه ما كان يعتقده المصريون القدماء من تقديس الأشجار وتقديم القرابين لها. ولا يزال لهذه الشجرة مكانتها إذ تزرع غالباً بجوار أضرحة الأولياء بالقرى المصرية.

وشجرة النبق بطيئة النمو وارفه الظل أوراقها دائمة الخضرة وخشبها أصفر اللون وثمارها تقرب في حجمها من حجم ثمرة الكريز الصغيرة وتشبه الكريز الأصفر اللون في مظهرها وهي حلوة الطعم إذا كانت ناضجة وزكية الرائحة ولها نواة واحدة. وكثيراً ما وجدت ثمار النبق المجففة في القبور وبخاصة في سقارة من الأسرة الثالثة وفي قبر توت عنخ آمون بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة حيث وجدت عنده سلال تحتوي على ثمار النبق.

وهي شجرة ليست كبيرة الحجم وقد صنعت من خشبها الألواح الخشبية التي تكون الأجزاء الرئيسية لمقاصير توت عنخ آمون المحفوظة

بالمتحف المصري بالقاهرة كما صنعت منه الآلات الزراعية والمنزلية والأثاث الجنائزي.

ويذكر (هاميلتون) أن خشب النبق من أكثر الأخشاب فائدة في مصر ويصنع منه الجزء الأكبر من الساقية. ولما كان هذا الخشب ذا فائدة كبيرة جداً في الوقت الحاضر– ويمتاز بمتانته وصلابته– فيظن أنه كان كذلك في العصور القديمة.

وإذا جفت ثمار النبق وطحنت انفصل الغلاف الثمري عن البذور ونتج من ذلك دقيق حلو الطعم يصنع منه (عصيدة) مغذية يأكلها البدو. أما الثمر الجاف فيستخدم غذاء للإبل في المناطق التي ينمو فيها طبيعياً. وقد ذكر النبق في البرديات الطبية ويقول المثل المصري القديم أن من يأكل نبقة واحدة تظل رائحة فمه طاهرة أربعين يوماً.

ويذكر (لوريه) أن المصريين القدماء كانوا يصنعون من الثمار خبزاً حلواً. وقد عثر على ثمار النبق في قبور عصر ما قبل الأسرات كما عثر عليها ضمن القرابين التي قدمت للآلهة في قبور الأسرتين الأولى والثانية. وعثر (مسبرو) على بعض الثمار في أحد قبور الجبلين بمصر العليا. كما وجد (بترى) بعضاً منها ضمن القرابين التي كانت تقدم للموتى في أحد قبور كاهون من الأسرة الثانية عشرة وفي الشيخ عبادة من العصر القبطي محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. وقد عرف أخيراً أن ثمار النبق تفيد في علاج تورم الثدي.

المخيط Cordia myxa L.

تكثر زراعة المخيط في البلاد الحارة وأصل الشجرة من آسيا وهي بطيئة النمو متوسطة الحجم تعلو إلى نحو اثني عشراً متراً وثمرتها تشبه ثمرة النبق ذات بذرة صلبة بمادة لزجة حلوة الطعم قليلاً يأكلها بعض الناس.

وتمتاز هذه الشجرة بأنها دائمة الخضرة وارفة الظل كانت تزرع في مصر منذ أقدم العصور واسمها بالهيروغليفية "محت" وحرفت إلى الاسم الحالي مخيط.

وخشبها أسمر اللون مائل للحمرة متوسط الصلابة يستخدم في صنع السفن وأدوات الزراعة كما يستخدم للوقود. وتستخرج من لحائه ألياف تصلح لعمل الحبال ويستخدم لبها في مصر فخاخاً لاقتناص الطيور الصغيرة وذلك بأن تدهن أغصان الأشجار بالمادة اللزجة في الثمار فإذا وقعت الطيور عليها علقت أرجلها بها وتعذر عليها الطيران. لذلك منعت زراعة هذه الشجرة في مصر خوفاً من استخدام ثمارها في قنص الطيور الصالحة للزراعة.

وقد وجدت أغصانها في أحد قبور طيبة من الأسرة الثانية عشرة كما وجدت ثمارها في قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة والعصور التالية له.

وذكر (بليني) أن المصريين القدماء كانوا يصنعون من ثمار المخيط نوعاً من النبيذ.

الأشجار الخشبية الأجنبية

كانت مصر في حاجة ماسة إلى زيادة مواردها من الأشجار الخشبية خلال عصورها التاريخية. وكان من الضروري أن تجلب جانباً مما تحتها من الأخشاب الجيدة على نحو ما تفعل في الوقت الحاضر.

وذكرت لنا المتون المصرية القديمة أنواعاً كثيرة من الأشجار المجلوبة لم يحقق العلماء غير عدد يسير منها. وأهم الأخشاب التي جاء ذكرها هذه المتون هي العرعر والصنوبر والأرز والأبنوس والبلوط.

وكان المصريون القدماء يرسلون البعثات التجارية للحصول على الأخشاب اللازمة لهم كما كانوا يحصلون عليها عن طريق غزواتهم فكانت الشعوب المغلوبة ترسل الأخشاب تباعاً إلى مصر ضمن الجزية التي ترد الفراعنة وبخاصة في عصر الدولة الحديثة.

وكانت الأخشاب المجلوبة باهظة الثمن لأنه حتى في صناعة الأثاث الفاخر كان يكتفي بتغطية الخشب بطبقة من نوع أجود أو بطلائه بلون أصفر باهت تتخلله خطوط حمراء موجية الشكل حتى يبدو بشكل الخشب الأجنبي الثمين. ولم يكن الخشب الأصيل جميلاً ولذلك فإنه كثيراً ما كان يغطي بطبقة من الجص تلون بألوان مختلفة.

أصل هذه الشجرة من بلاد العرب وتنمو على مرتفعات عالية وتوجد بوفرة على جبال سوريا وآسيا الصغرى وقد يصل ارتفاعها إلى حوالي سبعين قدماً (حوالي عشرين متراً). أما أنواع العرعر الأخرى فتنبت كشجيرات فحسب كما توجد بعض أشجار منها قرب شبه جزيرة سيناء في منطقتي (يلج) و(جبل هلال). والنوع الذي ينمو في مصر اليوم يختلف عن النوع القديم ويسمى J. phoenicea.

وكان المصريون القدماء يسمونه "أوان" وعرف في بعض المتون القديمة باسم "عرو" أو "عنو" وكانوا يسمون خشبه "برشو".

ويمتاز خشبها بلونه الأحمر ورائحته العطرة. وقد اختلط الأمر بين خشبها وبين خشب الأرز لدى اليونانيين والرومانيين. وقد عثر (ل. شوك) L. Chalk على خشب العرعر في توابيت من الخشب داخل الهرم المدرج بسقارة من الأسرة الثالثة كما عثر على غطاء صغير لصندوق من هذا الخشب من نفس الأسرة محفوظ بالمجمع العلمي المصري بها يدلبرج. وعثر أيضاً على قطع خشبية منه كانت تتخذ مسنداً لمومياتين من العصر الروماني.

ووصف (لوريه) أداة مصنوعة من خشب العرعر كانت تستخدم في الغسيل. وكان القوم يصنعون من هذا الخشب التوابيت والأثاث كالأبواب والعصى وبعض أدوات الصناعة. وأقدم ما عثر عليه من ثمار العرعر في

قبور الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة قبر توت عنخ آمون بطيبة وتوجد بالمتحف المصري ثمار عرعر عثر عليها في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من الأسرة العشرين وبعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. وكانت الثمار تستخدم لتلوين الخمور وتزويدها بطعم خاص كما تدخل في تركيب بعض المواد الطبية والدهون والتحنيط وتحتوي على زيت كان يستعمل لمسوح الموتى ذكره بعض المؤرخين القدامى مثل ديوسقوريدس وابن سيناء وابن البيطار.

السرو Cypressus sempervirens L.And Taxus baccata L.

كان المصريون القدماء يعرفون نوعين من السرو ينتميان للعائلة الصنوبرية. الأول يسمى Cypressus sempervirens L. والثاني يسمى السرو التركستاني Taxus baccata L.

وكان الأول يزرع في مصر كما تدل على ذلك النقوش المدونة على الآثار ويسمى بالهيروغليفية "اعلو" وبالقبطية "آرو". أما الثاني فقد ورد ذكره في النقوش الهيروغليفية باسم "عش" حسب تعريف (هـ. دكرس) H. Ducros ولو أن بعض العلماء ينسبون هذا الاسم لشجرة الأرز.

وكانت شجرة السرو مقدسة للإله أوزيريس ولها شأن كبير في جزيرة الفنتين بأسوان. وهي معمرة دائمة الخضرة بطيئة النمو تنمو بوفرة في الأجواء المعتدلة وبخاصة في جنوب أوروبا وغرب آسيا ويتخذها المسيحيون

في مصر والخارج رمزاً للحزن وزينة للقبور. ولا تزال تنمو بعض شجرات منها في حدائق الدلتا وفي الدير المحرق ودير سانت كاترين يشبه جزيرة سيناء وتسمى (الشجرة الحزينة).

وتوجد في أوراق هذه الشجرة وبذورها مادة سامة تسمى (ناكسين) وعلاف البذور القرمزي غير سام يستخدم في الأغراض الطبية.

وكان المصريون القدماء يجلبون خشب السرو التركساني من فينيقيا والبلاد الشرقية الأخرى مما يدل على الصلات الوثيقة والعلامات التجارية التي كانت قائمة بمصر وتلك البلاد في ذلك الوقت. ويتضح ذلك من النقوش التي عثر عليها للإله "ماؤوت" على الجدران الخارجية لمعبد رمسيس الثالث بالكرنك حيث يقول فيها: "لقد صنعت لي قارباً من خشب (العش) يسير في النهر وهو (عش) حقيقي مستورد من البلاد الشرقية".

ويمتاز خشبه بصلابته وجودته وعدم تأثره بالحشرات لذا كانوا يصنعون منه التوابيت الكبيرة الفاخرة مثل توابيت "أور. سنفرو" التي عثر عليها (دارسي) عام ١٨٩٣– ١٨٩٤ في بلدة مير من الأسرة الثانية عشرة المحفوظة بالمتحف المصري كما صنعت منه أقواس الصيد والحرب والزوارق المقدسة التي يبلغ طول الواحد منها حوالي خمسين متراً. وكان الصناع يقبلون على صنع آلاتهم من هذا الخشب لنعومته وصنعت منه

أيضاً ساريات السفن وحاملات الأعلام التي كانت ترفع على واجهات المعابد وقد لاقت عناية فائقة من علماء الآثار والنبات في العصر الحديث.

ويظن أن فلك سيدنا نوح عليه السلام الوارد ذكره في التوراة مصنوع من خشب هذه الشجرة. فقد ورد في سفر التكوين (الإصحاح السادس العدد الرابع عشر). أن الله قال لنوح: "اصنع لنفسك فلكاً من خشب (جفر)" Gopher ويرجح أن هذا الخشب هو من أحد أنواع شجر السرو وكانت أغصانه تستخدم أكاليل للموتى.

وقد وجدت ثلاث عينات من خشب السرو التركستاني. اثنتان منها من الأسرة السادسة وواحدة من الأسرة الثامنة عشرة.

الصنوبر Pinus halepensis Mill.and Pinus pinea L.

تنمو شجرة الصنوبر في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ويرجح أنها جلبت من بلاد الشرق الأوسط وآسيا الصغرى وسوريا وتنجح زراعتها في الأراضي الرملية. وهي دائمة الخضرة كبيرة الحجم وقلفها ناعم الملمس وأغصانها صغيرة وثمارها مخروطية بيضاوية الشكل تزرع في حدائق القاهرة والإسكندرية. أما الصنوبر المثمر Pinus pinea L. فأشجاره أطول من الحلبي وتوجد بعض أشجار منه نامية محلياً ويستخدم خشب الصنوبر في المباني وغيرها.

ويمتاز خشبها بجودته وكان يستخدم في صنع التوابيت. وقد عثر على توابيت كبيرة من عصر الدولتين القديمة والوسطى ألواحها من خشب الصنوبر محفوظة بمتحف برلين كما عثر على قطعتين من هذا الخشب إحداهما منشورة ومشذبة من عصر ما قبل الأسرات والأخرى من التابوت ذي الطبقات الست الذي عثر عليه في الهرم المدرج بسقارة من عهد الأسرة الثالثة.

وقد عثر على ثمار الصنوبر في قبور سقارة وكوم أوشيم وتونا الجبل والجبلين من العصر اليوناني الروماني بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الأرز Cedrus libani Loud.

أصل هذه الشجرة آسيا الصغرى ولا زالت تنمو في لبنان وهي شجرة كبيرة يمتاز خشبها برائحته العطرية النفاذة. وكانت مقدسة للإله أوزيريس الذي كان ينتحب بصوت يشبه الصوت الذي تحدثه شجرة الأرز عندما تداعبها الريح بينما كان مختبئاً في قلب الشجرة في جبال ببلوس (جبيل) على الساحل الفينيقي.

وكان المصريون القدماء يجلبون خشب الأرز من لبنان ويسمونه "معش" ويستخدمونه في صنع الزوارق وبخاصة الزورق المقدس للإله "آمون رع" وتوابيت الموتى وأثاث المعابد والقصور. أما الشجرة فكانت تسمى "سيب" و"سب" وبالقبطية "سيبي". وقد عرف (هارتمان) الاسم المصري

القديم للأرز "خنتشيه Khentschc بينما حاول (شاباس) و(دي هراك) أن يفسرا كلمة "عش" بأنها أرز.

ويذكر (ارمان) أن أفضل سفن عصر الدولة القديمة وأكثرها سرعة هي السفن الشراعية التي كانت تصنع من خشب أصفر فاقع اللون هو خشب الأرز. ويذكر (لوريه) أن خشب الأرز ورد في المتون الدينية القديمة من عهد الأسرة السادسة. وقد صور العمال الذين يعملون في هذا الخشب على أحد جدران قبر "تي" بسقارة.

وعثر (برنتون) و(تومسون) على خشب الأرز في البداري من عصر ما قبل الأسرات. وعثر (ريزنر) على تابوت منه يظن أنه من نجع الدير من عصر الدولة القديمة كما عثر (أوكلي) على تابوت آخر في الدير البحري بطيبة من الأسرة الحادية عشرة. وهناك تابوت ضخم مصنوع من هذا الخشب عثر عليه في أحد قبور البرشا من هذه الأسرة محفوظ بالمتحف المصري. وقد صنعت المقاصير الكبيرة الثلاث التي كانت تحتوي على التابوت الذي وضعت فيه مومياء توت عنخ آمون من خشب الأرز والنبق وإن كان الخشب الرئيسي الذي صنعت منه هو الأرز.

وبفحص مراكب الشمس- وصحتها المراكب الجنائزية للملك خوفو باني الهرم الأكبر بالجيزة وقد عثر عليها في عام **١٩٥٤**- تبين أن معظم أجزائها مصنوع من خشب الأرز. أما أجزاء المركب الأخرى فقد صنعت

من أخشاب محلية كالسنط والجميز بينما المسامير الخشبية من خشب السنط.

وكان المصريون القدماء في حاجة ماسة إلى الأعلام لاستخدامها في الطقوس الدينية. فكانوا يقدسون عموداً اتخذوه بعد ذلك رمزاً للإلهين رع وأوزيريس. ويرجح أن يكون أصل هذه العقيدة في أساطيرهم الدينية. وتتركب الكلمة الهيروغليفية "نتر" بمعنى إله من عمود طويل وقطعة من النسيج تسمى العلم. ولم تكن أعمدة هذه الأعلام موجودة في مصر لقلة الأشجار ذات الجذوع الطويلة لذا فقد جلبوها من أقطار أخرى لاسيما من بلاد "بنت" المقدسة (الصومال).

وقد ورد ضمن نقوش (حجر بالرمو) أن سنفرو أحد فراعنة الأسرة الرابعة أرسل أسطولاً بحرياً من أربعين سفينة إلى فينيقيا لجلب خشب الأرز.

ومن بين التقاليد التي لا زالت منتشرة أثناء الحفلات الدينية– كحلقات الذكر مثلاً– إقامة عمود (ساري) في وسط مكان الحفل. وفي هذا يقول الأستاذ محمد درار: "وقد لاحظت في مديرية بحر الغزال بالسودان أن مدخل الطريق المؤدى إلى منزل الرئيس كان يميز بعمود يبلغ ارتفاعه من خمسة إلى ثمانية أمتار يحمل علماً أبيض".

الأبنوس Diospyros ebenum Koenig

أصل هذه الشجرة جزائر الهند الشرقية. ويذكر (لوريه) أن المصريين القدماء عرفوا الأبنوس عن طريق أثيوبيا. وتدل النقوش التي عثر عليها على جدران القبور على أن خشب الأبنوس كان يجلب من بلاد بنت وكوش والنوبة.

وكانوا يسمون الشجرة "هابني" وبالعبرية "هابن" وباليونانية أبنوس ثم تناولتها اللغات الحديثة بالتحريف واشتقت منها الكلمة الإنجليزية Kbony والعربية أبنوس. وعثر على اسمه بلونه الطبيعي في قبر "حور. حتب" بطيبة.

ويمتاز خشب الأبنوس بصلابته وله لون خاص ومظهر مميز وليس دائماً أسود اللون ولكنه قد يكون ذا لون بني قاتم.

وقد عثر على لوحات صغيرة وجزء من خاتم أسطواني الشكل من هذا الخشب منذ عهد الأسرة الأولى. وأهم ما عثر عليه في قبور عصر بناة الأهرام تماثيل وأسرة دقيقة كما عثر على تمثال من هذا الخشب في قبر "تي" بسقارة من الأسرة الخامسة. وأقدم ذكر لخشب الأبنوس في المتون المصرية القديمة يرجع إلى الأسرة السادسة وكثر استخدامه منذ عصر الدولة الوسطى.

وقد أرسل أمنحتب الثالث هدايا إلى ملك بابل من الأبنوس تشمل أربعة أسرة ومسند رأس وعشرة مواطئ للقدمين وستة مقاعد.

وعثر على مقاصير وتوابيت وصناديق وكراسي ومحاريث صغيرة وتماثيل وعصي وأسواط وملاعق وآلات موسيقية (عود) ومساند رأس مصنوعة من خشب الأبنوس في القبور المختلفة تزخر بها المتاحف العالمية. وليس من المؤكد ما إذا كانت هذه الأدوات قد صنعت في مصر أو كانت تجلب من الخارج. كما عثر على أشياء مصنوعة من خشب الأبنوس في قبر توت عنخ آمون أهمها سرير ومزالج وأبواب مقاصير وإطارات صناديق ومقاعد.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن شجرة الأبنوس كانت تزرع في عصر الدولة القديمة ثم انقرضت بعد ذلك فاضطر المصريون القدماء إلى جلبها من الخارج في عهد الأسرة الثامنة عشرة.

ويذكر (بليني) و(ثيوفراست) أن نشارة خشب الأبنوس كانت تستخدم في الطب. وقد عثر على نقوش تمثل المصريين وهم يقطعون أغصاناً من شجر الأبنوس وعثر على صور تمثل نقل خشب الأبنوس من بلاد بنت إلى مصر على أحد جدران المعبد الجنائزي الذي شيدته حتشبسوت بالدير البحري بطيبة كما عثر على نقش على حجر محفوظ بمتحف اللوفر بباريس يبين أن الأبنوس كان يستخدم ضمن الأخشاب النفيسة. وكان الفينيقيون ينقلونه من أفريقيا إلى سواحل العرب بدليل ما عثر عليه من نقوش تبين الحرب التي قامت بين تحتمس الثالث مع الآسيويين والفينيقيين وقد غنم منهم ما كان مشحوناً في سفنهم من عاج

وجلود وأبنوس. ويذكر (هرودوت) أن الأبنوس كان يجلب جزية من أثيوبيا إلى مصر.

وقد وجد تمثال من العاج والأبنوس في أحد القبور من عهد أمنحتب الثاني. ووجدت نقوش لرمسيس الثاني ذكر فيها الأبنوس كما ذكر خشبه وصناعته في العصر البطلمي. من ذلك الناوس الذي كان يحمل عليه تمثال المعبود "سكر" في عيد الإله أوزيريس بدندرة فقد كان مصنوعاً من خشب الأبنوس المطعم بالذهب.

البلوط Quercus sp.

ينمو البلوط العادي بكثرة في أوربا وآسيا وشمال أفريقيا كما ينمو أحد أنواعه على جبال لبنان ويزرع كأشجار زينة لجمال أجزائه الخضرية ويعطي بعض أنواعه خشباً قيماً صلباً يسمى (الأرو) يستخدم في البناء وصنع السفن والعربات والأدوات والآلات والأثاث.

وقد عثر

(بترى) على بعض قشور البلوط في أحد قبور هوارة. ويذكر (شفينفورت) أن هذه الشجرة توجد في الوقت الحاضر مع نوعين آخرين هما Quercus Pedunculata Ebr., Quercus Lusitanica في المنطقة البحرية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وربما كان الحال كذلك في أيام الفراعنة.

ويذكر (بليني) و(ثيوفراست) أن طيبة كان بها غابة كبيرة مغروسة بأشجار متنوعة منها شجر البلوط ويرجح أن المصريين القدماء قد عرفوه وزرعوه وكانوا يسمونه "اينولنا".

وقد عثر على قوس مركب مصنوع من هذا الخشب في قبر توت عنخ آمون كما عثر على إطارات عجل عربة مصنوعة من نفس الخشب من عهد الأسرة الثامنة عشرة محفوظة بمتحف برلين.

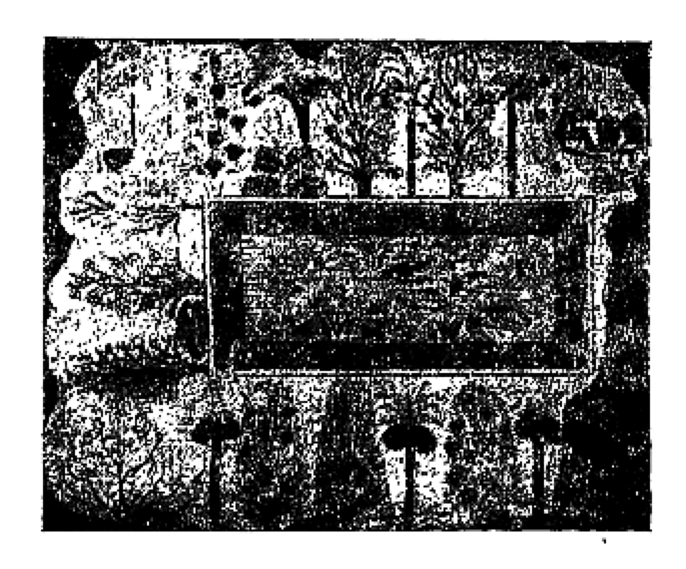
وقد عرف المصريون القدماء الدردار والغرغاج Fraxinus and ulmus sp. وقد وجد جزء ن عربة مصنوع من خشبها في قبر توت عنخ آمون بطيبة.

أما الزان ويسمى Fagus Sylnatica فينمو في غرب آسيا وقد وجدت عينة من خشبه في أحد القبور من القرن الثالث أو الرابع الميلادي.

الحدائق

عنى المصريون القدماء بزراعة الحدائق وتنسيقها عناية فائقة. فأعيادهم وحفلاتهم ذات صلة وثيقة بالطبيعة المزدهرة. وشعرهم وغزلهم متصل بالحدائق الغناء ومنتجاتها الوفيرة. وإذا نظرنا إلى ما خلفوه من آثار على جدران قبورهم ومعابدهم أمكننا أن نتصور الطرق التي أتبعوها في إنشاء الحدائق والبساتين. وكانت أحواض المياه عنصراً هاماً في الحدائق

وحرصوا على وجود واحد منها أو أكثر. وقد عثر على صورة لحديقة غناء في أحد قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة وقد انتشرت فيها الأشجار والأزهار المختلفة يتوسطها حوض تسبح فيه ألوان السمك والبط الزاهي الألوان منها ما هو أحمر اللون لتكملة زينتها ومظهرها (شكل ٨٦).



(شكل ٨٦).. حديقة غناء وقد انتشرت فيها الأشجار والأزهار المختلفة الألوان يتوسطها حوض تسبح فيه ألوان السمك وطيور الماء... أحد قبور طيبة– عصر الدولة الحديثة (المتحف البريطاني)

وقد بدأت فكرة إنشاء الحدائق وتطورها منذ عهد الأسرتين الرابعة والخامسة. وقد عثر على صور على جدران القبور– معظمها في غرف الدفن– تبين قطعاً من الأرض قد زرعت فيها ألوان من النباتات وتوضيح ما يقوم به العامل في الحديقة من زرع الأشجار وريها وجني ثمارها وصنع النبيذ تمهيداً لتقديمه قرباناً للآلهة.

ويعتبر عصر الدولة الوسطى مصدراً وافياً لتنظيم الحدائق وتنسيقها. فقد ظهرت الأحواض وفيها النباتات المائية التي زادت من رونقها وبهائها. ونشاهد على جدران قبور عصر الدولة الحديثة صوراً لنباتات متنوعة بديعة التنسيق حولها سور يمكن أن نعتبرها حديقة في عرفنا.

وكانت الحدائق تروي بحذر وعناية. وقد استخدم المصريون القدماء القواديس والشواديف في ريها. وفي حالات كثيرة كانوا يستخدمون دلوين يحملان على نير من الخشب على أكتافهم.

وقد عنى القوم بزراعة أنواع شتى من الأشجار والأزهار منها ما يفيدون من ثمره كالجميز والتين والبلح والدوم والكرم والنبق والرمان والزيتون ومنها ما يستظلون بظلاله الوارفة كالسرو والأثل والسنط والصفصاف والبرساء. وإذا اشتد الحر كانت روح الميت في قبرها تتمتع بالظل الرطيب ويتبين ذلك من المتن التالي الذي عثر عليه في أحد نقوش القبور: "في كل يوم أسير بلا توقف على شواطئ الماء وأن روحي لتسريح على أغصان الأشجار التي زرعتها حتى أمتع نفسي تحت ظلال أشجار الجميز".

وتعتبر شجرة الجميز من أهم الأشجار التي ازدانت بها الحدائق. وكان العشاق يتلاقون تحت ظلها الوارف ويتبادلون أحاديث الحب والغرام. وكثيراً ما ذكرت في المتون الدينية بأنها شجرة مقدسة تسكن الآلهة بداخلها متربعة عروشاً من أغصانها.

وكان حب الأزهار من طبيعة المصريين القدماء. وكثيراً ما نرى الفتاة وهي تشغل نفسها في الحديقة بعمل باقة منها وتردد بصوتها الحنون أغان يفيض بها قلبها فتقول:

"إن الإنسان يشعر أنه قد كبر شأنه وهو معك. إني أختك الأولى. وأني لك بمثابة الحديقة التي زرعتها بالأزهار وجميع أنواع الأعشاب العطرة. وفي هذه الحديقة حوض ماء حفرته يداك وهي مكان جميل أتنزه فيه عندما يهب على نسيم الشمال العليل ويدي في يدك. وجسمي مطمئن وقلبي مسرور من نزهتنا معاً. إن سماع صوتك (يسكرني) كالخمر ويحييني سماعه. إن رؤيتك وحدها خير لي من الطعام والشراب".

ولو تأملنا صور الحدائق التي عثرنا عليها لشاهدنا أنها لا تختلف كثيراً عن حدائق سيدنا سليمان التي جاء وصفها في التوراة: "بنيت لنفسي بيوتاً. غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنات وفراديس. وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة الشجر".

وكان للحدائق إله يسمى "خم" Khem وهو اسم قريب الشبه من الكلمة "كيمي" إحدى الأسماء التي سميت بها مصر كما كان للمصريين القدماء عيداً يسمى عيد الحدائق تخضر فيه الأشجار وتتفتح الأزهار وتنضج الثمار ويقضى الناس يومهم في مرح وسرور وهم يستمتعون بالموسيقى والغناء. فكل المشاعر التي تربطنا بالحديقة كانت تربط المصريين

القدماء بها فكانت تعتبر مكاناً للحب وأشجارها موضع ثقة المحبين. وفي الوقت الذي تحتفل فيه الحديقة بعيدها يعني ذلك اليوم الذي يكتمل ازدهارها وفيه تدعو الجميزة الكبيرة بنت رب الدار لتجيء وتستظل بظلها بينما يكون خطيبها جالساً بجانبها يتناجيان ويتشاكيان الحب والغرام.

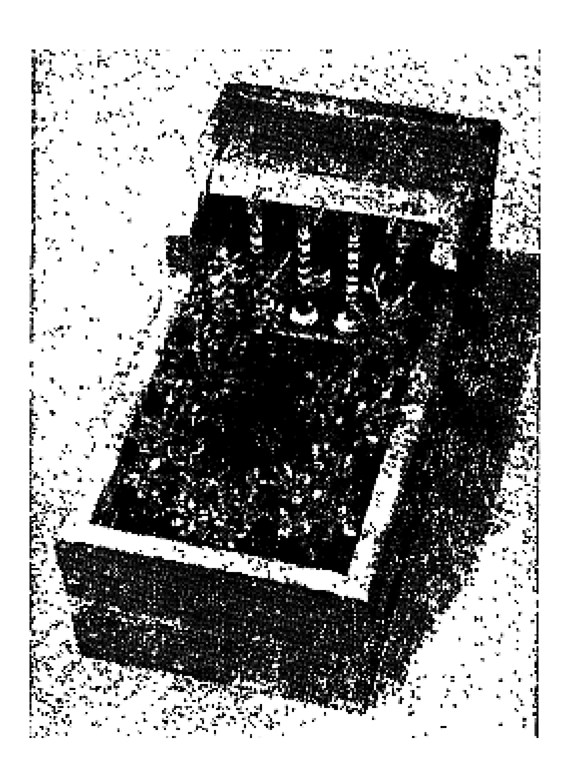
وقد اختلفت الأغراض التي أقيمت من أجلها الحدائق وتعددت أشكال الأحواض فيها. فمنها المستطيل أو المربع ومنها الحدائق ذات الحوضين ومنها الواقعة على شاطئ النهر أو القنوات ومنها حديقة الخضر وحديقة المنزل وحديقة القصر وحديقة المعبد وحدائق العالم الآخر.

حديقة المنزل:

كان المترفون من الناس يقيمون الحدائق الواسعة ذات الأسوار حول منازلهم وقد غرست فيها ألوان من الأشجار كالصفصاف والرمان والخشخاش وتجملها أحواض المياه ويغطى سطحها نباتاً اللوتس والبردي.

وتشاهد على أحد جدران قبور عصر الدولة القديمة صورة تمثل كبير الكهان "متن" وقد غرس في قطعة من الأرض مربعة الشكل طول ضلعها مائتا ذراع- أي أن مسطحها يبلغ نحو عشرة آلاف متر مربع- "أشجاراً جيدة" من بينها النخيل والتين والدوم والسنط وحفر فيها "حوضاً كبيراً جداً" به نباتات خضراء اتخذتها الطيور المائية مأوى لها. وبني له منزلاً جميلاً محاطاً بسور مرتفع تحف به الأشجار الباسقة وأمامه تكعيبة عنب.

وقد شيد "مكت. رع" بالدير البحري بطيبة من عهد الأسرة الحادية عشرة حديقتين لا مثيل لهما. وبذل الفنان الذي صنع نموذجاً لهما جهداً كبيراً في إظهار الأجزاء الهامة للمنزل والحديقتين اللتين تدخلان السرور والغبطة على قلب صاحبها. وقد أقام سوراً يحجب المنزل عن العالم الخارجي كما أقام حوضاً مستطيل الشكل مصنوعاً من النحاس حتى يسهل وضع ماء حقيقي فيه وأحاطها بأشجار الفاكهة ثم أنشأ أمامها إيوانا عظيماً محلى بأعمدة نضرة الألوان وقد صنعت الأشجار من الخشب وركبت في كل منها أوراق بعد حبك صناعتها. (شكل ٨٧).



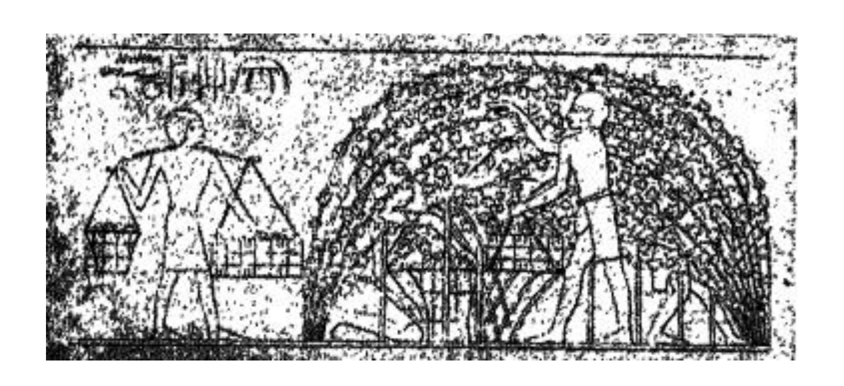
(شكل ٨٧).. نموذج حديقة (بفراندة). وتشاهد البركة وهي مبطنة بالنحاس ومحاطة بأشجار التين. وقد زود سقف (الفراندة) بمزاريب وارتكز على أعمدة بشكل سيقان اللوتس والبردي.. قبر "مكت. رع" بالدير البحري بطيبة– الأسرة الحادية عشرة

(متحف متروبوليتان بنيويورك)

وكانت الأشجار تغرس في معظم الأحيان صفوفاً وتحاط قاعدة الجذع بحافة مستديرة من الطمي منخفضة في داخلها أي قرب الجذع ومرتفعة عند أطرافها فكانت تبعث الماء سريعاً إلى الجذور.

وقد عثر على صورة على أحد جدران قبر "خنم. حتب" ببني حسن من عصر الدولة الوسطى تمثل عاملين أحدهما واقف والآخر راكع وهما يجمعان العنب من تكعيبة مستديرة (شكل ٨٨). ولدينا صورة عثر عليها في أحد قبور الأسرة الثامنة عشرة تبين المنزل وقد شيد في الطرف الأقصى من الحديقة واختفى تماماً وراءها وقد أحاط بقطعة الأرض من جميع جوانبها سور مرتفع تعلوه فتحات وتظلله صفوف من النخيل وغيره من الأشجار الباسقة. ويؤدي الباب الرئيسي إلى حديقة الكروم الفخمة تتدلى منها عناقيد العنب الكبيرة الزرقاء اللون وهي تشرئب بأعناقها متسلقة حواجز مبنية. وهناك جزء من الحديقة يؤلف المدخل الحقيقي ويضم حوضاً مستطيلاً يحيط به النخيل وأشجاراً أخرى منخفضة كما يوجد في جزء من الحديقة الأمامية حيث تقوم شجيرات خضراء حائط يفصله عن باب الحديقة. ويرجح أن يكون هذا الجزء مشتلاً أو مكاناً يضم طائفة خاصة من الأشجار النادرة. ويوجد أيضاً بالحديقة الأمامية بابان يؤديان إلى

خارجها يفضى أحدهما إلى حديقة النخيل ويوصل الآخر إلى الرئيسي الخلفي من الحديقة. فإذا نفذ المرء منه وصل إلى "بحيرة رطبة" أي منعشة كان رب البيت يجد بهجة وسروراً في الجلوس إليها للترويح عن النفس بعض الوقت. كما كانت توجد حريثة أنيقة أشبه

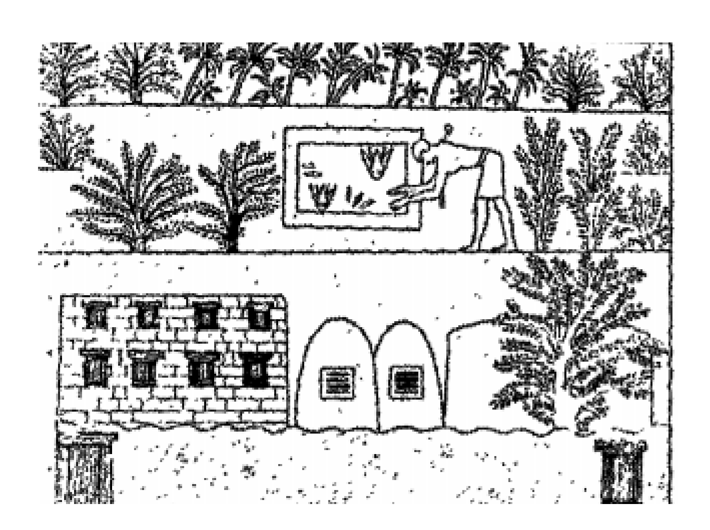


(شكل ٨٨).. جني العنب من تكعيبة مستديرة.. قبر "خنم. حتب" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى

بالكشك نحيط بها الأشجار يجلس فيها صاحب البيت مع أفراد أسرته يراقب أطفاله وهم يلهون ويلعبون في الماء ويخطفون الأزهار من الحوض ويستمتعون بالموسيقى والرقص والغناء.

ومن أشهر الحدائق ما عثر على صورها على أحد جدران قبر "أنا" Anna أو "انيني" Inena رئيس مخازن الغلال في عهد أمنحتب الأول من عصر الدولة الحديثة– وقد ذكرت أسماء الأشجار بالحديقة وعددها وتضم عشرين نوعاً مختلفاً من بينها ثلاث وسبعون شجرة جميز وإحدى وثلاثون شجرة برساء ومائة وسبعون شجرة نخيل ومائة وعشرون شجرة نخيل دوم

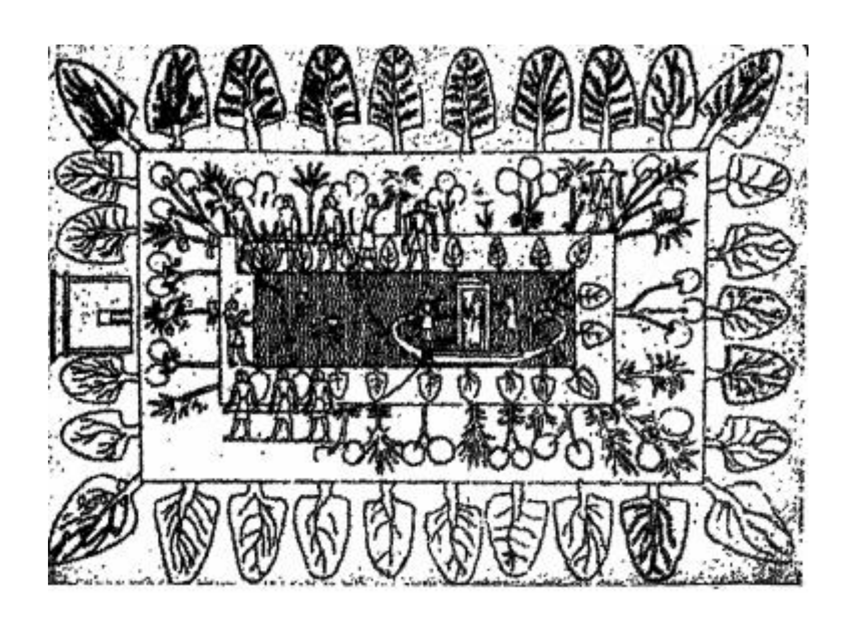
وخمس شجرات تين واثنتا عشرة كرمه وخمس شجرات رمان وتسع شجرات صفصاف وعشر شجرات أثل وجملتها أربعمائة وخمس وثلاثون شجرة. وقد زرع الكرم على أعمدة من الخشب بيجانها في هيئة أزهار اللوتس بألوان زاهية وأقيمت التكاعيب المتوازية في مساويات تصل بين باب الحديقة والمنزل وأصبحت من أهم زينات الحدائق واشتقت منها (البرجولات) المعروفة لنا اليوم. وكان يوجد في وسط الحديقة حوض مستطيل الشكل به أزهار اللوتس وزرعت في أركانه أشجار الدوم والبرساء كما تشاهد منزلاً ذو طابقين به مخازن للغلال يحيط به حديقة لها بابان يؤديان إليها. (شكل ٨٩).



(شكل ٨٩).. منزل ذو طابقين به مخازن غلال وحوله حديقة.. قبر "أنا" بطيبة– عصر الدولة الحديثة

وتشاهد على أحد جدران قبر الوزير "رخميرع" بطيبة صورة تمثل حديقة قد وزعت فيها ألوان من الأشجار يتوسطها حوض مستطيل

الشكل كما نشاهد عاملين يحمل كل منهما على كتفه حامل تتدلى منه جرار الماء لري الحديقة (شكل ٩٠).



(شكل ٩٠).. حديقة حافلة بألوان الأشجار يتوسطها حوض مستطيل الشكل .. قبر "رخميرع" بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة

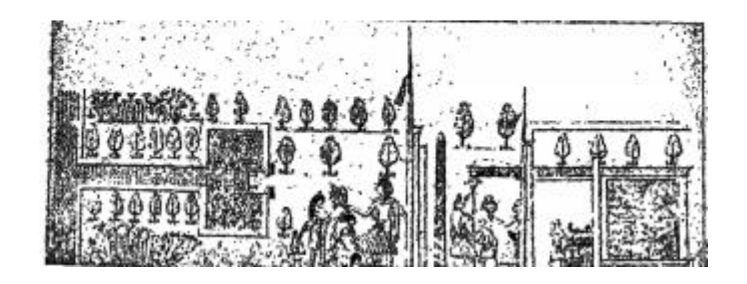
وهناك صورة أخرى عثر عليها في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بطيبة تمثل منزلاً تحيط به حديقة في وسطها حوض ماء تنمو فيه أزهار اللوتس وتسبح فيه الأسماك وتغرد الطيور. وتشاهد فتاة تجني ثمار الجميز بينما أحد الرجال يحمل مبخرة لحرق البخور وقد نسقت أصص الأزهار حول الممر المؤدى للمدخل لتزيين المكان كما نشاهد سيدات يقمن بزيارة حديقة المنزل وهن في مرح وسرور بعضهن يشربن النبيذ من الأواني (شكل ٩٦).

وقد عثر على أحد جدران قبر "سنفر" رئيس حدائق آمون وقد عاش في عهد أمنحتب الثاني بالشيخ عبد القرنة بطيبة- على زخارف جميلة



(شكل ٩١).. سيدات يزرن حديقة منزل وهن في مرح وسرور. ويشاهد بعضهن وهن يشربن النبيذ من الأواني.. أحد قبور الشيخ عبد القرنة بطيبة- عصر الدولة الحديثة

تمثل الكرم وقد غطى سقف القبر كله مما جعله أشبه بتكعيبة عنب جلس تحتها صاحب القبر مع زوجه. كما عثر عن صورة أخرى في أحد قبور طيبة تمثل منزل كبير موظفي أمنحتب الثالث تحيط به حديقة تحف بها ألوان من الأشجار والأزهار وبخاصة زهرة اللوتس (شكل ٩٢).



(شكل ٩٢).. منزل كبير موظفي أمنحتب الثالث يحيط به حديقة غناء.. أحد قبور طيبة- عصر الدولة الحديثة

وتبدو الحديقة في احد منازل تل العمارنة من عهد أخناتون كما لو أراد البناء أن يبرزها بصفة خاصة كحرم مقدس للمنزل وتضم معبداً صغيراً على شكل جوسق (كشك) وأشجاراً وأجمات ببئر ويختفي هذا المنزل تماماً بين أشجار عالية عددها ست وسبعون شجرة وأجمة رتبت في صفوف منتظمة وتناسق محكم. وكانت مثل هذه الحدائق الضخمة تتطلب جهداً كبيراً فهي تحول الصحراء الجرداء إلى أرض خصبة تزرع فيها الأشجار والنباتات.

وترينا الصورة التي عثر عليها في منزل الكاهن الأعظم "مريرع" عدة مبان ذات أغراض مختلفة بعضها لجلوس كبار الكهان وبعضها الآخر لاستخدامها بيوتاً للمال لممتلكات المعبد أو مخازن للغلال داخل الحديقة. وكانت تنمو بها أجمات وأشجار متباينة بينها نخيل البلح والدوم والجميز والرمان مما يزيد المكان جمالاً (شكل ٩٣ و ٩٤).

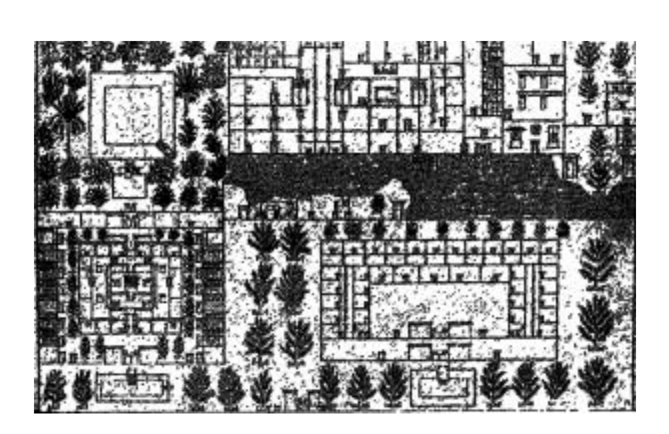
ويضم المتحف المصري بالقاهرة نموذجاً بديعاً لمنزل ريفي من تل العمارنة حوله حديقة متسعة بها حوض ماء وأشجار مختلفة وأدوات ري ومخازن غلال وزرائب للماشية خلف المنزل.

وتوجد على أحد جدران قبر "سن. نجم" يدير المدينة بطيبة من الأسرة التاسعة عشرة صورة تمثل حديقة بها نخيل البلح والدوم والتين والزيتون والرمان والعنبر واللقاح تتخللها قنوات الري.

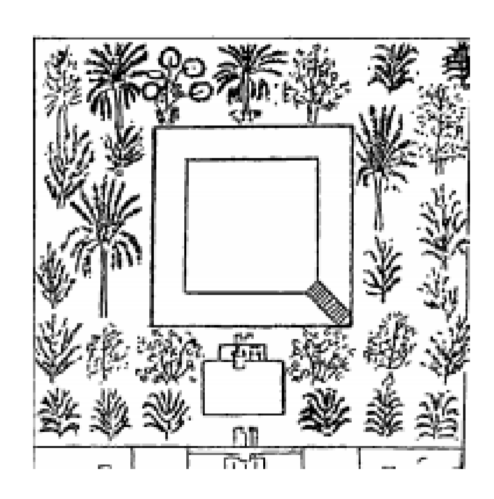
حديقة القصر:

كان القصر محاطاً بسور من اللبن له بوابة كبيرة تجاوره غرفة صغيرة. وأشهر الحدائق ما كان يحيط بقصر أمنحتب الثالث. فقد حفر فيها حوضاً كبيراً طوله يزيد عن كيلو ونصف وعرضه أكثر من ثلاثمائة متر مليء بالماء وذلك في الذكري الثانية لحفل تتويجه وقد نزل مع الملكة "تي" في قارب ملكي لأول مرة للنزهة به.

أما قصر أخناتون فينهض دليلاً على تعلق الفرعون بالأزهار وحبه لها. فكانت تحيط بالقصر حديقة غناء بها أشجار باسقة وأزهار يانعة وكشك يستمتع بالجلوس فيه مع الملكة. وكان الطريق الموصل من القصر إلى مرسى السفينة الملكية يخترق مجموعة من الحدائق. فنشاهد الرجال وهم منهمكون في العمل وقد ربطوا الأزهار ونسقوها في باقات لكي يحملوها إلى القصر. وتحتوي الحديقة على حوض به أزهار تمثل



(شكل ٩٣). قصر كبير الكهان "مريرع" تحيط به ألوان من الأشجار.. تل العمارنة– الأسرة الثامنة عشرة



(شكل ٩٤).. جزء من قصر كبير الكهان "مريرع" يمثل حديقة بها أجمات وأشجار يتوسطها حوض ماء.. تل العمارنة– الأسرة الثامنة عشرة

الطبيعة تمثيلاً صادقاً. ويتضح جمال هذا الحوض من أجزاء الأرضية التي عثر عليها عام ١٨٩١ في القصر ونقلت إلى المتحف المصري. وقد صور في أحد نصفي الأرضية حوض كبير تسبح في مياهه ألوان من الأسماك والبط وتنبت فيه أزهار اللوتس وغيرها من النباتات المائية وترفرت على سطحه طيور مائية في حركات طبيعية رائعة وزينت جوانب الأرضية بانريز زخرفي وجدانه من نباتي اللوتس والبردي على التعاقب.

حديقة المعبد:

يمتاز عصر الدولة الحديثة بإقامة الحدائق حول المعابد وكان المصريون القدماء يزرعون ألواناً من الأشجار حولها. وقد شيد هيكل قرص الشمس

في وسط حديقة غناء. وكان لكل معبد حديقة واسعة الأرجاء تزرع في وسطها شجرة خاصة لها قدسيتها وزينت جوانب المشايات بأصص الأزهار المصنوعة من الخزف. وكانوا يربون النحل في الحدائق داخل خلايا من الطين. ويزعم (ولكنسون) أنه رأى رسماً له في أحد قبور طيبة وكان القوم يعنون بتربيته لتقديم عسله قرباناً للمعابد.

وقد شيدت حتشبسوت معبداً فخماً بالدير البحري بطيبة تمجيداً للإله آمون يحتوي مدخله على ثلاث مدرجات زرعت فيها نباتات متنوعة بعناية فائقة كانت تروي من النيل بواسطة مواسير منتظمة. ولا تزال توجد أمام مدخل المعبد أجزاء من جذوع شجرة البرساء في حفرتين مستديرتين حولهما سور حتى اليوم. ويا له من منظر رائع للقادمين من النيل وهم يمرون بين صفين من تماثيل أبي الهول تقع على جانبيها أشجار البرساء الفارعة الطول. كما عنيت الملكة عناية خاصة بجلب أشجار البخور والمر وألوان من النباتات الأخرى من بلاد "بنت" (شكل ٩٥). وترينا النقوش التي عثر عليها على جدران المعبد أرضاً بها أشجار كثيرة بينها "واحد وثلاثون شجرة بخور خضراء جلبت من بين ذخائر "بنت" للإله آمون لم تر مثلها منذ نشأ العالم". وقد اقتلعت هذه الأشجار بصلاياتها ووضعت في أصص ثم نقلت في المراكب إلى مصر. ويقول بعض العلماء أن هذه الأشجار هي البرساء وقد زرعت في حديقة المعبد وشاع استخدام هذه الأصص فيما بعد وأصبحت نموذجاً لأصص الزينة الحالية.

وقد تلقى تحتمس الثالث شجرة بخور خضراء من أهالي بلاد "بنت" (الصومال) تمتاز برائحتها الزكية. وقد جلب من سوريا كثيراً من النباتات المختلفة وغرسها في طيبة ومنحها لمعبد الإله آمون. وقد



نقوش تمثل بعض النباتات التي جلبتها حتشبسوت من بلاد "بنت".. معبد الدير البحري بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة

نقشت صورها على جدران إحدى قاعات بهو الأعياد بمعبد الكرنك وسماها بعض العلماء (حجرة الزراعة) وهي عظيمة القيمة من الناحية الفنية وتعتبر مرجعاً هاماً لعلماء النبات الذين درسوا أنواعها وكتبوا عنها بإسهاب وهي أقدم حديقة نباتية من نوعها في العالم القديم وقد ورد فيها رسم الرمان لأول مرة ثم انتشرت زراعته بعد ذلك وأصبح فاكهة محلية شائعة (شكل ٦٩ و ٩٧).

وقد عثر على صورة لحديقة "ابى" بدير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة تبين عناية القوم بتربية الأشجار وريها. ويشاهد في وسط الحديقة بناء جذاب يرجح أنه معبد يؤدي إليه مدخل ذو درج مكشوف على

جانبيه قناة حولها حوض نبتت فيه أشجار الرمان والزيتون والعنبر واللقاح والخشخاش واللوتس والبردي كما يشاهد عاملان يقومان بري الحديقة بالشادوف (شكل ٩٨).

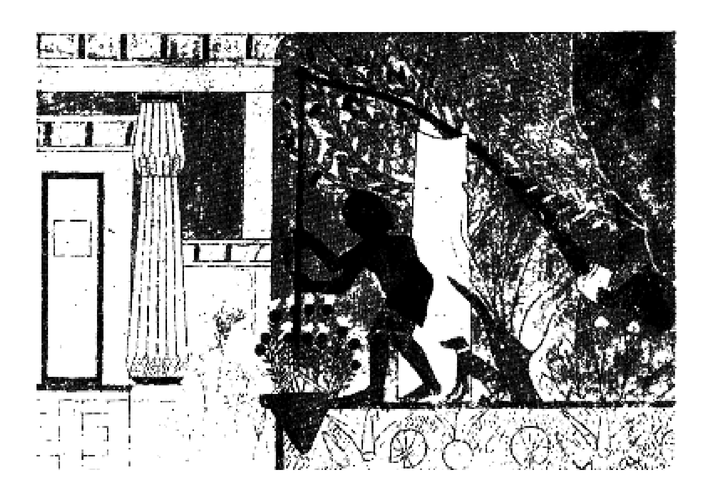
وقد أقام الكاهن الأكبر "باك. ان. خنسو" من عهد رمسيس الثاني حدائق في طيبة. وكان رمسيس الثالث مولعاً بالحدائق أيضاً. فأنشأ في مدينة هابو بطيبة حديقة بها أشجار وأحواض للأزهار وكان الفرعون يفخر بأنه جلب نباتات أجنبية وزرعها في هذه الحديقة ويقول



(شكل ٩٦).. الحديقة الكبرى التي أنشأها تحتمس الثالث ثم نقل إليها ألواناً من شجر البقاع الآسيوية وطيورها.. معبد الكرنك بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة



(شكل ٩٧) ..إحدى صور الحديقة الكبرى التي أنشأها تحتمس الثالث ثم نقل إليها ألواناً من شجر البقاع الآسيوية وحيواناتها. . معبد الكرنك بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة



(شكل ٩٨).. عامل في حديقة معبد يروي بالشادوف تحف حوله أشجار الرمان والزيتون البشنين (اللوتس) والبردي والعنبر واللقاح.. غير "ابى" يدير المدينة بطيبة– عصر الدولة الحديثة

إنه "حفر حوضاً أمامها" ويمدح موقع الحديقة في المعبد وأشجار الفاكهة والكروم والأزهار التي غرست حوله وأمام واجهته حتى يسر الإله آمون برائحتها الزكية وقد حول مدينة طيبة المعفرة إلى جنة فيحاء. ويعتبر هذا الفرعون صديقاً للحدائق فقد أنشأ في مدينة "بر. رمسيس"

(رعمسيس) بالدلتا "حدائق عظيمة وأماكن للنزهة بها أشجار الفاكهة الحلوة وطريقاً مقدساً للحفلات يفضى إلى المعبد يتألق بالأزهار من جميع الأقطار من نباتات وبردي لا يحصى لها عدد". واقتضى الأمر أن تزرع هناك أزهار كثيرة لأن تعلقهم بإنشاء الحدائق وتربية الأزهار قد أدى بهم إلى استيراد الفسائل الأجنبية. وقد أهدى معبد هليوبوليس أشجار الزيتون وخصص لها عمالاً مهرة لاستخراج الزيت منها لإضاءة المعابد. وقد جاء في بردية "هاريس" أن رمسيس الثالث قال: "أنشأت لك بستاناً غرست فيه أشجار السنط والنخيل وزينت حياضه باللوتس والبردي". وقد عنى القوم عناية خاصة بزراعة أشجار البخور والمر في المعابد لإدخال السرور إلى قلب الآلهة وهكذا استنبتت في طيبة نباتات جديدة عمرت السماء والأرض بأريجها الزكي.

حدائق القبور:

كان هناك شعور بأن الجبانة مهما تكن جميلة إلا أنها مكان موحش لذا فقد أنشأوا على مقربة منها حدائق زرعت فيها ألوان من الأشجار والأزهار.

وقد عثر على صورة لهذه الحدائق حيث نشاهد أشجاراً مختلفة بينها مائدة قرابين كما نشاهد امرأة تندب أمام القبور (شكل ٩٩).

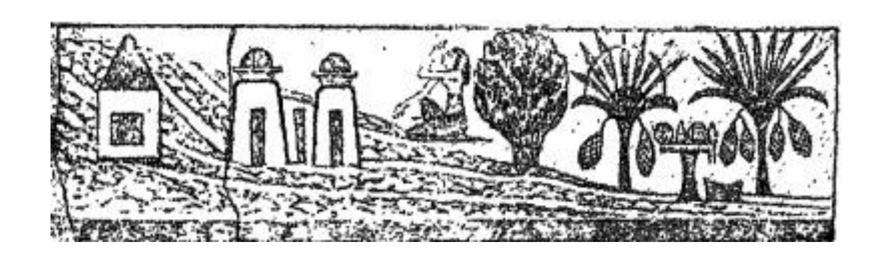
وقد ذكرت حديقة الجبانة في قصة سنوهى من عصر الدولة الوسطى. وكانت هذه الحدائق غير كبيرة لوقوعها في الصحراء حيث لا ماء

أو نبات فيها. وعثر على صورة تمثل الأكل في الغرفة المقدسة التي كرست للإله أوزيريس في فيلة بأسوان.

ولما بني أحمس لجدته قبراً تذكارياً في أبيدوس (العرابة المدفونة) حفر لها حوضاً وغرس حوله الأشجار المختلفة.

وعثر على أحد جدران قبر "انيني" على وصف شامل "لحديقة الغرب" كما كانوا يسمونها وذكر ألوان الأشجار التي زرعها وشيد فيها حوضاً وكشكاً يجلس فيه الميت مع زوجته حيث كان يأمل أن يتريض معها ويجلسان سويا تحت ظلال أشجارها.

وقد لاحظ (ولكنسون) أن بعض الناس كانوا يزينون قبورهم



(شكل ٩٩).. حدائق القبور وتشاهد بين أشجار النخيل والجميز مائدة قرابين وامرأة تندب الميت أمام قبره.. العصر الليبي (المتحف المصري بالقاهرة)

بإنشاء الحدائق أمام أبوابها ويقوم بخدمتها عادة صديق حميم للميت يأتي كل يوم بالماء من النيل أو من الآبار الموجودة في حواجز الجبال واستدل على ذلك بوضع طمي من النيل أمام تلك القبور مع أنها موجودة في أماكن رملية مقفرة.

الأزهار

عنى المصريون القدماء بتربية الأزهار عناية بالغة. فحيثما القي المرء بنظره على الآثار وجد أزهاراً. وكل المشاعر التي تربطنا بالطبيعة والمروج الخضراء كانت تربطهم بالأزهار والحدائق المنسقة. فذكروها في شعرهم واتخذوها رموزاً وشارت. وقد تغنى أحد فلاسفة اليونان بالعناية التي أظهرها المصريون في تربيتها.

وقد ورد في الوثائق التي تركها القوم أنهم كانوا يتفيأون ظلال الأشجار اليانعة وينتظرون حبيباتهم وهن مقبلات إليهم وصدورهن مكللة بالأزهار. وكان الفرعون نفسه يذهب إلى ساحة القتال في عربته ونحره مزين بأكاليل منها. ولم يهمل الفقراء منهم التزين بها إذ نشاهد في الصور التي عثر عليها على جدران قبور عصر الدولة القديمة الفلاحين وهم يعلقونها حول نحورهم ويزينون بها حيواناتهم كما نشاهد النيران المسمنة تحلي رقابها بأكاليل منها. من ذلك الصورة التي وجدت على أحد جدران قبور عصر الدولة الحديثة (شكل ١٠٠). وكانت توابيت الموتى تحاط بالأزهار وتوضع المومياوات على أسرة حول جباها تيجان منها مثبتة بدبابيس وفوق صدورها الباقات والأكاليل الجنائزية بينما النائحات يحملن الأزهار أمام عربة الميت في يوم الدفن حتى يصلن إلى القبر. وكان القوم يصنعون أحياناً نماذج من الخشب أو الورق المقوى لها ويضعونها بجانب الميت.

ولم يهمل القوم تزيين حدائقهم بأنواع شتى من الأشجار والأزهار. فكانوا يقيمون في وسط الحديقة حوضاً يغطى سطحه بأزهار اللوتس المتفتحة. وقد وجدت أزهار متباينة كالعنبر واللقاح والأقحوان والنرجس والزنبق الأبيض والغار الوردي والخشخاش. وعثر في أحد قبور طيبة على نباتات مختلفة معظمها من اللوتس والبردي والباقيات ويظهر بينها



(شكل ١٠٠)

ثور قد زينت رقبته بإكليل من أزهار اللوتس... أحد قبور طيبة من عهد أمنحتب الثالث– عصر الدولة الحديثة

العليق (رقم١– ١) شكل (١٠١) ثم يقطعونها ويضعونها في أصص وينسقونها بطريقة تكسبها هيئة باقة الزهر كما نشاهد ذلك على أحد جدران قبر العظيم "تسن" بمنطقة أهرام الجيزة وقبر "بتاح. حتب" بسقارة من الأسرة الخامسة. وقد عثر على صورة على أحد جدران قبر "منا" بطيبة من عصر الدولة الحديثة تمثل باقة من أزهار اللوتس (شكل ١٠٢).

وقد عرفت بعض الأزهار في العصر اليوناني الروماني كالياسمين والريحان والورد المعروف باسم "روزا سانكتا".

ولما كان البشنين (اللوتس) أهم زهرة عرفها المصريون القدماء فسنتكلم عنها ببعض التفصيل.



(شكل ١٠١).. نباتات متنوعة معظمها من اللوتس والبردي والباقات (١– أ) عليق و(١– ب) بردي و(٢) باقة و (٣) لوتس و (٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨– أ) بردي و(٨– ب و ج) لوتس و (٩) بردي و (١٠) قطع من الخشب و (١١ و١٢ و ١٣) باقات... أحد قبور طيبة (عن ولكنسون)



(شكل ١٠٢).. باقة من أزهار اللوتس.. قبر "منا" بالشيخ عبد القرنة بطيبة– عصر الدولة الحديثة.

اللوتس

كان طبيعياً أن يأخذ زهرة اللوتس للمكان الأول بين جميع الأزهار. وقد اتخذها القوم رمزاً لمصر العليا وظهرت إلى جانب نبات البردي رمز مصر السفلى وكان مألوفاً مثلها سواء بسواء.

وقد لعبت هذه الزهرة دوراً هاماً في حياة المصريين القدماء وبقيت محافظة على شهرتها حتى اليوم. وتوجد في بعض الحدائق الهامة كحدائق الحيوان بالجيزة والحديقة اليابانية بحلوان وحديقتا المتحف المصري والمتحف الزراعي بالقاهرة.

وكان اللوتس ينمو في البرك والمستنقعات التي انتشرت في مصر وقتئذ وبخاصة في مصر السفلى وقد عرف منه نوعان:

الأول وهو الأبيض ويسمى علمياً "نيمفيالوتس"

Nymphaea lotus L.

وهو نبات مائي يندر وجوده اليوم. وكان المصريون القدماء يسمونه "سن. شن" أو "سشن" وهي كلمة ليست بعيدة في لفظها ومعناها من الاسم العبري "شوشن" الذي حرف في العربية إلى "سوسن" واسم جنسه "نيمفى" نسبة إلى نيمف "أي الحورية. وتقول إحدى الأساطير اليونانية القديمة إن حورية جميلة قد هجرها هرقل فألقت بنفسها في النيل فتحول جسمها إلى زهرة اللوتس.

وقد عثر على بتلات هذه الزهرة ضمن أجزاء من أكليل جنائزي وجد مع مومياء الملك رمسيس الثاني. ويروي (هردوت) أن المصريين القدماء كانوا يجمعون اللوتس ويجففونه في الشمس ويأخذون ما يحتويه من بذور الخشخاش ويطحنونها ويصنعون منها أرغفة يخبزونها على النار. ويمكن أكل جذور البشنين أيضاً وهي حلوة لذيذة إلى حد ما مستديرة الشكل في حجم التفاحة. وأغلب الظن أن هذا النوع لم يكن معروفاً في مصر قبل العصور المتأخرة.

والثاني وهو الأزرق ويسمى علمياً "نيمفيا كوريوليا"

Nymphaea coerulea Sav.

واسمه بالهيروغليفية "ساريات Sarpat وقد عثر على رسومه على الآثار وتوضح لنا صور قبور عصر الدولة القديمة أشخاصاً قد زينت رسومهم بهذه الزهرة وقد أضاف الفنان إلى لونها الطبيعي ألواناً أخرى زاهية ليزيدها رونقاً وبهجة.

وتحتوي مجموعة "شفينفورت" النباتية المحفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي على أكاليل جنائزية نادرة تدخل في تركيبها أزهار وسبلات وبتلات هذه الزهرة وجدت مع مومياوات الفراعنة أحمس الأول وأمنحتب الأول ورمسيس الثاني. وقد عثر على عقد من فروع الكرفس مع أزهار وبتلات اللوتس الأزرق على مومياء الشريف "كنت" بالشيخ عبد القرنة بطيبة من عصر الدولة الحديثة.

أما اللوتس الأحمر ويسمى علمياً "نيليمبيم سبسيوزم"

Nelumbium Speciosum فهو المعروف باسم (الفول المصري) واسمه بالهيروغليفية "نخب" Nekheb وقد جلبه الفرس إلى مصر نحو عام **٥٢٥** قبل الميلاد ولم ينتشر إلا في العصر الروماني حيث وجد في قبور هوارة بالفيوم.

ويرجح أنه قد جلب من الهند حيث لا يزال يقدس هناك وتؤكل بذوره الآن في كشمير.

ويذكر (لوريه) في كتابه "النباتات الفرعونية" أن ثمار هذا الزهرة كثيرة الثقوب وأزهارها ذات وريفات نويجية وردية سماها. (هردوت) زنابق النيل الحمراء أو عرائس النيل وأوراقه درقية مستديرة في هيئة القبعة المستديرة. ويظن (شفينفورت) أن هذا النوع قد اختفى من مصر بسبب تغير الطقس ويكثر الآن في آسيا.

وكان المصريون القدماء يقدمون أزهار اللوتس للضيوف في الحفلات رمزاً للتحية والإكرام فيلهو بها الضيف ويشمها أو يقربها من أنف جاره أو جارته. وكانوا يميزون بين الضيف أو المضيف بأزهار اللوتس يحملها الضيف في يده أو نوضع على جبهته بحيث يتدلى برعم الزهرة من الأمام. وكانت النساء يضعنها في شعورهن وأيديهن ويتهادين بها في الحفلات. وقلما نجد سيدة من عصر الرمامسة دون أن تتوج رأسها بهذه الزهرة.

وكان القوم يتغنون بزهرة اللوتس في الحفلات وقد عثر على النشيد التالي الذي يقول: "احتفل بهذا اليوم السعيد واستنشق رائحة العطر وزيوته. وضع أكاليل من أزهار اللوتس على ساقي أختك وصدرها. تلك المقيمة في قلبك. الجالسة بجوارك بين عزف الموسيقى وغناء المنشدين. ولا يهتم بشيء بل اغتنم فرص اللذات قبل أن يجئ اليوم الذي تقترب فيه من الأرض التي نألف السكون".

وقد بلغ من تقدير المصريين القدماء لهذه الزهرة أن نقشوها على معابدهم وقدموها قرباناً على مذابح الآلهة. وكانوا يزينون بها جدران

قاعات أعيادهم وموائد قربانهم حتى لقد عثر على مائدة قربان أمام صاحب القبر وليس عليها شيء سوى الأزهار.

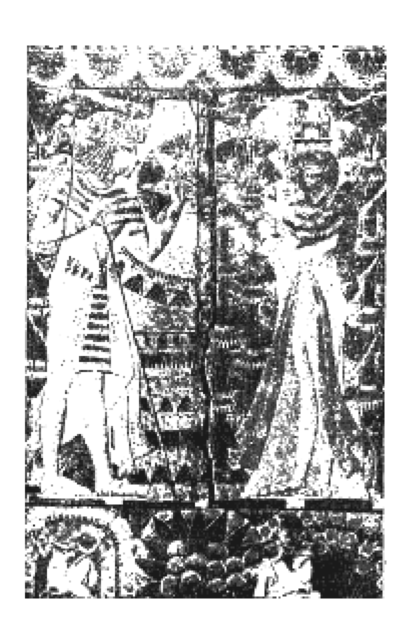
وقد احتلت زهرة اللوتس مكانة ممتازة في عالم الفن والعمارة. فكانوا ينقشون تيجان الأعمدة ورءوسها على أشكالها وأوراقها. ومن هذا (العمود اللوتسي) أشنقت أنواع الأعمدة الأخرى مثل (العمود الأيوني). وكثيراً ما مثل اللوتس على التحف وأدوات الزينة والأثاث الجنائزي كما يشاهد ذلك في أثاث نوت عنخ آمون المحفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة.

وقد عثر على صورة لهذا الفرعون وزوجته تقدم له باقات الأزهار وقد أحاط الفنان صورتيهما من جميع الجهات بالأزهار المنسقة تنسيقاً زخرفياً متعدداً (شكل ١٠٣).

ويذكر (بترى) أن العالم مدين في زخارفه للمصريين الذين أوجدوا أول مدنية على الأرض. فقد بدأ الفن المصري أشكالاً بسيطة كالخطوط والدوائر معظمها يمثل اللوتس والبردي ثم أخذ الفنان يزيد وينقح في أشكال هاتين الزهرتين رويداً رويداً حتى أوجد مئات الأشكال الزخرفية التي أخذتها الأمم الأخرى. وتعتبر زهرة اللوتس من أهم الوحدات المشهورة في فن الزخرفة المصرية القديمة وشاع استخدامها حتى تكاد تكون رمزاً لها (شكل ١٠٤). وقد أكثر الفنان من رسم أوضاعها وهي مفردة أو مع ساقها أو إلى جوار نبات البردي رمزاً للوحدة بين شمال الوادي وجنوبه تحت حكم فرعون مصر بحيث تتناوبان الزخرفة واحدة بعد الأخرى

وتمشت معها في كل أدوار تاريخها واتخذها الفنان محوراً للزخرفة ورمز بها القوم إلى الجمال والرقة.

وقد كرست زهرة اللوتس للإله "حوريس" فمثله الفنان جالساً فوقها ووجدت على عصبة الإله "نفرتم"– رمز الشمس الغاربة– ويلاحظ أن معظم أزهار اللوتس تنقبض عندما يخيم الظلام وتغور في الماء حتى



(شكل ١٠٣).. الملك توت عنخ آمون وزوجته تقدم له باقات الأزهار. وقد أحاط الفنان صورتهما من جميع الجهات بالأزهار منقوشة ومنسقة تنسيقاً زخرفياً متعدداً.. طيبة– الأسرة الثامنة عشرة.. (المتحف المصري)



(شكل ١٠٤) .. وحدات زخرفية تمثل زهرة اللوتس

تشرق عليها شمس الصباح فتخرج منه وتتفتح ثانية. وهذه الخاصية هي التي جعلتها تلعب دوراً هاماً في عقيدتهم الدينية.

ومن مظاهر الفكر لدى المصريين القدماء أنهم كانوا يقدسون هذه الزهرة لأن بدورها تنمو داخل غلافها ثم تمزق هذا الغلاف وتتخذ الماء عرشاً تزهر على سطحه. ولأن شكل اللوتس يشبه الدائرة والدائرة تشبه قوة العقل التي ندور حول نفسها في كل مظهر من مظاهر النشاط العقلي والعقل نفسه مظهر من مظاهر الإله الأكبر في خليقته.

الباب السادس

النباتات الطبية والعطرية

تحتوي النباتات الطبية على مواد فعالة ذات قيمة علاجية وقد عرفت استعمالاتها منذ عصر ما قبل التاريخ وكان الإنسان الأول له دراية تامة بفوائدها.

ويعتبر المصريون القدماء من أوائل الشعوب اهتماماً بها. فقد كانوا أول من مارس الطب على أسس سليمة ولا تزال كتبهم الطبية تشهد بذلك.

وقد استخدموا المراهم والدهون والحبوب والاستنشاق والحقن الشرجية وتعددت وصفاتهم لبعض الأمراض.

وكانت النباتات الطبية تنمو في وادي النيل والصحارى وحدائق المعابد والهياكل وقد عرفوا خواصها وأدركوا مزاياها وفوائد الكثير منها واستخلصوا موادها الفعالة وجلبوا بعضها من البلاد المجاورة ولا تزال تستخدم حتى اليوم في علاج كثير من الأمراض المعروفة.

ولا نعرف عن الطب منذ عصر ما قبل الأسرات إلا النذر اليسير ولا يتعدى ذلك ما جاء في كتب المؤرخين القدامى. فقد ذكر (مانيثون) أن "أثوتيس" ابن الملك "نارمر" (مينا) مؤسس الأسرة الأولى وضع كتاباً في

التشريح مما يدل على أن الطب قد وصل إلى درجة لا بأس بها من الازدهار. وذكرت القراطيس البردية أن بعض محتوياتها ترجع إلى الأسرة الثانية كما روى مؤرخو اليونان وأطباؤهم أن المصريين استخدموا النباتات ذات الفائدة في الطب.

وقد ميز المصريون القدماء مهنة الطب عن باقي المهن الأخرى فلم يسمح بمزاولتها إلا الكهان الذين كانوا يتلقون الطب في معاهد خاصة ملحقة بالمعابد تسمى (بيوت الحياة) وحتموا على من يزاولها أن يكون قوي الإيمان طاهر القلب حسن السريرة.

ولم يسمح للطبيب بمزاولة مهنته إلا بعد الحصول على شهادات علمية تثبت جدارته الفنية لهذا العمل. وكان الطبيب يعلق على منزله شعار الطب (الكوبرا المقدسة) لما فيها من معنى القوة.

وكان الكهان يعرفون ما لهذه النباتات من مزايا وفوائد لذا فقد استخدموها في علاج الأمراض المختلفة. وقام العلماء بتمييزها وتعريفها واستعانوا بالنقوش التي عثر عليها على جدران القبور والمعابد والمتون القبطية التي احتفظت بالكثير من أسمائها مما يدل على أن المصريين القدماء قد بلغوا شأواً عظيماً في فن الصيدلة والكيمياء.

ويرى العلماء أن كلمة كيمياء مشتقة من الاسم المصري القديم "كيمي" الذي كانت تسمى به مصر ومعناه الأرض السوداء. والمقصود به

الأرض التي انتزعها النيل من الصحراء الرملية وجعلها بطميه سوداء صالحة للزراعة.

ويعتبر "أمحوتب"– ومعنى اسمه (الذي أتى سالماً)– أشهر الأطباء في مصر القديمة ويرجع عهده إلى الأسرة الثالثة. وقد خلد اسمه بعد موته وقدسه القوم في العصر الفارسي واعتبر إلهاً للطب.

وقد اعتمد المصريون القدماء في تحنيط جثث الموتى على بعض النباتات كالكتان والحناء ونبيذ البلح ونشارة الخشب وزيت خشب الأرز وثمار العرعر والبصل والقرفة وخيار شمبر والمر واللبان والصمغ إلى جانب ملح النطرون لحفظها من التلف.

وقام العلماء بفحص القراطيس البردية فحصاًَ دقيقاً وظهر أن متونها تعتمد على العلم إلى أقصى حد.

وأشهر البرديات التي وردت فيها بعض الوصفات الطبية هي: –

١– قرطاس "ايبرس": Ebers ويرجع تاريخه إلى عهد أمنحتب الأول من عصر الدولة الحديثة. وقد عثر عليه العالم الألماني "ج. ايبرس" G. Ebers عام ١٨٦٢ بالقرب من طيبة ومحفوظ الآن بمتحف ليبزج ويضم ثمانمائة سبعة وسبعون وصفة طبية. ويحتوي القرطاس على وصفات عديدة لأمراض متباينة كل وصفة تحتوي على عدة عقاقير وأمام كل عقار مقداره وفي آخر كل وصفة طريقة استعماله. وتوجد بالقرطاس حالات تشمل

أعراض المرض وطريقة تشخيصه وعلاجه كما وجدت معه كثير من النباتات التي كانت تستخدم في الطب كالبصل والخشخاش والخروع والصبار والكراوية والمر.

٢- قرطاس "هيرست": وقد عثر عليه في دير البلاص بمصر العليا عام ١٨٩٩ واشتراه (ريزنر) عام ١٩٠١ وأهداه إلى جامعة كاليفورنيا بأمريكا ويرجع تاريخه إلى عهد أمنحتب الأول من عصر الدولة الحديثة ويشتمل على مائتي وستين وصفة طبية.

٣- قرطاس برلين: وقد عثر عليه في سقارة من عهد رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة ويشتمل على مائتي وأربعين وصفة طبية.

وهذان القرطاسان يحتويان على بعض النباتات التي كانت تستخدم في علاج كثير من الأمراض التي كانت متفشية في ذلك العهد كالأمراض الباطنية والجلدية والعصبية وأمراض النساء والعيون والقلب والاستسقاء والأورام الذهنية والفتق والتمدد الشرياني والجروح وسقوط الشعر ومنع ابيضاضه.

٤- قرطاس "ادوين سميث": وقد عثر عليه في أحد قبور طيبة عام ١٨٦٢ واشتراه ادوين سميث وأهداه إلى الجمعية التاريخية بنيويورك ويكاد يكون أهم القراطيس البردية.

٥– قرطاس كاهون: وقد عثر عليه (بترى) في اللاهون عام ١٨٨٩ ويرجع تاريخه إلى الأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ويختص بالولادة وأمراض النساء ويحتوي على جزء في الطب البيطري وبه أربعة وثلاثون وصفة طبية.

وقد عنى القوم بالنباتات الطبية في العصر اليوناني الروماني عناية فائقة. وتعتبر اليونان مهداً لهذا العلم وأقيمت فيها الهياكل لعلاج المرضى. وكانت الأمراض تعالج فيها بالتدليك والدهون والحمامات والعقاقير والنباتات الطبية.

ومن أنبغ حكمائهم أبقراط (هبيقراط) Hippocrates ويعتبر كتابه عن العقاقير النباتية أول كتاب من نوعه في هذا العلم. ومن أشهر النباتات التي ورد ذكرها فيه الصبار. ولا تزال كثير من طرق "أبقراط" ونظرياته مسلماً بها حتى اليوم ويعتبر مؤسس الطب فقد أضفى عليه الروح العلمية وأبدل الخرافات بالتشخيص الواقعي والعلاج الفني.

وظهر "تيوفراست" Theophrastus والاسكندر المقدوني الذي قام بغرس بعض هذه النباتات عند زيارته مصر.

وكان "اسكلابيوس" يعتبر إلها للطب ولا تزال شارته (العصا والثعبان) رمزاً للمهنة الطبية حتى اليوم.

وقام العالم "ديوسكوريدس" Dioscorides في العصر الروماني بتأليف موسوعته الرائعة عن العقاقير النباتية عام ٧٧ ميلادية وتضم نحو خمسمائة نبات طبي وتعتبر هذه الموسوعة أول كتاب من نوعه ظهر في العالم.

وقد عاصره العالم "بليني" Pliny الذي وضع مؤلفاً كبيراً عن التاريخ الطبيعي جمع بين ضفتيه نحو الألف نبات.

وقد تمكن العلماء من معرفة النباتات الطبية من النقوش التي عثر عليها على جدران المعابد حيث رسمت أحياناً بجوار أسمائها أو من القبور حيث عثر على بعضها إلى جانب المومياوات وانتشر استخدامها في العصر اليوناني الروماني ولا يزال الكثير منها يحمل أسماء هيروغليفية.

وأشهر هذه النباتات: السنط والأثل والصفصاق والبرساء والحور والهجليج والأبنوس والمخيط والبلح والدوم والتين والجميز والرمان والعنب والنبق والعرعر والأبهل (العرعر الكبير) والزيتون والصنوبر والبندق واللوز والخس والكرات والثبت والحنظل والبطيخ والقثاء والشعير والكتان والقرطم والخروع واللوتس الأزرق والأحمر (البشنين) والياسمين والريحان والغار والنعناع الأخضر والحمص والفول والترمس والجلبان والحلبة والحناء والكركم وكف مريم وحبة البركة (الحبة السوداء) وجوزة الطيب والداتورة (حشيشة الساحر أو الشيطان) والخلة والنيلة والعفص والزعفران والخروب والخردل الأبيض والأسود والخشخاش (أبو النوم) والقرنفل والسكران

والبرنوف وحب العزيز والسعد والعرقسوس والصبار والزعتر وفراخ أم علي ورعرع أبوب وخيار شمبر والمرو والمر والشيبة والفلفل الأسود والحرجل وبصل الفار والحبة الغالية (البان) والبابونج (الأقحوان) ولسان الحمل وستماليكا والهدال والشريان (النبع) ولبخ الجبل وليخنيس (ورد السماء) وعنب الديب وحصالبان (أكليل الجبل) والعشار والقرفة والكزبرة والكراويا والشمر والكمون.

وفيما يلي بيان بهذه النباتات وأسمائها العلمية وما يقابلها بالهيروغليفية أو القبطية مع ذكر فوائدها:

السنط: اسمه العلمي Acacia nilotica Willd. ويسمى بالهيروغليفية "شند" أو "شنت" أو "شندت".

وتستخدم ثماره المعروفة (بالفرظ) وقلف الشجرة كعلاج قابض في حالات الإسهال والدوسنتاريا لاحتوائها على مادة التانين وحمض الجاليك. ويستخدم مسحوق الثمار لعلاج الكحة والنزلات الصدرية ويؤخذ مغليها في حالة الحمى والبرص.

أما الصمغ فيسمى بالهيروغليفية "قامي" Kami وقد حرفه اليونان إلى "كومي" Xomum واشتق منه الكلمة الفرنسية Gomme والإنجليزية Gum والعربية صمغ. ويذكر (بليني) أن أحسن أنواعه كان يجلب من مصر ويستخرج من أنواع مختلفة من شجر السنط واستخدم في الطب كملطف للصدر في حالات البرد وكذا في التحنيط والدباغة وصناعة العطور

والدهون كمادة مثبتة. ويذكر (هردوت) أن الصمغ كان يستخدم في لصق اللفائف الكتانية المستعملة في تكفين المومياوات. وقد عثر (لوكاس) على الصمغ على وجه مومياوات من الأسرة العشرين كما عثر على قطعة من القماش المسبغ بالصمغ على وجه مومياء أمنحتب الثالث. وقد وصف عصير السنط ضد ثعبان البطن والبواسير والصرع.

الأثل: اسمه العلمي .Tamarix articulate L ويسمى بالهيروغليفية "أسر" أو "ايسر" و"أيام" أو "ايما".

وقد ورد في بردية "ايبرس" أن الأثل كان يستخدم في الطب. وتستخدم العقد الموجودة على أغصانه في الدباغة والصباغة والجروح والختان لوجود مادة التانين فيها. وورد ذكر الأثل كملين ومقوللباه وضد الحمى والحروق ويسيل من أغصان الأشجار وأوراقها سائل سكري هو نوع من المن إذا أكل وقت جنيه كان طعمه لذيذاً ويستخدمه الأعراب غذاء في فصل الصيف.

الصفصاق: اسمه العلمي .Salix Sp. L ويسمى بالهيروغليفية "تارت" أو "تارى" أو "تر" أو "ترت".

ويستخدم قشرة ضد الملاريا والحميات وكمادة مطهرة وهو مسكن موضعي ومنشط للكلى كما يستخدم للروماتزم ومرض النقرس. وقد توصل الباحثون أخيراً إلى تركيب دواء من أوراقه تفيد في خفض السكر في الدم. والنبات مفيد في تكرير البول وإذابة أي حرقان يصاحبه.

البرساء: اسمها العلمي .Mimusops schimeri Hochst وتسمى بالهيروغليفية "شوب" أو "شواب".

وثمرتها حلوة المذاق تستخدم في علاج آلام الأسنان وهي مفيدة للمعدة.

الحور: اسمه العلمي .Populus alba L ويسمى بالهيروغليفية "حارو" أو "حورو". وقد استخدمت ثماره في الطب ويستخرج من براعمه نوع من الدهون المهدئة ويستخدم محلوله ضد الروماتزم والتهاب الكلى والمثانة وهو مدر للبول.

الهجليج: اسمه العلمي .Balanites aegyptiaca Del ويسمى بالهيروغليفية "ايشت" أو "ايشد" كما يسمى "باق".

ويستخدم قلفه وثماره غير الناضجة كملين ويسميه عامة الناس (البلح الهرار). كما أنه طارد للديدان ويستخدم زيته كمسكن وفي صناعة الدهون والعطور والتدليك وضد القراع وضمن حقن شرجية للالتهابات والدوسنتاريا.

الأبنوس: اسمه العلمي Diospyros ebenum Koenig ويسمى بالهيروغليفية "هبن" أو "هبنى" ويستخدم مغليه ضد الروماتزم وبعض الأمراض الأخرى.

المخيط: اسمه العلمي Cordia myxa L. ويسمى بالهيروغليفية "محت" أو "أشد". وتستخدم ثماره كعلاج ملطف لاحتوائها على كمية كبيرة من المواد الغروية في حالات السعال والأمراض الصدرية والتهابات المجارى البولية والكبد والشلل والصرع وتؤخذ بكمية كبيرة كملين لأمراض الصفراء.

البلح: اسمه العلمي Phoenix dactylifera L. وله عدة أسماء هيروغليفية منها "بونو" أو "فونو" أو "بنويت" و "بنرى" و"بنرت" و"أمت".

ويستخرج منه نوع من نبيذ البلح يسمى (العرقي) يستخدم في العقاقير الطبية لاسيما في الملينات وإدرار البول وأمراض المثانة والمعدة والأمعاء. وكان مسحوق البلح يدخل في صناعة بعض أنواع العقاقير الطبية ويذكر (ولكنسون) أن المصريين القدماء نسبوا للنخيل وثمره ثلاثمائة وستون فائدة.

الدوم: اسمه العلمي Hyphaena thebaica Mart. ويسمى بالهيروغليفية "ماما" ويستخدم لإزالة حروق المثانة وضد البول الدموي ولتبريد الكسور. وقد ذكر الدوم اثنا وثلاثون مرة في قرطاس "ايبرس" الطبي ضمن أدوية متنوعة التركيب.

التين: اسمه العلمي Ficus carica L. ويسمى بالهيروغليفية "تون" أو "نوهى. نت. داب" وتسمى الثمرة "داب".

وتستخدم ثماره في علاج امراض الكبد والبلهارسيا. وتعمل منه لزقة على الصدر لعلاج الرئة ونزلات البرد والتهابات الفم والزور ومغلي الثمار لإذابة حصوة الكلى. وتستخدم المادة اللبنية في الشجرة كملين يقضى على الديدان في المعدة. وكان القوم يصنعون منه شراباً ملطفاً في عصر الرمامسة.

الجميز: اسمه العلمي Ficus sycomorus L. ويسمى بالهيروغليفية "نوهى" أو "نهت". وتستخدم ثماره في علاج أمراض الكبد. أما المادة اللبنية التي تستخرج من لحاء الشجرة فكانت ولا تزال تستخدم في علاج البثور وبعض الأمراض الجلدية. وهو منبه للمعدة ومطهر للنزلات المعوية وطارد لغازات الأمعاء وعلاج ضد الجرب.

الرمان: اسمه العلمي Punica granatum L. وله عدة أسماء هيروغليفية منها "رمن" و"انهمن" و"أرهمانى".

وقد ورد في قرطاس "ايبرس" الطبي أن عصيره ومغلي قشوره الجافة كانت تستخدم للإسهال وقتل الدودة الوحيدة. ويذكر المؤرخون أن قشره كان يستخدم في علاج الجرب والجدري وطرد الديدان وكان يستخرج من عصيره شراب مرطب.

العنب: اسمه العلمي Vitis vinifera L. واسمه بالهيروغليفية "اياررت" أو "اروري" ويصنع من عصيره النبيذ وهو ملين مرطب مفيد في بعض أمراض الكبد والصدر وأمراض النساء.

النبق: اسمه العلمي Zizyphus spina- christi, Willd. ويسمى بالهيروغليفية "نبس".

وتستخدم أوراقه في عمل لبخات للأمراض الجلدية ومنفوعه للأمراض الصدرية. وكان المصريون القدماء يصنعون من ثماره خبزاً حلواً ويدخلونه في تركيب العقاقير الطبية. وجاء في قرطاس "ايبرس" الطبي أن النبق كان يستخدم كمسكن موضعي وضد الصرع وعلاج الكبد. ويقول المثل المصري القديم أن من يأكل نبقة واحدة تظل رائحة فمه طاهرة أربعين يوماً وعرف أخيراً أن ثمار النبق تفيد في علاج تورم الثدي.

العرعر: اسمه العلمي Juniperus communis L. ويسمى بالهيروغليفية "عرو" أو "عنو" أو "أوعن".

ويستخدم لإدرار البول وتدخل ثماره في تركيب بعض المواد الطبية وتزويدها بطعم خاص وكذلك في الدهون والروائح العطرية والتحنيط. وتحتوي الثمار على زيت استخدامه المصريون القدماء لمسوح الموتى كما استخدم للإسهال والأمعاء والحمى وتنظيم البول وضد الدودة الشريطية.

الأبهل: (العرعر الكبير): اسمه العلمي Juniperus Sabina L. ولم يعثر على اسمه الهيروغليفي حتى اليوم. ويستخدم زيته في الطب بحذر. وإذا استعمل خطأ فإنه يسبب القيء واضطراب الجهاز البولي كما تستخدم بودرة النبات مع نبات "الكالومل" Kalomel لإزالة الزوائد الجلدية (الحسنة) وعلاج الأنيميا.

الزيتون: اسمه العلمي .Olea europea L وله عدة أسماء هيروغليفية منها "زتنو" و"جتنو" و"باق" و"دجاري".

وقد لوحظ أن الذين يستخدمون زيت الزيتون في طهو طعامهم تكون دماؤهم عندها القدرة على التجمد الذي يمنع النزيف فضلاً عن أنه ينشط الكبد ويفتت حصى المرارة ويقوى الشعر.

الصنوبر: اسمه العلمي .Pinus sp. L ويسمى بالهيروغليفية "عب" أو "برت. شن".

وتستخدم عصارته في العقاقير الطبية وزيته ضد الدفتريا كما يستخدم كملين وضد الحمة والنزيف المعدي. والصنوبر مضاد للفطريات المتطفلة على الجسم والسموم الفسفورية.

البندق: اسمه العلمي .Corylus avellana L ويسمى بالهيروغليفية "خانن" ويستخدم في الأكل.

اللوز: اسمه العلمي .Amygdalus communis L ويسمى بالهيروغليفية "نز" أو "نزا". ويستخرج منه عصير سائل لبني يستخدم كمسكن ويفيد في الحميات والالتهابات الرئوية والمجارى البولية والرشح الحاد والتهيج العصبي. ويستخدم مغلي قشره للسعال الديكي. أما منقوع اللوز المر فهو سام جداً ويستعمل أحياناً للربو وضد الكحة.

الخس: اسمه العلمي .Lactuca sativa L ويسمى بالهيروغليفية "عب" أو "عبو". ويستخرج من بذوره زيتاً يستخدم في الطعام والطب والتدليك وتقوية الجسم الأمر الذي جعل المصريين القدماء يتخذونه رمزاً للعبود "مين" إله التناسل. وقد ذكر في قرطاس "ايبرس" الطبي ثلاث عشرة مرة وكان يدخل في تركيب بعض العقاقير الطبية لعلاج آلام الجنب والنزلات الحادة والتخمة وقتل الدود وإنبات الشعر وإدرار البول وعلاج العين ويمتاز بخاصية التحليل والتلطيف ويحتوي على نسبة من فيتامين (هـ) لعلاج الحالات التناسلية.

الكرات: اسمه العلمي .Allium porrum L ويسمى بالهيروغليفية "كرهتا" أو ""ياقت".

ويستخدم في الطعام ويصنع من مغلي أوراقه غسيل للمعدة وتعمل منه اللبخات.

الثوم: اسمه العلمي .Allium sativum L وله عدة أسماء هيروغليفية منها "ميكات" و"حتتوم".

ويستخدم ضد التعفن وزيته ذو رائحة نفاذة قوية مهيجة تسيل الدموع.

البصل: اسمه العلمي .Allium cepa L وله عدة أسماء هيروغليفية منها "بصر" أو "بصرو" وينطقه البعض "بصل" و"بدجر" و"هدج".

ويستخدم في علاج الكحة وتنشيط القلب وإدرار البول وهو منبه للشهية وكان يدخل ضمن مواد التحنيط.

الفجل: اسمه العلمي Raphanus sativus L. وله عدة أسماء هيروغليفية منها "نون" و"نيوبن".

ويستخدم ضد مرض البلاجرا (الأسكربوط) وهو مقوي للمعدة ومدر للبول ومفرز للبن كما يستخدم عصيره ضد الحصوات الصفراوية.

الكرفس: اسمه العلمي Apium graveolens L. ويسمي بالهيروغليفية "ماتت" وتستخدم ثماره في طرد غازات الأمعاء وهو مدر للطمث والبول وضد الشلل والحروق والنزلات المعوية.

البقدونس: اسمه العلمي Petroselinum sativum Hoffm ويظن أن اسمه بالهيروغليفية "ماتت". وتستخدم بذوره في طرد الغازات وإدرار البول وهو مدر للطمث وسائل يخفض الحرارة.

الخبيزة: اسمها العلمي Malva sylvestris L. وتسمى بالهيروغليفية خبازي أو "شبيزي".

وتستخدم أوراقها في عمل لبخات لعلاج التهابات المثانة كما تستخدم كملطف وملين. أما أزهارها فتستعمل ضد البرد والسعال والزكام.

الرجلة: اسمها العلمي .Portulaca oleracea L وتسمى بالهيروغليفية "**مخمخاى**" أو "متموتم".

وتستخدم بذورها في علاج الإسهال وطرد الديدان وضد مرض البلاجرا.

الشبت: اسمه العلمي .Peucedanum graveolens Benth وتسمى بالهيروغليفية "اميس" أو "أمست" أو "أمس" أو "بسبس".

وتستخدم ثماره في طرد غازات الأمعاء وعلاج الرأس. أما بذوره فتستخدم في علاج بعض أمراض أوعية الساق.

الحنظل: اسمه العلمي .Citrullus colocynthis Schrad ويظن أن اسمه بالهيروغليفية "ظرت" أو "شنيتا" أو "دوسن".

ويستخدم لب ثماره كملين في حالة الإمساك المزمن وفي مرض الصفراء كما يدخل في تركيب معظم الأدوية المستعملة في علاج الأمراض البولية والروماتزمية والحمى والاستسقاء والتهاب الثدي وأمراض العيون كالرمد الحبيبي ويستخرج الأعراب من بذوره بعد حرقها قطراناً يستخدمونه في علاج جرب الجمال.

البطيخ: اسمه العلمي .Citrullus vulgris Schrad ويسمى بالهيروغليفية "بتوكا" أو "بدوكا".

وتستخدم بذوره في علاج ارتفاع ضغط الدم وعصير جذوره في وقف النزيف الدموي وهو مقو للباه.

القثاء: اسمها العلمي .Cucumis sativus L. var Flexuosus وتسمى بالهيروغليفية "قادى"

و "شوبى" وتستخدم كملين ومرطب.

القمح: اسمه العلمي .Triticum sp. L ويسمى بالهيروغليفية "سو" أو "سوت" أو "بوتي" أو "بدت".

ويصنع من دقيقه الخبز ويستخدم منقوعه كمسكن وفي علاج الروماتزم والأورام والالتهابات.

الشعير: اسمه العلمي .Hordeum sp. L ويسمى بالهيروغليفية "ايت" أو "ايتى".

ويصنع منه شراب مقو منعش يضاعف من نشاط الإنسان وقوته الحيوية كما تصنع منه البيرة (والبوظة) لإدرار البول ويستخدم مسحوقه ضمن مراهم أو لبخ للاكزيما.

الكتان: اسمه العلمي .Linum usitatissimum L وله عدة أسماء هيروغليفية منها "محى" أو "محو" أو "ابات". أما النسيج فاسمه "مك" أو "معك".

وتستخدم بذوره بعد تحميصها لعلاج الإسهال والخراريج والقروح وإدرار البول وضعف الباه.

القرطم: اسمه العلمي .Carthamus tinctorius L ويسمى بالهيروغليفية "ناس" أو "ناسي" أو "ناستى".

وتستخدم مادة (الكرنامين) مع بودرة التلك لمواد التجميل كما يستخدم كملين قوي جداً ويعمل من مطحون بذوره لبخة لعلاج الروماتزم والقروح السطحية ويستخرج منه زيت يستخدم في أغراض مختلفة.

الخروع: اسمه العلمي .Ricinus communis L ويسمى بالهيروغليفية "دقم" أو "دجم" وزيته "كاكا" أو "قاقا".

ويستخدم كملين وفي حالات عسر الهضم والجروح المتقيحة وللصلع ودهاناً للشعر وتنظيف الأمعاء وتطهيرها.

اللوتس الأزرق (البنشنين): اسمه العلمي Nymphaea coerulea .Sav ويسمى بالهيروغليفية "ساربت".

اللوتس الأحمر: اسمه العلمي .Nelumbium speciosum Willd ويسمى بالهيروغليفية "نخب" ويسميه (الفول المصري) ويستخدم هذان النوعان كمرطب ونوع من العطور.

الريحان: اسمه العلمي Ocimum basilicum L. ويسمى بالهيروغليفية "ست" أو "شامو". وتستخدم عصارة أوراقه في علاج بعض أمراض الأذن كما يستخدم مغلي بدوره كمهدئ وضد حرقان البول وتلطيف ارتفاع درجة الحرارة وهو مدر للبول.

الياسمين: اسمه العلمي Jasminum sambac ويسمى بالهيروغليفية "ياسمون" ويستخدم في صنع العطور.

الغار: اسمه العلمي Laurus nobilis L. ويسمى بالقبطية "أوربتا". ويستخدم زيته ضد الروماتزم وفي الجروح والقروح وأجزاء النبات منبهة.

النعناع: الأخضر: اسمه العلمي Mentha virdis L. وله عدة أسماء هيروغليفية منها "أجاي" و"أميسى" و"نجباتا" و"نكباتا" و"شاتانيو".

ويستخدم زيته في علاج الزكام وهو منبه معدي ومسكن موضعي ومطهر ويضاف إلى العقاقير الطبية لتحسين رائحتها كما يستخدم في تحضير الروائح العطرية.

الحمص: اسمه العلمي Cicer arietinum L. ويسمى بالهيروغليفية "حنبت" أو "أرشا".

وتستخدم بذوره في إدرار البول في حالة الطمث ومنقوعه ملين ومنقى للدم كما يستخدم في علاج الكبد والكلى ويساعد على تفتيح

مسامهما ويفيد في علاج الخراريج والقروح والجرب إذا استعمل مع العسل كما يساعد على نضج اللحم ويكسب الطعام نكهة ويستخدم كدواء قابض وفي حالات عسر الهضم والتخمة والإمساك. أما جذوره فتستخدم في علاج مرض الصفراء. وتضاف البذور بعد تحميصها إلى اللبن وتستعمل ضد أمراض الرئة في حالة البرد.

الفول: اسمه العلمي Vicia faba L. **وله عدة أسماء هيروغليفية منها "فور" وقلبت الراء لاما في العربية "ويورت" و"أوور" و"ور. بورا".**

ويستخرج من أزهاره ماء عطري ويحضر منها منقوع يؤخذ شراباً لمرض السكر ويستخدم مسحوقه كمسكن وضد الإمساك.

الترمس: اسمه العلمي Lupins termis Forsk. ويسمى بالقبطية "فول. هاف" ويستخدم في فتح الشهية ولعلاج (زنقة) البول وتفتيت الحصوة كما يستعمل دقيقه لعلاج الأمراض الجلدية وقتل الديدان المعوية.

الجلبان: اسمه العلمي Lathyrus sativus L. ويسمى بالقبطية "بي. حوف" ولم يعثر على فوائد طبية له.

الحلبة: اسمها العلمي Trigonella foenumgraecum L. وتسمى بالهيروغليفية "عر" أو "حنب" أو "حمايت".

ويستخدم مغلي بذورها شراباً ملينا وفاتحاً للشهية وإزالة تجاعيد الشيخوخة. وتحتوي البذور على زيت مقو مدر للبن. وقد ذكرت في بردية

(أدوين سميث) على أنها مشروب مناسب للضيافة تقدم بعد تحميصها وطحنها وإضافة بعض الزيوت الطيارة إليها. وكانت الحلبة– ويمكن للمرأة أن

تفعل ذلك الآن– تطبخ مع البلح والتين والزبيب ثم تصفى ويعقد الناتج بعد تصفيته بالعسل وتستعمل هذه الوصفة في علاج الصدر والسعال والربو وتريح من ضيق التنفس.

الحناء: اسمها العلمي Lawsonia inermis L. وتسمى بالهيروغليفية "بوقر" وتستخدم كمادة قابضة لالتئام الجروح كما تستعمل أزهارها وأوراقها في تخضيب الأيدي والأظافر والأقدام والشعر ويستعمل منقوع مسحوق أوراقها مع الخل كملطف لالتهابات القدم كما يستعمل في علاج

أمراض الكبد والطحال وأمراض الجلد المستعصية وفي حالات الصداع الشديد عندما يكون سببه ارتفاع ضغط الدم. وثبت أخيراً أن أوراق الحناء تحتوي على عنصرين فعالين أحدهما ينبه القلب وضرباته والآخر بسبب ارتخاء العضلات الرخوة مما يؤدى إلى توسيع الأوعية وانخفاض درجة الضغط. ويقوم الباحثون الآن بالاستفادة من أوراق الحناء في علاج أمراض القلب.

الكركم: اسمه العلمي .Curcuma longa L ويستخدم في علاج اليرقان وإدرار البول وفتح الشهية وهو منبه في حالات عسر الهضم الشديد.

كف مريم: اسمه العلمي .Anastatica hierachununa L ويسمى بالهيروغليفية "خفو. أمع" ويستخدم ضد الحمى.

حبة البركة (الحبة السوداء): اسمها العلمي .Nigella sativa L ويستخدم زيتها في علاج الكحة والسعال والربو وضيق التنفس وأمراض الصدر وتنشيط الدورة الدموية والجنسية.

جوزة الطيب: اسمها العلمي Myrrstica aromatica L. or Myristica fragrens Houtt. وقد ذكرت في قرطاس (هيرست) الطبي واستخدمت في أغراض طبية وتستخدم في تنشيط الإفرازات المعوية والدورة الدموية وفي الأغراض الجنسية.

الداتورة (**حشيشة الساحر أو الشيطان**) اسمها العلمي Datura stramonium L. وتستخدم أوراقها وبذورها كمخدر يؤثر في الأعصاب وتسبب الدوخة وارتخاء العضلات وتبلد في الحساسية واتساع ؟ص**٢٢٨** العين وتؤثر على النظر وسرعة النبض وإفراز العرق والعطش. ويستخدم دخان هذا النبات للربو وإذا استخدم بكثرة فإنه يسبب الهذيان وجفاف الحلق وصعوبة البلع والقيء ورغبة في التبول وبرودة الأطراف ويعقب ذلك

الموت. وكانت النساء في مصر القديمة يتبادلن تقديم أزهارها لاستخدامها في الأغراض الجنسية.

الخلة: اسمها العلمي Ammi sp. Ammi majus L., Ammi Visnaga. L. وتستخدم بذورها في علاج الحصوات الكلوية وهي تدر البول وتوسع الحالب ويستخلص منها مادة لعلاج الذبحة الصدرية.

النيلة: اسمها العلمي Indigofrea argenta L. or Indigofera articulate L. وتسمى بالهيروغليفية "دنكون" أو "درنكن".

وتستخدم أوراقها في علاج السعال وبخاصة السعال الديكي ويستخلص منها الصبغة.

العفص: اسمه العلمي Thuja arientalis L. ويسمى بالهيروغليفية "عاجيت" وهو منشط ومدر للبول ويستخلص منه نوع من الصبغة.

الزعفران: اسمه العلمي Crocus sativus L. ويسمى بالهيروغليفية "ماتى" أو "سنوت". ويستخدم بالفم للدودة الشريطية ودهاناً للروماتزم وفي صنع العطور وتلوين الطعام وفتح الشهية وتحسين الهضم كما كان يستخدم لرش المعابد لإعطائها رائحة عطرية.

الخروب: اسمه العلمي Ceratonia siliqua وتسمى الثمار بالهيروغليفية "جاروتا" أو "داروجا" أو "داجارودج) أو "واح".

وتستخدم ثماره في طرد الديدان المعوية وإدرار البول وإزالة التآليل وتحسين طعم الأدوية وتنقية الدم وتطهير المعدة وفي التخمر كنوع من النبيذ وفي حالات البرد والنزلات وفي علاج أمراض النساء والتهاب السرج كما يستخدم كشراب مرطب وملين. وأحدث دواء ملين للأطفال مستخرج من الخروب اسمه "أوبران". Obran

الخردل الأبيض: اسمه العلمي .Brassica alba L ويسمى بالهيروغليفية "سخت".

الخردل الأسود: Brassica nigra k. or Sinapis sinapoides .L ويسمى بالهيروغليفية "شخت".

ويحضر من بذورها التابل المعروف بالخردل وتحتوي بذورهما على زيت نابت يستخدم في الطب من الظاهر لجذب الدم من الجلد وهو مضاد للتهيج كما يستخدم من الداخل كمقيئ. ويستخدم زيته في حالات المغص والآلام العصبية والروماتزمية وهو منبه ومدر للعاب ويستعمل للذبحة الصدرية.

الخشخاش (أبو النوم): اسمه العلمي Papaver somniferum .L ويسمى بالهيروغليفية "خا" أو "خايت".

ويعرف الجزء المستخدم في الطب بالأفيون. وهو يؤثر في الجهاز العصبي لأنه منبه أولاً ثم مهبط ويستخدم كمخدر لتسكين الآلام. وإذا

استعمل بكثرة كان ساماً ويسبب بطء النبض والتنفس وتصبب العرق البارد ثم الغيبوبة. ويقول (كيمر) أن المرأة في عهد الفراعنة كانت تقدم الخشخاش لزوجها لماله من خاصية التخدير وقد استعمل في الأغراض الجنسية وكان يسمى (نبات الحب) Plant of Love كما استعملت بذور الخشخاش لطرد غازات الأمعاء.

القرنفل: اسمه العلمي Syzygium aromaticum Merr. ويستخدم النبات وزيته كمنبه ومسكن ومعطر وطارد للغازات المعوية.

السكران: اسمه العلمي Hyoscyamus muticus L. ويسمى بالهيروغليفية "كتى" ويستخدم كمسكن للآلام العصبية الناتجة من الاضطرابات المخية والعمود الفقري وتخفيف المغص الذي ينشأ من استخدام الملينات الشديدة. وتدخن أوراقه كالسجائر لعلاج مرض الربو كما تحرق أوراقه المجففة وبذوره ويستنشق دخانها لتسكين السعال والجهاز التنفسي وآلام الأسنان كما يستعمل في حالات الأرق وله تأثير على حدقة العين.

البرنوف: اسمه العلمي Conyza dioscorides Desf. وله خواص مسكنة ويستخدم من الظاهر في علاج الجروح وعصيره مقو للأسنان ويقال أن رائحته طاردة للذباب إذا وضعت نباتاته داخل المنازل.

حب العزيز: اسمه العلمي .Cyperus esculentu3 L ويسمى بالهيروغليفية "زلمو" و"جاو" و"جايو" أو "جيو" وتسمى الدرنات "باكا". وهو ينمو في أراضي الجزر الرملية والجهات الرطبة.

ويرى (شفينفورت) أن حب العزيز والسعد كانا على أنواع شتى وينبت منهما في مصر ثمانية عشر نوعاً.

وقد عرف حب العزيز في مصر منذ عصر ما قبل التاريخ. وعثر على ثماره في قبور البدارى ونجع الدير منذ العصر الحجري الحديث وفي بلدة أم الجعاب (أبيدوس) من عهد الأسرة الأولى. كما عثر على درناته في أحد قبور العساسيف من عصر الدولة الوسطى محفوظة بالمتحف المصري باستكهلم. ووجدت سلال صغيرة من الخلفاء كانت تحتوي على ثمار حب العزيز في أحد قبور المستجدة وقبر "آني" بالجبلين من عهد الأسرة الحادية عشرة. وعثر أيضاً على ثماره ودرناته في قبور دير المدينة والدير البحري بطيبة من عصر الدولة الحديثة وفي كوم أوشيم من العصر الروماني والشيخ عبادة من العصر القبطي محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

ويحضر من حب العزيز بعد تحميصه وطحنه شراب مرطب كالسوبيا وهو مفيد وبخاصة للمرضعات حيث يزيد في إدرار اللبن ويستخدم كعقار مقو ومسكن ضد الصداع والأمراض المعدية والمعوية ويحتوي على بروتين ونشا وسكر وزيت كما يستخدم في علاج الأكزيما والبلهارسيا.

ويذكر (ثيوفراست) أن المصريين القدماء كانوا يأكلون ثماره كفاكهة ويسلقونها ويضيفونها إلى جعة الشعير لتقليل مرارتها وإعطائها مذاقاً حلواً.

ولا يزال حب العزيز يزرع في مصر كما كان يزرع فيها قديماً ويباع في الأسواق والموالد. ومن الطريف أن الباعة لا زالوا ينادون عليه ويتفكهون به ويرددون (حب العزيز الربعة بقرش) ولعله نفس النداء القديم!

السعد: اسمه العلمي .Cyperus longus L ويسمى بالهيروغليفية (آرو) أو "ألو".

وهو نبات مثلث الشكل ينمو في أراضي الجزر الرملية والجهات الرطبة ذو رائحة عطرة وتستخدم درناته كمعطر ومغليها لإدرار البول وعلاج الأمراض الروماتزمية. وقد استخدم في تحنيط المومياوات وعثر على بذوره في قبور عصر ما قبل الأسرات.

العرقسوس: اسمه العلمي .Glycyrrhiza glabra L وتستخدم خلاصته كملين خفيف وهو طارد للبلغم كما يستخدم في علاج آلام الكلى والكبد والمثانة. وتنقع جذوره في الماء ويعد منها شراب مرطب منبه للأمراض الصدرية ويضاف للأدوية التي تؤخذ للسعال والنزلات الشعبية ليكسبها مذاقاً مستساغاً.

الصبار: اسمه العلمي .Aloe vera L ويسمى بالهيروغليفية "خت" و"عوا" و"قاصا". أما الصبر– وهو المادة الطبية في النبات– فهو عبارة

عن العصارة المتجمدة لأوراقه اللحمية ويستخدم كملين ولا يسبب آلماً في الأمعاء عند تناوله كما أن مرارته تنبه المعدة وتزيد من قدرتها على الهضم ويساعد على زيادة إفراز الصفراء. ويستخدم لب أوراقه من الظاهر في علاج الحروق والقروح والجرب وطرد الديدان.

الزعتر: اسمه العلمي Thumus vulgaris L. ويظن أن اسمه "دجاتا" أو "ماتى" أو "انك".

ويستخدم منقوعه كمقو وزيته لعلاج الربو والنزلات وطرد الديدان ويعمل منه محلول مطهر لغسل الأنف والفم ويدخل في تركيب معجون الأسنان كما يستخدم ضد الحمى وطرد الفضلات والأمعاء والذبحة الصدرية وهو مضاد للتشنج.

فراخ أم علي: اسمها العلمي Antheluis cotula l. ويستخدم زيتها كمقو وهو مضاد للتشنج ومدر للطمث وطارد للديدان.

رعرع أيوب: Pulcaria Arabica Cass. يقال أنه مفيد في عمل لبخات لعلاج الرضوض والكسور والأمراض الجلدية.

خيارشمبر: Cassia fistula L. ويستخدم لب ثماره كملين خفيف وشراب مرطب ولكنها كثيراً ما تستخدم مع أوراق السنامكي لإعطائه مذاقاً حلواً.

المرو: اسمه العلمي .Maerua crassifolia Forsk ويسمى بالهيروغليفية "مرو" ولم يعثر على فوائد طبية له.

المر: اسمه العلمي .Coldnuphora myrrha Engl ويسمى بالهيروغليفية "اهم" و"عننا" أو "عنتى" أو "عنتو".

ويستخدم ثماره في العطور والبخور وطرد البلغم وغسل الأسنان كما يستخدم مسكناً وضد الروماتزم والقراع والحروق.

الشيبة: اسمها العلمي .Evernia furfuraeea Aeh تسمى بالهيروغليفية "سناب" أو "شنايت".

ويستخدم كدواء مرطب وفي حالات الحمى وطرد الديدان.

الفلفل الأسود: اسمه العلمي .Pilkr nigrum L ويسمى بالهيروغليفية "بب" ويستخدم في الطب والطعام.

الحرجل: اسمه العلمي .Solenogtemmn argel Hayne ويستخرج من ثماره زيت عطري ومغليه ملين قوي.

بصل الفار: اسمه العلمي .Seilla maritima L ويقال أنه مدر للبول.

الحبة الغالبة (البان أو اليسار): اسمها العلمي Muringa aptera Gaerth. وتسمى بالهيروغليفية "نبق".

ويستخدم مغلي أوراقها كملين ويستخرج من ثمارها زيت ثمين يدخل في تركيب الروائح العطرية.

البانونج (الأقحوان): اسمه العلمي Matriearia ehamonilla L. وتستخدم أزهاره الجافة المغلية لإصلاح المعدة ومن الظاهر لعلاج التهاب العين واحتقانها وخفض درجة الحرارة ويدخل في صنع الأدوية التي تزيل الأورام كما يستخدم كمقو ومسكن معوي ومنشط للهضم. ويدخل زيته في صنع الروائح العطرية.

لسان الحمل: اسمه العلمي Plantago major L. ويسمى بالهيروغليفية "ريمي" وتستخدم أوراقه وبذوره ضد الملاريا والدوسنتاريا.

ستماليكا: اسمه العلمي Conyza aurita L. ولم يعثر على فوائد طبية له. وقد وجدت أغصانها في أحد قبور طيبة من عصر ما قبل الأسرات وفي كوم أوشيم من العصر اليوناني الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الهدال: اسمه العلمي .Cocculus hirsutus L

الشريان (**النبع**): اسمه العلمي .Grewia tenax Forsk وقد عثر على الهدال والشريان في قبر توت عنخ آمون بطيبة وهما محفوظان بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي ولم يعثر على فوائد طبية لهما.

لبخ الجبل: اسمه العلمي .Cocculus laeba D.C ويستخدم كترياق ضد سم الثعبان ويوضع ورقه على عضة الثعبان ومحلول الجذور يفسد السم كما يستخدم ورقه في علاج الدمامل.

ليخنيس (**ورد السماء**): اسمه العلمي Lychnis coeh-rosa .Desr ويستخدم لعلاج القروح ووقف النزيف وضد مرض الكلب.

عنب الديب: اسمه العلمي Solanum nigrum ويقال أن مغلي هذا النبات يستخدم في حالات انتفاخ الكبد والصفراء وتستخدم أوراقه كمسكن وملطف وعصيره من الظاهر لعلاج مرض الاستسقاء كما يستعمل في تحضير بعض الهرمونات الأنثوية وفي حالات المغص وآلام الدورة الشهرية وفي علاج حالات العقم والإجهاض المتكرر وتخفيف متاعب سن اليأس عند المرأة.

حصالبان (**أكليل الجبل**): اسمه العلمي Rosmarinus officinalis .L ويسمى بالهيروغليفية "نكباتا".

ويستخدم زيته لتسكين المغص وطرد غازات الأمعاء.

العشار: اسمه العلمي .Calotropis proccra R ويسمى بالهيروغليفية "آرتيو". ويستخدم مغلي قلف جذوره وساقه لطرد البلغم وعلاج الإسهال والدوسنناريا كما يستخدم من الظاهر لعلاج الأمراض الجلدية كالأكزيما والجزام. غير أن المادة اللبنية سامة جداً ومهيجة للأغشية المخاطية كأغشية العين والفم وتستخدم أحياناً للإجهاض.

القرفة: اسمها العلمي .Cinuamomum cassia Nees ويسمى بالهيروغليفية "قات" أو "قاد" أو "تاس" أو "تشبس".

ويستخدم زيتها كمنبه ومنشط ورائحتها زكية كما تستخدم للهضم وطرد الأرياح والأمراض المعوية وأمراض القلب وبعض الحميات وتدخل في تحضير الروائح العطرية لاسيما في البخور.

الكزبرة: اسمها العلمي .Coriandrum sativum L ويسمى بالهيروغليفية "أونشى" أو "أونشار" أو "شاو".

وتستخدم في الطعام لإعطائه مذاقاً طيباً كما يستخدم زيتها في صناعة العطور وطرد غازات الأمعاء وتقوية القلب والضغط. وتضاف إلى الأدوية الملينة التي يصحب تعاطيها المغص. وقد عثر على بذورها في قبر نوت عنخ آمون بطيبة وذكرت هي والكراويا في قوائم القربان من عهد الأسرة الخامسة. وكانت الكزبرة تدخل في صناعة النبيذ لمضاعف مفعوله المخدر.

الكروايا: اسمها العلمي .Cnrum earvi L ويستخدم بذورها في تخفيف الآلام المعوية وطرد غازات الأمعاء وتضاف إلى العقاقير لتسكين المغص ويضاف إلى زيتها إلى كثير من الأدوية لتحسين نكهتها وتدخل في صناعة العطور وتستعمل كمسكن موضعي وفي حالة سقوط الرحم.

الشمر (البسباس): اسمه العلمي .Anelham fornieulun L ويسمى بالهيروغليفية "شمر" أو "بسبس" أو "شمارن" أو "شمارى. هاؤت".

وتستخدم ثماره في طرد غازات الأمعاء وهو مسكن معوي ضد المغص كما يستخدم زيته في صناعة العطور ويفيد مغلي شرابه في نزلات البرد الخفيفة لاحتوائه على زيت طيار ويضاف إلى مركبات بعض الأدوية لتحسين نكهتها.

الينسون: اسمه العلمي .Pimpinella anianm L ويسمى بالهيروغليفية (ينكون).

وتستخدم بذوره في طرد غازات الأمعاء ومسكن المغص وإدرار البول وزيته في مركبات الكحة والسعال ويضاف إلى بعض الأدوية لتحسين نكهتها وهو منبه عطري. وتشير التجارب الحديثة إلى أثر البذور في زيادة إدرار اللبن إذا أضيفت إلى عليقة الأبقار والأغنام والماعز.

الكمون: اسمه العلمي Cuminum cyminum L. ويسمى بالهيروغليفية "تابن" أو "تبنن" أو "قمنيني" أو "جمنيني".

ويستخدم في طرد غازات الأمعاء وتسكين المغص المعوي. ويكثر استعماله في الطعام ويستخدم ضد الدودة الشريطية وللروماتزم والحروق والجرب. ويقول (بليني) أن بذوره كانت تصحن وتستخدمه شراباً في علاج آلام المعدة.

الباب السابع

الصناعات الزراعية

كان المصريون القدماء يعنون عناية فائقة بالصناعات الزراعية وقد انتشرت انتشاراً كبيراً في عهدهم نظراً لحاجتهم إليها في حياتهم اليومية. وأهم هذه الصناعات هي النسيج والورق والسلال والحصير والحبال والشباك والغرابيل والنعال (الصنادل) والفراجين وجعب البذور والمراوح ومساند الجرار والحوايا والباقات والأكاليل الجنائزية والخبز والجعة (البيرة) والنبيذ ونبيذ البلح (العرقي) والفاكهة المجففة والزيوت والصباغة والدباغة.

أما المواد التي استخدمت في صناعة السلال والحصير وغيرهما وأهمها:

١- ألياف النخيل وسعفه: وقد استخدمت الخوصة الكاملة للصناعة الخشنة وقطعها إلى شرائح قليلة العرض للصناعات الدقيقة. أما الجريد فقد استخدم دعائم للسلال.

٢- أوراق نخيل الدوم وأليافه: وقد عثر على سلال كثيرة مصنوعة من أوراق نخيل الدوم وأليافه.

٣- الحلفاء: وتسمى علمياً .Cladium mariscus L. Pohl وهي نبات بنمو بريا في شمال أفريقيا وبخاصة في مصر. وقد عثر على

سلال صغيرة مصنوعة منها في أحد قبور المستجدة من العصر الحجري الحديث محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة.

٤- السمار: ويسمى علمياً .Juncus maritlmus Pohl وهو نبات قديم في مصر. وقد عثر (أنجر) على أجزاء منه في طوبة من هرم دهشور بالفيوم واستخدم في صنع السلال الصغيرة التي تشبه مثيلتها المستخدمة في مصر اليوم لحفظ الفاكهة والأزهار.

٥- أما السمار الحلو ويسمى علمياً Cyperus alopeeurondes .Rottb واسمه بالهيروغليفية "جاش" أو "فاش" أو "دش" ثم حرفت إلى الكلمة الشائعة "ديس".

وقد عثر "مسبرو" على حصيرة مصنوعة من ساق الغاب في أحد قبور الجبلين بمصر العليا. وكان الغاب ينمو بكثرة في مصر وبخاصة في مستنقعات الدلتا واتخذ نباته وهو مزهر شارة تدل على مصر العليا. وكان يستخدم منذ أقدم العصور في بناء مساكن عامة الشعب وصنع من أزهاره الباقات وبعض الأثاث والسلال والسهام وأنابيب النفخ في كور الصائغ والحراب والأفلام والزوارق الصغيرة.

٦- الغاب: ويسمى علمياً .Arundo donax L واسمه بالهيروغليفية "نابي" وورد ذكر الجزء الداخلي منه في بردية "إيبرس" الطيبة باسم "أجاجي" وهو نبات قديم في مصر عثر عليه منقوشاً على أحد جدران معبد مدينة هابو بطيبة من عصر الدولة الحديثة ضمن صور الصيد

والقنص حيث نشاهد رمسيس الثالث وهو يطارد أحد السباع بين بوص مزروع.

وكانت أوراقه تستخدم في صناعة الحصير ويدخل في تركيب بعض الوصفات الطبية وصنعت منه السهام والمنافيخ . أما النوع المعروف باسم Arundo isiaea وقد ترجمه بعض العلماء حرفياً (قصب إسحاق) فقد عثر (انجر) على قش منا في تابوت وجد في أحد قبور منف. ويظن أن المصريين القدماء كانوا يصنعون منه أقلام الكتابة.

الصناعات الريفية

صناعة النسيج

ظهرت بوادر صناعة النسيج منذ العصر الحجري الحديث وأخذت تنمو وتتقدم منذ بداية عصر استخدام المعادن. وتدل بقايا الأقمشة التي عثر عليها في قبور الفيوم والبدارى على أن صناعة الكتان كانت حسنة الصنع ساذجة وفي الوقت نفسه كانت صلبة منظمة النسج.

وقد وجدت في قبور مرمدة بني سلامة قطع من عزل الكتان أقدم عمراً مما وجد في البدارى. وبينما نجد النساء يقمن في معظم الأحوال بالغزل والنسيج في عصر الدولة القديمة قد نجد الرجال هم الذين يقومون بالعمل على الأنوال غالباً في عصر الدولة الحديثة لأن ضيق ملابس النساء لا يسمح لهن بفتح أرجلهن حين الجلوس إلى النول الرأسي حتى يكن على

مقربة كبيرة منه بحيث يستطعن تحريك المشط والنير إلى أعلى في أثناء النسيج. ولا يزال الرجال في مصر وغيرها من البلاد يعملن في صناعة المنسوجات إلى اليوم.

وقد قام خبراء عديدون بفحص طبيعة الغزل المصري القديم وميزاته وأمكن معرفة كيفية علاج سيفان الكتان للحصول منها على الألياف. فكانت تنظف من البذور وتذرى بالمذراة ويفصل ما يكون عالقاً بها من حصى أو عيدان ثم تعطن وتدق وتمشط وبعد تهيئة الألياف تغزل بالمغازل وتنسج على الأنوال.

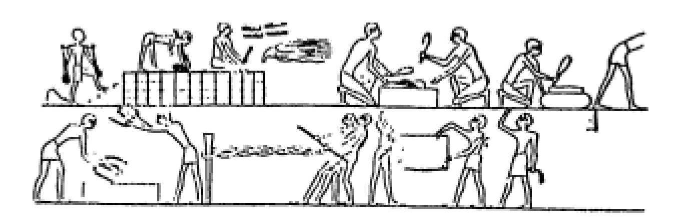
ولا نزاع في أن الغزل والنسج كانا من أقدم الحرف التي مارسها المصريون القدماء. وقد عثر على نماذج لنساء وهن يقمن بالغزل والنسج في قبور الأسرة الحادية عشرة محفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة.

وقد مثلت الأدوار على يمر على النبات من تعطين ودق وتمشيط وغزل ونسج على جدران كثير من القبور وبخاصة بني حسن مثل "خيتى" و"باقت" و"خنم. حتب" و"أمنمحات" و"تحوتي. حتب" والبرشا من عصر الدولة الوسطى (شكل ١٠٥ و ١٠٦) وكذا بعض قبور عصر الدولة الحديثة.

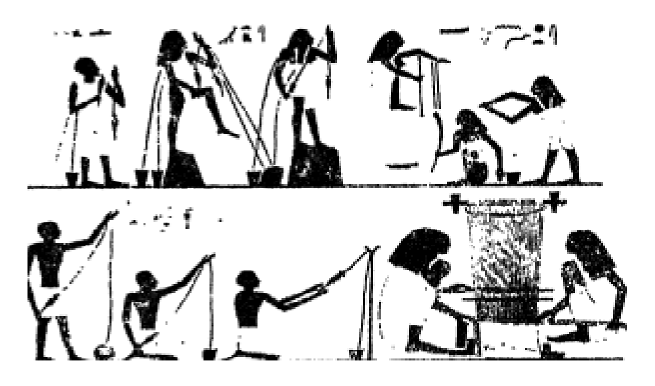
وكانت طريقة النسج في عصر الدولة الوسطى بسيطة جداً وهي شد سداة النوب في وضع أفقي بين ماسكين مثبتين بالأوتاد في الأرض مما يدعو النساج إلى الجلوس الفرفصاء على الأرض ويستخدم خشبتين تدفعان بين

خيوط السداة لتقسيمها. أما خيط اللحمة فكان ينسق ويحكم بخشبة معقوفة.

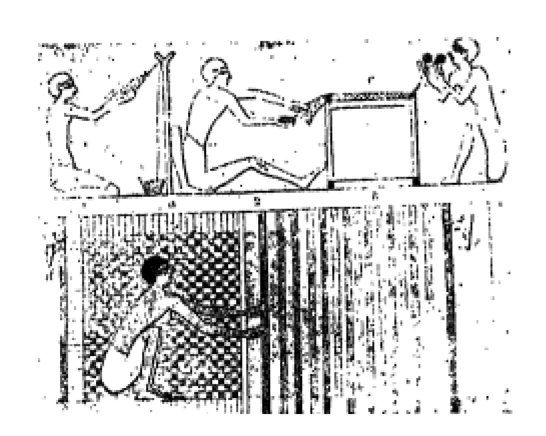
وقد عثر على صورة على أحد جدران قبور بني حسن تمثل رجلاً يغزل وعاملان يصنعان نوعاً من الشباك ومن أسفل الصورة عامل آخر ينسج على نول أفقي (شكل ١٠٧) كما عثر على عملية التمشيط مرسومة لأول مرة على أحد جدران قبور عصر الدولة الحديثة حيث نشاهد مشطاً منصوبة إلى دعامتين مثبتتين في الأرض ركب فيهما الماسك الأسفل فوق الأرض



صنع الكتان .. قبر أمنمحات بني حسن– عصر الدولة الوسطى



(شكل ١٠٦).. الغزل والنسج. مصنع للكتان يعمل به جماعة من الرجال والنساء. البعض يغزل خيوط الكتان والبعض الآخر ينسجها على النول المدوي.. أحد قبور بني حسن– عصر الدولة الوسطى



(شكل ١٠٧).. رجل يغزل وعاملان يصنعان نوعاً من الشباك ويشاهد في أسفل الصورة عامل يقوم بالنسج على نول أفقي... أحد قبور بني حسن– عصر الدولة الوسطى

بقليل بحيث يمكن تحريكه. أما الماسك الأعلى فيمكن شده إلى أسفل بواسطة حبلين مثبتين في طرفيه وذلك إذا أريد لف ما تم صنعه من النسيج كما أن هناك أيضاً خشبتين يستعان بهما على تقسيم خيوط السداة.

وكانت سيقان الكتان تسلق في وعاء كبير الحجم ليلين لحاؤها ثم تطرق بالمطارق على نحو ما يصنع اليوم لفصل اللحاء عنها ثم تندى الألياف بعدئذ وتفتل بمغزل بأحكام.

وكان القدر الذي يحوى مادة الغزل مستقراً على الأرض في حين يفلت الغزال الخيوط من فوق يده المرتفعة أو من فوق خشبة منصوبة ذات شعبتين.

وكانت الجهود تبذل لصنع أدق ما يمكن صنعه من الكتان الأبيض ما يبلغ به حد الكمال. وحسبنا أن نتذكر ملابس الأشراف البيضاء التي تشف عن أعضاء الجسم لفرط رقتها. ويمكن مقارنة ما حفظ لنا من هذا الكتان في رقته ونعومته بنسج الحرير في الوقت الحاصر ولا يقل عنه جودة. وكانت أنواع الكتان الرقيق والخشن تصنع غالباً في كل عصر بعناية فائقة (شكل ١٠٨).

وقد عثر في حفائر حلوان من الأسرة الأولى على بعض المنسوجات التي بلغت دقة خيوطها درجة كبيرة بما يوازه ٨٠ غزل كتان وهو النوع الذي صنعت منه الأنواع الشفافة الفاخرة التي نراها مرسومة على جدران القبور والمعابد والتي ذكرها المصريون القدماء في كتاباتهم وأشعارهم.

وهناك حوار عثر عليه لإحدى الأغنيات تقول فيه الفتاة للفتى: "يا إلهي.. أيها الحبيب. كم يسرك أن تذهب معي إلى البركة لأستحم في حضرتك وأسمح لك أن ترى جمالي في ثوب من الكتان الملكي عندما يكون مبللاً...".

وفي مكان آخر من هذا الحوار يقول الفتى لخادمة الفتاة: "عندما يجيء وقت تهيئة الفراش ضعي الكتان الناعم بين ساقيها واصنعي فراشها من الكتان الملكي من النوع الأبيض المطرز".

وكانت جواري البيت هن اللائي يقمن بهذا العمل في ضياع الأشراف



(شكل ١٠٨).. أنواع مختلفة من النسج

بينما نساء الفلاحين الأرقاء في الدوائر الكبيرة أصبحن يقمن به فيما بعد. وفي كلتا الحالتين كانت الأقمشة المصنوعة تورد إلى بيت المال.

ويمثل إحدى صور عصر الدولة القديمة موظفي بيت المال وهم يضعون الملابس في صواوين واطئة وطويلة من الخشب حتى لا يضطروا إلى طي الملابس فيها. ويحتوي كل صوان على نوع خاص من الأقمشة وفي أسفله قضبان يحمله منها رجلان إلى بيت المال.

وكان موظفو بيت المال يتسلمون خيوط الكتان من إدارة بيت المال ثم يسلمونها للنساء اللائي يعملن تحت أمرتهم. وعلى النساء أن يحسن نسج الكتان ويسلمن الموظف المختص نتيجة عملهن ثم يقدمه إلى رؤسائه الذين يأمرون بتخزين النسيج في مخازن بيت المال.

وفي قبور عصر الدولة الوسطى ما يمثل براعة الغزالات. فنشاهد بينهن نساء يقمن بالعمل على مغزلين في آن واحد ويفتلن فوق ذلك كل

خيط من الخيطين من نوعين مختلفين من الكتان ويضطرهن هذا إلى الجلوس إلى مقعد وتنزع فضول الثياب حتى لا يختلط المغزلان وتتشابك الخيوط.

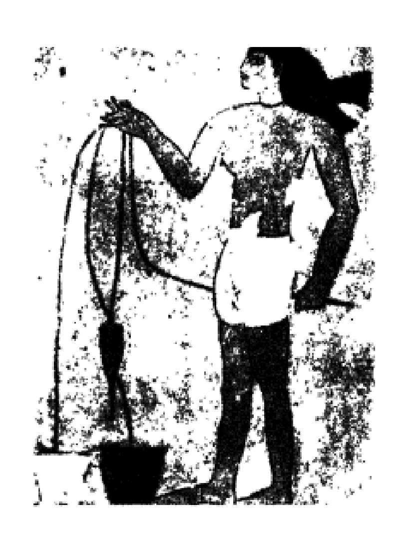
وقد عثر على صورة على أحد جدران قبر "ختم. حتب" ببني حسن يمثل فتاة تمسك في يدها اليمني خيطان ينبثقان من إناءين وفي اليد نفسها يتدلى مغزل يدور في الهواء. وفي اليد اليسرى يبدو أنها تقبض على مغزل آخر جزء منه مختف وراء جسمها. وتبدو المهارة في وضع الأصابع ومسك الخيوط وقوة الفتل (شكل ١٠٩). كما عثر على صورة على شواهد قبور أبيدوس (العرابة المدفونة) من الأسرة العشرين تمثل رجالاً قد اتخذوا النسيج حرفة لهم.

وقد انشأ القوم مصانع ملكية لغزل الكتان ونسجه في طيبة ومنف وغيرها من البلاد. ومن الصعب تقدير الكميات التي صنعت من المنسوجات الكتانية واستهلكت على مر العصور واستخدمت في أغراض شتى وبخاصة في لف مومياوات الإنسان والحيوانات والطيور.

وكانت تلك المومياوات تلف في لفائف من الكتان الخشن وبخاصة ما كانت ملتصقة بالجسم بواسطة مادة صمغية (غراء) بحيث تبدو كأنها مصنوعة من طبقة واحدة. وتدهن هذه الأغطية عادة بمادة يسهل الكتابة والرسم عليها بالألوان بينما تكون اللفائف القريبة من سطح الجسم أكثر رقة وأحياناً تكون كل اللفائف من الكتان السميك الخشن.

وقد قيست بعض الأكفان التي وجدت على المومياوات فتبين أن كثيراً منها يزيد على ألف ياردة في عرض ثلاث أو أربع بوصات وهي ترينا مقدار ما كانوا يحفظونه من كميات هائلة لتكون تحت الطلب عدا الاحتياجات التي كانت تتطلبها السوق الأجنبية.

وقد تكلم (بليني) عن صناعة الأقمشة الكتانية فقال: "تغطى



(شكل ١٠٩)..فتاة تغزل الكتان بمغزلين في وقت واحد.. قبر "خنم. حتب" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى.

ساق النبات في الماء ونترك في الشمس بعد أن توضع فوقها العال لتمنعها من الصعود إلى سطح الماء لحفتها ثم تستخرج من الماء وتترك تحت أشعة الشمس لتجف وتضرب بعد ذلك بمدقات فوق كتل من الأحجار. وكان الجزء القريب من القشر أقل جودة من الجزء الداخلي ولا تصنع منه غير فنائل المصابيح ثم تمشط الساق بعد دقها بأمشاط من الحديد لانتزاع

القشور. ويلاحظ أن الجزء الداخلي أشد بياضاً وأجود نوعاً من الجزء القريب من القشر ولا يخجل الرجال من تحضيره. وبعد غزله يسقل بضربه على حجر صلب مندى بالماء كما يضرب مرة أخرى بعد نسجه وكلما ضرب تحسن نوعه".

ويذكر (هردوت) أن مصر كانت أشهر بلاد العالم القديم في صناعة المنسوجات الكتانية وقد ميز نوعاً دقيقاً منه اشتهر باسم "نسج الهواء" Byssos

وبرى (لوريه) أن هذه اللفظة تقابل الكلمة الهيروغليفية (نيسوت) Niswt أي "ملكي" للدلالة على أفخر نوع من نسيج الكتان.

وكان ملوك الأقطار الأجنبية وأشرافها يفخرون باقتناء المنسوجات الكتانية التي تصدر إليهم وبخاصة اليونان.

وقد جاء في التوراة (سفر الأمثال لسليمان الحكيم- الأصحاح السابع والعدد السادس عشر): "بالديباج فرشت سريري بموشى كتان من مصر". كما جاء في (سفر أشعياء النبي- الأصحاح التاسع عشر والعدد التاسع): "ويخزي الذين يعملون الكتان الممشط والذين يحيكون الأنسجة البيضاء".

صناعة الورق

كانت مدينة سايس (صا الحجر) مركزاً هاماً لصناعة البردي. ولا نعرف تماماً متى بدأ استخدام ورق البردي وصناعته. وأقدم ما عثر عليه هو قطع من الوثائق البردية من عهد الأسرتين الخامسة والسادسة محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة.

وكان المصريون القدماء يستخدمون البردي كمادة أساسية للكتابة. وقد وصف لنا (هردوت) و(ثيوفراست) و(بليني) طريقة صنع أوراق البردي. فكان الغلاف الخارجي ينزع من ساق النبات ويقطع إلى شرائح رقيقة توضع الواحدة إلى جانب الأخرى على سطح مستو تعلوها عدة شرائح أخرى متقاطعة في اتجاه متعامد ثم تضغط وتدق بمطارق من الخشب حتى تنفرطح القشور وتترك في الشمس لتجف. وبعد ذلك نلصق جنباً إلى جنب حتى تصير ملساء. وكانت العصارة الموجودة بالساق عاملا مساعداً على اللصق. ويذكر (بليني) أن "ماء النيل حينما يكون عكراً تكون له الصفات الخاصة بالغراء" وبذا يمكن الحصول على الملف المطلوب ويصبح صالحاً للكتابة عليه. وبهذه الطريقة يمكن نسخ كتاب بأكمله على هذا الملف. وعند القراءة يفتح جانب منه ثم يطوى وبعد الانتهاء منه يفتح ما يليه وهكذا.

ولما كانت الحاجة تستدعى دائماً أكثر من قطعة واحدة من الورق. لذا كان العامل يلصق الصفحات معاً لعمل ملف طويل منها بعد تهذيب

القطع الزائدة. وقد يبلغ طول هذا الملف حوالي خمسة وأربعين متراً. وكان الكتبة يستخدمون هذه الملفات في تسجيل مراحل العمل الحكومي في إدارات الدولة المختلفة ثم تخزن بعد كتابتها في أوان خاصة.

وأهم الكتابات التي كتبت على أوراق البردي هي الهيراطيقية. ويعتبر (قصة الأخوين) من أهم القصص التي عثر عليها مكتوبة في عصر الدولة الحديثة.

وقد عملت تجارب لصناعة أوراق البردي كما جاء وصفها حتى يوصل (بتسوم جن) إلى طريقة مماثلة لما كان يصنعه المصريون القدماء. فأحضر نباتاً أخضر من البردي وقطعه إلى عدة قطع الخارجي ثم قطع اللب الداخلي إلى قطع غليظة ووضع نسيجاً ماصا على لوحة من الخشب ورتب عدداً من هذه القطع موازياً بعضها البعض الآخر ثم وضع فوقها بعض هذه القطع متلاصقة ومكونة زوايا قائمة من القطع التي ويعطي الجميع بنسيج رفيع ماص ودق بمطرقة من الخشب لمدة ساعة أو ساعتين ثم وضعت هذه المادة في مكبس صغير عدة ساعات. وعند الكبس عليها بين أن القطع قد ورقة رفيعة متجانسة صالحة للكتابة عليها ثم صقلت بعض الشيء وأصبحت أكثر ملاسة وكان الورق من هذه العملية يقرب من اللون الأبيض وأمكن بعد ذلك إصلاح بعض العيوب التي ظهرت فيه قبل وضع المادة في المكبس.

وقد عثر على أوراق عديدة من البردي يرجع بعضها إلى عصر الدولة القديمة تشهد على ما بلغته هذه الصناعة من دقة وإتقان في وقت مبكر وكانت مصر تعتبر مركزاً هاماً له وظلت محتفظة بمكانتها في هذه الصناعة المزدهرة مدة طويلة.

وقد تقدمت صناعة الورق في العصر اليوناني الروماني تقدماً عظيماً. وكانت قراطيس البردي سلعة رئيسية من الصادرات المصرية إلى سوريا وغيرها من بلدان العالم القديم.

ويلاحظ أن أوراق البردي كانت تصنع في هيئة لفات ثم تطورت في العصر القبطي إلى هيئة كتاب ذي صفحات مرقعة.

ويذكر ولكنسون أن صناعة الورق كانت مستخدمة في مصر حتى القرن السابع ثم استبدلت بأنواع أخرى منه.

صناعة السلال

تعتبر صناعة السلال من أقدم الصناعات التي مارسها الإنساني البدائي وهي عبارة عن تضفير الألياف أو نداخلها في بعض وتصنع بدون استعمال أي نوع من الآلات.

وقد عرف المصريون القدماء صناعة السلال منذ العصر الحجري الحديث واستمر تقدمها لحاجتهم إليها في الحقل وفي المنزل وتوفر موادها الأولية في جميع أنحاء البلاد.

وقد عثر على بعض السلال في بلدة طرخان من عصر ما قبل الأسرات كما عثر على تابوتين للدفن في هيئة سلة. وقام (كيمر) بفحص المواد المستخدمة في صنعهما وتبين أنهما من سيقان نبات الجروان Coruana pratonsis l'orsk. وهو نبات صغير معروف في مصر وأحد هذين التابوتين محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

وذكر بعض المؤرخين أن المصريين القدماء استخدموا أحياناً البردي والسمار والغاب في صنع السلال ولكن (لوكاس) يشك في ذلك ولو أنه استخدم على نطاق واسع في أغراض أخرى.

وكانت بعض السلال تزين برسوم زخرفية ملونة. ويذكر (كارتر) أن معظم السلال التي عثر عليها في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة وجدت ملونة وبخاصة ما عثر عليها في قبر توت عنخ آمون بطيبة وهي على درجة عظيمة من الروعة والإتقان ولا زالت هذه الصناعة مزدهرة في مصر حتى اليوم وبخاصة في الصعيد فيما وراء المنيا.

ويذكر (بترى) بعض السلال التي عثر عليها في قبور اللاهون بالفيوم من الأسرة الثانية عشرة وكذا إحدى السلال الملونة بالأحمر والأسود من الأسرة الثامنة عشرة وسلة لونها أحمر وأبيض من العصر الروماني.

وكان البردي يخلط غالباً بالغاب ويستخدم في صنع الأوعية التي وصفت بأنها صناديق أكثر منها سلال.

ويذكر (كويبل) سلة من هذا النوع عثر عليها في قبر يويا وثويا وتتكون من وعاء كبير مستطيل الشكل مصنوع من سيقان البردي أو الغاب.

وقد عثر على صندوق من البردي في قبر توت عنخ آمون وصفه (كارتر) بأنه "سلة مصنوعة من البردي خاصة بمعدات كتابة الملك" يبدو أنها مصنوعة من لب شرائح البردي الرقيقة على إطار من الغاب مبطنة بالكتان ومزخرفة من أعلى ومن أمام بشرائط ضيقة بمادة مصقولة.

وهناك سلة أخرى من القبر نفسه مقسمة إلى ستة أقسام مصنوعة من الغاب ومبطنة بشرائح من لب البردي.

وقد اختلفت أحجام هذه السلال وأشكالها تبعاً لاختلاف الأغراض التي استخدمت فيها كما تنوعت تنوعاً واضحاً وهي ذات أغطية تشبه إلى حد كبير السلال المستخدمة في الريف المصري اليوم.

وقد عثر على سلال مختلفة الأنواع والأشكال والأحجام بعضها محفوظ بالمتحف المصري وبعضها الآخر بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي وهي تدل على دقة الصناعة وتشهد للصانع المصري بالبراعة والمهارة (شكل ١١٠ و ١١١ و ١١٢).



(شكل ١١٠)

سلة بيد من أوراق النخيل والحلفاء

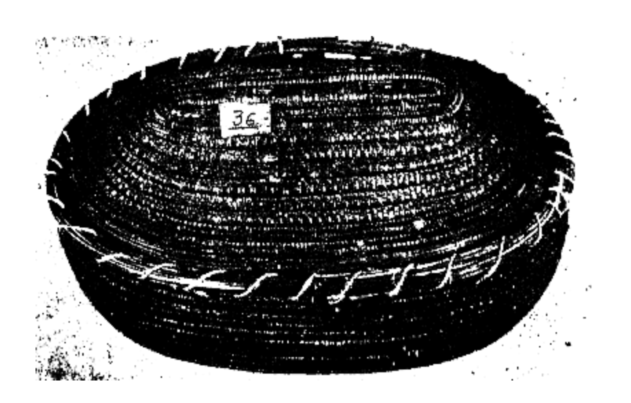
ادفو– العصر اليوناني الروماني
(قسم الزراعة القديمة بالمتحف
الزراعي)



(شكل ١١١)

سلة من الحلفاء

ادفو– العصر اليوناني الروماني
(قسم الزراعة القديمة بالمتحف
الزراعي)



(شكل ١١٢) .. مرجونة من السمار والحلفاء.. أحد قبور دير المدينة بطيبة. عصر الدولة الحديثة.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

صناعة الحصير

كانت الحصير ولا تزال من أهم الصناعات الصغيرة وتعتبر من متاع البيت المصري الذي لا غنى عنه. وكثيراً ما وجدت الجثث موضوعة على حصير أو ملفوفة أو مغطاة بها.

وتشاهد في صناعة الحصير أن الخيوط الطويلة (السداة) قد صنعت من ألياف الكتان لربط الألياف العرضية (اللحمة) المصنوعة غالباً من الحشائش أو البوص. وكانت الزخرفة بألوان متباينة في أشكال هندسية عنصراً هاماً فيها.

وكانت هذه الصناعة تلقي رواجاً كبيراً لاستخدامها في المنازل لتغطية الأرضية وبعض المقاعد والأرالك. وقد استخدمت ستائر للأبواب والنوافذ بحيث كانت تكوم في هيئة اسطوانة عند رفعها في أعلى الباب ثم تفرد لتغطية النوافذ بحبل معلق في الحصير.

وقد عثر على صور لصناعة الحصير على أحد جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى وكانت تصنع بطريق الجدل واستخدم في صنعها سعف وألياف النخيل أو الدوم أو قش البوص أو الحلفاء أو السمار كما عثر على كثير من الحصير من عصور مختلفة ونخص بالذكر منها حصيرة من البردي في قبر يويا ونويا وحصيرة أخرى كبيرة من ألياف النخيل مربوطة إلى بعضها بخيط من حبال القنب في أحد قبور تل العمارنة من عهد الأسرة الثامنة عشرة.

ويرى (نيوبرى) أن الحصير هي أصل صناعة المضاجع (الأسرة) وهي تشبه (العنجريب) الذي ينام عليه الإنسان بدليل أن كلمة "بست" Posct الهيروغليفية– ومعناها سرير أو حصير– وقد وردت على أحد جدران قبر "خنم. حتب" ببني حسن ثم حرفت إلى كلمة (بساط) العربية. كما أن كلمة (برش) في اللغة القبطية– ومعناها حصير هي أصل كلمة برش العربية المستعملة اليوم في السجون وهي تعني أيضاً كلمة (فرش) العربية وهو مكان النوم أو السرير أو الغطاء.

صناعة الحبال

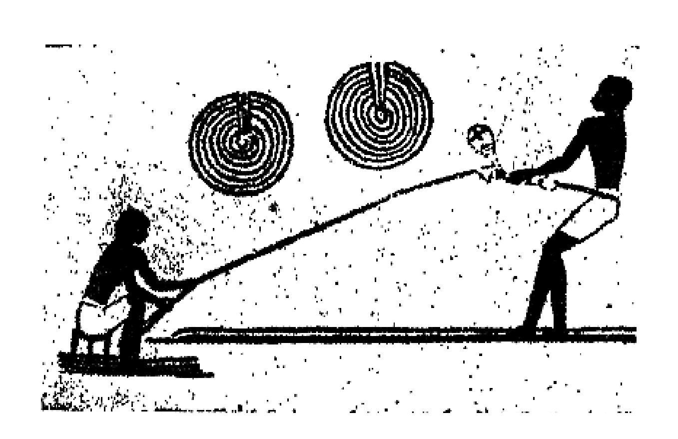
تصنع الحبال من لف (برم) بعض الألياف الرفيعة المنفصلة بحيث يتكون منها حبال رفيعة ثم نبرم معا فيتكون منها حبل سميك.

وكان ليف النخيل يستخدم بصفة عامة في صنع الحبال ولا يزال يستخدم لنفس الغرض حتى اليوم. ويذكر (ثيوفراست) و(بليني) أن المصريين القدماء كانوا يصنعون الحبال من البردي. وهناك صور عثر عليها على جدران قبور عصر الدولة القديمة تمثل صانعي الحبال يبدو فيها الصانع وهو يبرمها على حدة ثم يلفها بعد ذلك معاً حتى تقوى وتشتد.

وقد عثر على صورة لصناعة الحبال على أحد جدران قبر "رخميرع" بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة حيث نشاهد صانعين قد جلس أحدهما على مقعد واطئ وأمسك بطرف الحبل لضبط اتجاه الخيوط بيده بينما الآخر قد وقف أمامه وشد الحبل إلى حزام في وسطه حتى تكون يداه

خاليتين فيستطيع أن يمسك بهما أداة متحركة كالمغزل يبدأ في تحريكها بعد ذلك عند طرف الحبل الذي شد في وسطه. وفي أثناء ذلك يضيف العامل الأول الجالس أليافاً جديدة بيده اليمنى إلى الحبل فتلتف به في الحال بحكم دوران الأداة التي تلوي الحبل باستمرار. فإذا تم صنع الحبل لف لفاً حلزونياً في حلقة توضع إلى جانب العامل كما نشاهد حلقتين من الحبال موضوعتين إلى جانب الصانعين (شكل ١١٣).

وقد عثر على مجموعة قيمة من الحبال المختلفة من أهمها حبل ضخم نادر عثر عليه في أحد قبور سقارة من الأسرة الأولى مصنوع من عيدان البردى استخدم في جر الأثقال الكبيرة كالتماثيل والمسلات كما عثر على حبال مصنوعة من المادة نفسها استخدمت للساقية من العصر الروماني محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.



(شكل ١١٣).. صناعة الحبال..قبر "رخميرع" بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة

صناعة الشباك

انتشرت صناعة الشباك في مصر انتشاراً كبيراً حيث استخدمت في صيد الطيور والأسماك وكثيراً ما نراها مصورة على جدران القبور.

ونشاهد في أحد هذه الصور رجلاً قد جلس على الأرض وأحد من صنع إحدى الشباك واضعاً بداية الشبكة عند أصبع قدمه الأكبر ثم يشدها به شداً وثيقاً بينما أمسك بإبرة النسيج في يده وعمل بها. وإذا فرغ من عمل جزء واسع من الشبكة ربطه إلى الأرض وجلس على مقعد واطئ واستمر في عمله حتى ينجزه (شكل ١١٤).

ومما يجدر ذكره أن نوعاً جميلاً من الشباك كان يصنع حول الجرار. وهناك مثال لذلك محفوظ بالمتحف المصري يرينا إناء من المرمر عثر عليه في أحد قبور سقارة وحوله شبكة نقشت نقشاً بارزاً جميلاً على سطحه الخارجي بحيث يظهر جميع تفاصيل الحبل المجدول.

وقد عثر على شبكة (شنفه) مصنوعة من الليف في كوم أوشيم من العصر الروماني كانت تستعمل في نقل المحصول على ظهور الحمير محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة.



(شكل ١١٤).. صناعة الشباك.. قبر "باحرى" بالكاب– الأسرة الثامنة عشرة

صناعة الغرابيل

عرف المصريون القدماء صناعة الغرابيل منذ عصر ما قبل الأسرات وقد استخدموا في صنعها نفس الطريقة التي استخدموها في تضفير السلال.

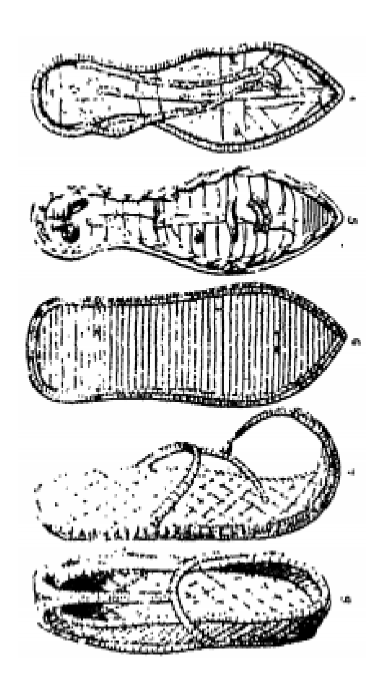
وقد عثر على غربال في أحد قبور الأسرة الثامنة عشرة له "شبكة مصنوعة من ليف النخيل والسعف" وعثر (بترى) على جزء من غربال متين مصنوع من السمار من الأسرة العشرين كما عثر (ونلوك) على غربال في أحد الأديرة من العصر المسيحي له "حافة مصنوعة من حبلين من الحشائش ملفوفين حول الغربال ومربوطتين معاً بالسعف و(عيونه) مصنوعة من البوص الصغير المربوط معاً بالحشائش والمقوى من الخلف بجريدتين من النخيل".

ويوجد بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بعض الغرابيل دقيقة الصنع مصنوعة من نخيل البلح والدوم والحلفاء والسمار والبردي عثر عليها في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عصر الدولة الحديثة كما عثر على بعضها في تبتنيس من العصر الروماني.

صناعة النعال

كان المصريون القدماء يصنعون النعال (الصنادل) من الحلفاء أو البردي أو سعف النخيل أو الدوم أو القش وقد احتفظت بشكل ها البسيط الذي عرفت به حتى اليوم. ويبين (شكل ١١٥) نعالاً وأحذية مختلفة مصنوعة من أوراق النخيل والبردي.

ولم يكن استخدام النعال– سواء أكانت مصنوعة من الجلد أم من المواد سالفة الذكر– قاصراً على الملوك والعظماء إنما تعداهم إلى النساء والكهان والموظفين والجند والكتاب ومن يقيسون الحقول أو يعملون فيها ويضطرون بحكم عملهم إلى المشي على الجذور. وكانت نعال الملك ينقش عليها غالباً صور الأعداء وهم مقيدون رمزاً على أن الملك يدوس أعداءه تحت قدميه أثناء سيره.



(شكل ١١٥)

نعال وأحذية مختلفة (٤ و٥) نعلان من أوراق النخيل والبردي

(متحف قلعة النويك)

٦) نعل

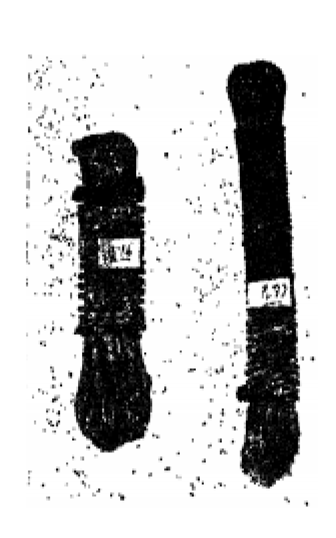
(متحف قلعة النويك)

(٧ و ٨) نعلان (متحف برلين) (عن ولكنسون)

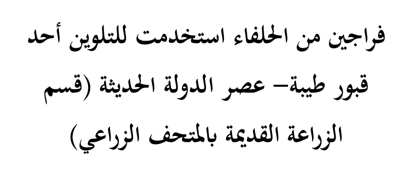
صناعة الفراجين

كان الصناع يقومون بصنع الفراجين (الفرش) من الحلفاء والليف أو الجريد والكتان وبعض أنواع البوص. وكانت أطرافها تحول إلى شعيرات وذلك بوضعها في الماء ودقها بعد ذلك.

وقد عثر على بعض الفراجين التي استخدمت للتلوين في قبور عصر الدولة الحديثة ولا زالت آثاره عالقة في أطرافها كما يشاهد ذلك في الفراجين المحفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة (شكل ١١٦).



(شكل ١١٦)



فراجين من الحلفاء استخدمت للتلوين أحد قبور طيبة– عصر الدولة الحديثة (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

صناعة جعب البدور والمراوح ومساند الجرار والمكانس والحوايا والسدادات

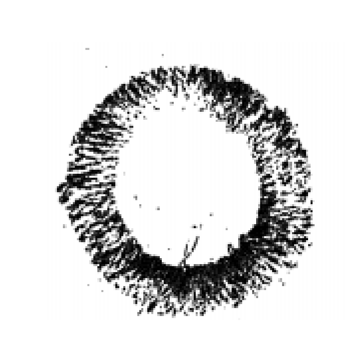
صناعة جعب البذور والمراوح ومساند الجراد والمكانس والحوايا والسدادات

كانت هذه الصناعات منتشرة في مصر وقد عثر على الكثير منها في القبور ولا زالت رائجة في بلادنا حتى اليوم وتوجد مجموعات قيمة منها في قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

وقد عثر على مكنسة من الحلفاء مربوطة بالكتان والليف في أحد قبور بننيس من العصر الروماني (شكل ١١٧) كما عثر على حوية من الحلفاء في أحد قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة (شكل ١١٨).

(شكل ١١٧)

مكنسة من الحلفاء مربوطة بالكتان والليف. أحد قبور بننيس– العصر الروماني. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)



(شكل ١١٨)

حوية من ألياف نخيل البلح والحلفاء.

أحد قبور دير المدينة بطيبة– عصر الدولة الحديثة

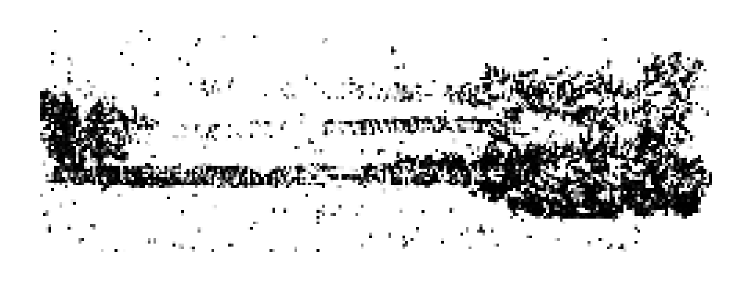
(قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

صناعة الباقات والأكاليل الجنائزية

اشتهر المصريون القدماء بصناعة الباقات المنسقة والأكاليل الجنائزية وكانت من أهم واجبات البستاني نظراً لحاجتهم إليها في الشئون الدينية والدنيوية.

وقد استخدموا أغصان الأشجار وأزهارها وأوراقها– وبخاصة شجرة البرساء– في صنع الباقات والأكاليل وعثر على الكثير منها في قبور دير المدينة ومدينة حابو وتوت عنخ آمون بطيبة من عصر الدولة الحديثة (شكل ١١٩).

ويوجد بعض هذه الباقات والأكاليل محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي من أهمها باقة من الورد وإكليل من أزهار شجر السنط وأوراق الصفصاف وإكليل آخر من أزهار العنبر والقرطم وأوراق البرساء.



(شكل ١١٩) .. أكليل جنائزي من أغصان شجرة البرساء.. أحد قبور طيبة– عصر الدولة الحديثة.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

الصناعات الغذائية

صناعة الخبز

الخبز هو مصدر الطاقة الحرارية ويضع مادة من الشعير أو الحبوب الأخرى، وكان أساس الغذاء في من مرتبات الموظفين وأجور العمال التي كانت تدفع حبوباً وخبز في عصر الدولة القديمة كما تشير إلى ذلك نفوس العظيم "متن" من عهد الأسرة الرابعة.

خزن الغلال وكيلها وغربلتها :

كان الفلاح يصنع الحبوب في مخازن حان موعد طحنها أخذ حاجته منها. وقد عثر على أحد جدران قبر "لي" بسقارة من عهد الأسرة الخامسة على مخازن غلال ذات ثلاثة صوامع ملونة باللون الأزرق بسبه حوذة مدببة. وكان في كل من أسفل تفتح وتقفل حسب الحاجة بواسطة لوح محرك من الخشب. وعندما يقوم العامل بنزع هذا اللوح ينساب القمح من تلقاء نفسه إلى الوعاء الذي يكون قد وضع بجوار السطح. وتتم هذه

العملية تحت رقابة الكاتب الذي يسجل علامات وأرقام خاصة بذلك على قرطاس من البردي تبين الكميات التي تؤخذ منه.

ويستدل من النقوش المدونة على جدران القبر على وجود مخزن للغلال يديره فريق من العمال الأشداء كانت تسند إليهم الأعمال المختلفة. وكانت الغلال تؤخذ من المخازن ويوزن وتنظف فوراً ويجلس بجوار العامل الذي يملأ سلته أحد الرجال وهو يمسك بيده مكيالاً مربعاً وأمامه امرأة تحرك غربالاً مستديراً كما يدل على ذلك النقش الآتي: "زنوا الشعير. غربلوا الشعير".

وإذا بقي القمح بعض الوقت في مخزن الغلال فإنه لا يظل نظيفاً كما كان الحال قبل وضعه بالرغم من الاحتياطات التي تتخذ لذلك. ولذا استدعى الأمر تنقيته من الغبار والمواد الغريبة قبل طحنه.

الطحن:

كان المصريون القدماء يتبعون وسائل بدائية لتحويل الغلال إلى دقيق. فكانوا يطحنونها في هاون من الحجر بواسطة مدقات يبلغ طول الواحد منها حوالي المتر. وكان العمال يصيحون ويرددون الأغاني أثناء الطحن فتزيد من قدرتهم ونشاطهم على هذا العمل الشاق بينما مدقاتهم تضرب الغلال ويصرخون.

"انزل أنت. أنا الذي أقوم بالعمل. انزل. اصعد"!

ومنذ عصر ما قبل التاريخ كان القوم يطحنون الغلال عدة مرات بواسطة حجرين الأسفل منهما وهو الأكبر يميل ميلاً خفيفاً إلى الأمام حتى يتساقط الدقيق الذي يتم طحنه ويتجمع في حوض صغير في طرف الحجر الأمامي. وكان ينتج من عملية الطحن نزع أغلفة الغلال. وبتحريك هذه الغلال المنفصلة أمكنهم الحصول على الدقيق المطلوب. ويبدو ذلك واضحاً من النقوش التي عثر عليها على جدران القبور فقد مثل الغربال المستخدم بشكل مستدير بينما شكل هـ كان مستطيلاً في نقوش مصطبة "ليد".

وفي كلا الشكل ين نشاهد المرأة المكلفة بغربلة الغلال وهي تقوم بطرحها إلى أعلى بواسطة الغربال وقد نقش المتن الآتي للدلالة على ذلك: "حرك الغلال. نظف القمح والشعير".

وفي عصر الدولة القديمة كان أحد العمال يجلس إلى جانب الحوض الحجري الذي تدق فيه الغلال وهو يضع في قبضة يديه بين الإبهام والسبابة شيئاً صغيراً جداً كما لو كانت الحبوب الرديئة تنزع بعد إجراء الغربلة.

وتدل كل هذه العمليات على الطرق البدائية لتحويل الحبوب إلى دقيق. وكانت الحبوب المقشورة والمنتقاة توضع بعد ذلك على حجر لتقوم إحدى الخادمات بطحنها وذلك بإدارتها على حجر كبير مستدير ثم تجثو

أمامه على الأرض بعد أن تضع على شعرها عصابة رأس لحمايته من الدقيق المتطاير.

وكانت الخادمات يقمن بالطحن بصفة خاصة ويعتبر هذا من الأعمال الحقيرة. وهناك مثل بديع منقوش على أحد جدران قبر "بتاح. حتب" بسقارة من عهد الأسرة الخامسة يقول: "إن الكلمة الطيبة أشد من الزمرد ولكن المرء يعثر عليها عند الخادمات اللائي يعملن على حجر الطحن"

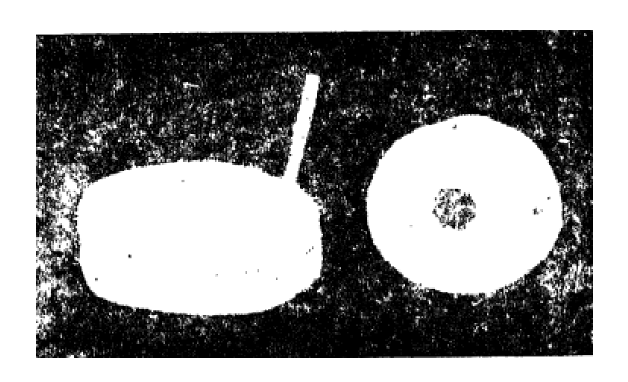
وقد وجد نموذج من الحجر الجري يعمل امرأة تطحن في عصر الدولة القديمة محفوظ متحف هلدسهايم (شكل ١٢٠).



(شكل ١٢٠) .. نموذج من الحجر الجري يمثل خادمة تطحن الغلال... عصر الدولة القديمة (متحف هلدسهايم)

وقد طلب أحجار الطحن باقية حتى عصر الدولة الوسطى ولا تزال سائدة في بلاد النوبة الجنوبية حتى اليوم. ومنذ بداية هذا العصر تمكنت

الطاحنات من العمل تحت ظروف أكثر ملاءمة وذلك بين أقدامهن على حجر مرتفع فيه حفرتان حيث نجري عملية الطحن في الحفرة العليا بينما يدفع الدقيق إلى الحفرة السفلى وبذلك تستطيع الطاحنة أن تعمل وهي واقفة مما يسهل الطحن إلى حد كبير. ثم اهتدى الإنسان بعد ذلك إلى صنع أداة الطحن من حجرين مستديرين متماثلين أدى احتكاكهما إلى انفصال الجريش ثم نشأت بعد ذلك الرحاية والطاحونة اللذان لا تزالان تستخدمان في مصر حتى اليوم (شكل ١٢١).



(شكل ١٢١).. الحجر الأعلى لرحاية قديمة (محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي) وبجواره رحابة حديثة للمقارنة.

وفي العصر الروماني (حوالي القرن الثاني قبل الميلاد) استخدمت الحركة الرحوية في الطحن حين انتشر استخدام الرحاية اليدوية الصغيرة القابلة للنقل من مكان إلى آخر.

الدقيق:

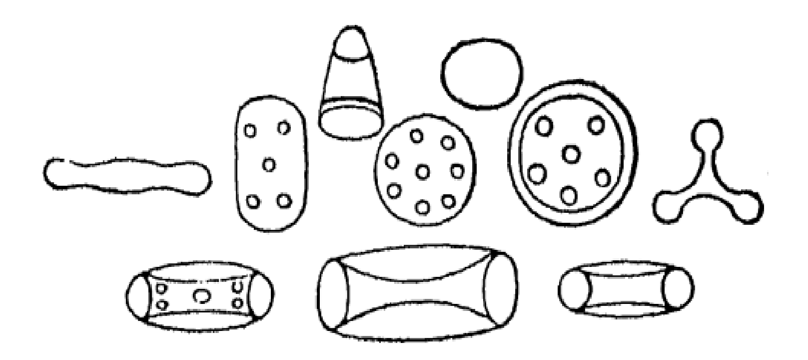
كانت تجلس أمام الطاحنة امرأة تقوم بنخل الدقيق. وكان هناك شيئان يخلفان عن بعضهما تبعاً لكثافتهما وهما الردة والحبوب فقد كانا ينفصلان عن بعضهما بواسطة المنخل للحصول على الدقيق المطلوب. أما البقايا المتخلفة فكان يعاد طحنها مرة أخرى كما يشاهد ذلك في النقوش التي عثر عليها على أحد جدران قبر "تي" بسقارة بواسطة فريق مكون من ثماني عشرة خادمة كان بعضهن يقمن بإعداد الدقيق الخشن بينما بعضهن الآخر أن يحصلن على الدقيق الناعم وتضعه في سلة تملأ شيئاً فشيئاً بهذا النوع الجيد.

وقد ظهرت في النقوش تعبيرات جديدة تبينها من "اطحن. اطحن جيداً. إنني اطحن بكل قواي. إن الخادمة تقوم بنخل الدقيق. لقد طحنت الحبوب لأحصل على الدقيق وخبزت الكعك لنفسي".

إعداد العجين وصنع الخبز:

كانت النساء عادة يقمن بإعداد الدقيق وصنع الخبز العادي بينما الرجال يقومون بالعجن في أوان كبيرة كان الخبازون يستخدمون أيديهم لتقطيع العجين إلى قطع مختلفة الأحجام وصنع أرغفة منه توضع على عليها دقيق خفيف. وكانوا يقطعون العجين إلى أرغفة باليد اليسرى بينما ينثرون الدقيق على سطحها باليد اليمنى ولم يستخدموا في ذلك الرده التي تستعملها اليوم.

وكانت الأرغفة التي عثر عليها في القبور وبخاصة من عصر الدولة الوسطى مختلفة الأشكال والأحجام والسمك بعضها أو مستطيل وبعضها الآخر يتخذ أشكالاً أدمية أو حيوانية كالسمكة أو الثور الراقد تبعاً لخيال الخباز وذلك لتسلية الأطفال في الأعياد كما هو الحال اليوم (شكل ١٢٢).



(شكل ١٢٢).. خبز مختلف الأشكال– أحد قبور عصر الدولة الوسطى

وقد اختلفت الآراء بشأن وضع العجين في الأفران ذات شكل البرميل. فيقول (بورشارد) Borchardt أن العجين كان يوضع على سطح الفرن الخارجي لينضج بينما تقول (لويزا كليس) أن العجين كان يوضع على سطح الفرن الداخلي في إطارات مكونة من خمسة مسامير واحد منها في الوسط والأربعة الأخرى تكون دائرة ويترك الرغيف إلى أن ينضج ويؤخذ بعد ذلك من أعلى الفرن حيث لا يفتح غطاؤه إلا عندما يؤخذ منه الخبز. وكان الرغيف يفقد شكل هـ أحياناً فيبدو غير مستدير الشكل له بروز غريب في أحد جوانبه.

ونشاهد على أحد جدران قبور سقارة صورة تمثل العمال وهم يملأون العبوات بالخبز بحضور الكتبة الذين يسجلون عدد الأرغفة وقد نقشت العبارة الآتية التي كانوا يتبادلونها:

"اقذف. اقذف لي رغيفاً آخر. إنه رغيف غليظ"!



(شكل ١٢٣).. مجموعة من التماثيل الخشبية تمثل مخبزاً.. عصر الدولة الوسطى (المتحف المصري)

الجنائزية أن يحصل الميت على "الخبز والجعة والأوز ولحم البقر" غذاء له في العالم الآخر. ولكن نظرة واحدة إلى قوائم القرابين في القبور ترينا بوضوح أنهم كانوا يميزون بين نوع من الخبز ونوع آخر منه وبين صنف من اللحم وصنف آخر منه وأن أنواع الخبز واللحم لم تكن كلها عندهم سواء دائماً. فهذه القوائم تطلب المميت مالا يقل عن عشرة ألوان من اللحوم المختلفة وخمسة أنواع من الطيور وسمه عشر صنعاً من العيش والكعك وستة أشكال من النبيذ وأربعة أنواع من الجعة وأحد عشر صنعا من

الفاكهة فضلاً عن جميع ألوان الحلوى. وكانت هذه الأطعمة تخضع لمعطيات الطراز الحديث (الموضة). ولقد وصلت إلينا قائمة ببيان الأطعمة المطلوب إعدادها لرحلة أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة مع حاشيته إلى المدن. ومن بين عشرة أنواع الخبز وخمسة أصناف الكعك التي وردت في العاملة لا يكاد يوجد واحد منها كان شائع الاستعمال في عصر الدولة القديمة.

وقد ذكر في قوائم القربان القديمة أن الآلهة كانت تأكل خبزاً بديعا اسمه "قمح Kemah كان يسمى عند الساميين "قماح Kemah إلى جانب "الخبز الذي في البلد" أي (الخبز البلدي).

ويوجد بين ألوان الطعام في عصر الدولة الحديثة جانب كبير تدل أسماؤه على أنه دخيل جلب إلى مصر من الخارج وبخاصة من البلاد الشمالية مثل سوريا وآسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين التي زودت مصر بكثير من الأطعمة الشهية اللذيذة. فكان الأمراء يتزودون منها "بالخبز الكبير الجيد" المصنوع من حبوب" زرت. كما كان الجند يتزودون بأنواع الحبر السوري المصنوع من "القمح" مثل خبز (كلشت) وبخاصة (شربس). Cherpes

ومن أروع ما قاله أحد حكماء المصريين القدامي أن "الخبز الذي تكسبه ونفسك راضية خير لك من ثروة مع شقاء.

ولقد عهد إلى "الينى"- وكان رئيس مخازن الغلال ومدير مالية الكرنك وعاش في العصر الممتد من حكم أمنحتب الأول حتى حكم حتشبسوت- بمهمة عظيمة تلك هي تقديم الأغذية المطلوبة للبلاط الملكي. فإذا ما سافر الملك وجب على مختلف الأماكن التي ينوي الإقامة فيها أن يتهيأ لاستقباله فكان على "كاتب بيت الخزينة" في المدينة المختصة أن يقوم بكثير من الأعمال لكي يوفر جميع الأشياء التي تتطلبها مثل هذه الإقامة لهيئة البلاد الملكي. ولم تكن المهمة سهلة لأنها تتعلق بتوفير كميات عظيمة. فقد جاء في أحد المتون أنه كان يلزم من "الخبز الجيد" إعداد خمسة عشر ألف قطعة من خمسة أصناف ومن أنواع الخبز الأخرى أربعة عشر ألفا ومائتا قطعة ومن أنواع الكعك المختلفة ألفا قطعة.

ومن الطريف أن الاسم الهيروغليفي للخبز وهو "بتاو" لا يزال شائعاً بيننا حتى اليوم كما أن كلمة خبز قد استخدمت في بعض الأحيان لتدل على الطعام.

ومما يثير الدهشة أن المصريين القدماء كانوا يخبزون الخبز أحياناً ومعه القثاء لينضج بسرعة. وقد عثر على رغيف مستدير الشكل في أحد قبور عصر الدولة الحديثة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. وهي طريقة لا تزال شائعة في الريف المصري حتى اليوم إذ يعمد بعض الفلاحين إلى كسر البيض على الخبز ثم يوضع في الفرن بعد ذلك ليتم نضجه.

وكان من عادة المصريين القدماء أن يزودوا أبناءهم عند ذهابهم إلى المدرسة برغيف من الخبز وإناء من الجعة".

ومن العادات السائدة بيننا أننا نقسم بالخبز ونضعه في مكانة مرموقة ونحرم أن تطأه أقدامنا ونتجنب إلقاء فضلاته. فقد كان القوم يقدسونه ويسمونه (عيشاً) ولا يزال هذا الاسم مستعملاً بيننا حتى اليوم.

الفطائر:

كانت توجد أنواع متعددة من الفطائر أهمها ما كان مصنوعاً من عسل النحل. وقد وردت صورها مفصلة على أحد جدران قبر الوزير "رخميرع" بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة. فكانوا يجمعون العسل ويقلبونه بعضاً خشبية حتى يصبح سائلاً ويضاف إليه قليل من السمن ثم يرفع عن النار ويصب على الدقيق وتقلب بقطعة من الخشب حتى تبرد قليلاً وتحتمل اليد عجنها. فإذا تمت هذه العملية أخذوا في قطع أجزاء منها وتشكيلها بالشكل الذي يريدونه فقد كانت هذه العجينة الممزوجة بالعسل سهلة التشكيل إلى درجة كبيرة. وكانت بعض أنواع الفطائر تقلي في السمن بعد أن تصنع في هيئة حيوانات صغيرة أو في هيئة لسان الثور أو قطع اللحم أو في هيئات حلزونية كانت ترفع من سمن المقلاة على عضوين.

وكان الخباز في البلاط الملكي لا يمنع بالأشكال المألوفة للخبز وإنما يفتن في إعطائه أشكالاً مختلفة. فكان بعضه لولبي الشكل "كالمشبك"

الذي يعمله صانعو الحلوى في الوقت الحاضر وبعضه الآخر مخروطي أو مقبب أو في هيئة بقرة راقدة.

وكانت بعض أنواع الكعك تجهز بطرق متباينة "كالمشبك" والبقرة التي يقليها الطاهي الملكي في السمن في مقلاة كبيرة عبارة عن إناء واسع يرتكز على ثلاث أرجل توضع بينها النار فكان للإناء يرفع بعضاً لأن اليد لم تكن تستطيع رفعه لسخونته.

أما الكعك الصغير فكان يخبز في الفرن ومثل عدة الفطائر لا تزال شائعة بيننا في المواسم والأعياد.

الأفران:

كان المصريون القدماء يستخدمون الفرن لتخضير الخبز. وقد أدخلت على هذه الأفران تحسينات كبيرة فيما بعد.

وكانت الفرن ذات أشكال ثلاث: الأول وهو نوع بسيط يستخدم في عصر الدولة القديمة كان يتركب من ثلاثة ألواح أو أربعة من طمي النيل المجفف يعلوها لوح آخر واسع ثم توقد النار من تحته وتوضع الأرغفة عليه حتى تسوى. وفي هذه الحالة كان السطح السفلي هو الذي يتعرض للحرارة. وتوجد طريقة بدائية جداً لخبز العيش هي وضعه على الرماد الساخن كما نساعد في صور قبور عصر الدولة القديمة.

والثاني استعمل في عصر الدولة الوسطى وكان يستخدم عندما يقطع العجين ويوضع في قوالب من الطين مختلفة الأشكال بطريقة ما كان تترك في الوسط حيث توقد النار.

أما الثالث فكان أدق صنعاً وأحسن تركيباً وظهر في منازل تل العمارنة من عهد أخناتون وكان يتكون من غرفة مخروطية الشكل مائلة لها قاعدة مستديرة تشبه في شكل ها خلية النحل ويبلغ ارتفاعها حوالي المتر مبنية من الطين المجفف في الهواء وفي قمتها فتحة لتصريف الدخان وفي أسفلها على مقربة من الأرض يوجد ثقب لتحريك (تقليب) النار منه.

وفي الوقت نفسه كانت هناك أفران في هيئة البرميل عادة مصنوعة من الطين المجفف يوضع فوقها فرن أخرى منكسة بمثابة غطاء لها وتحمي بنار تشغل تحتها ثم يقوم الخباز بسحب الأرغفة الناضجة ووضعها على صوان معدة لهذا الغرض. ولا يزال هذا النوع من الأفران يستخدم في البلاد السعودية حتى اليوم.

صناعة الجعة (البيرة)

هناك فرق واضح بين عمل الخبز المعد للأكل وعمله لصناعة الجعة. فالجعة هي نوع آخر من الأغذية كان المصريون القدماء يعتبرونها في جميع العصور من أهم ما يحتاجونه إلى جانب الخبز. فالخبز والجعة هما أول الأشياء التي كان الميت يتمناها لنفسه لتكون غذاء له في العالم الآخر. ومن

أجل هذا نرى العناية الواضحة بالصور التي عثر عليها على جدران القبور وتوضح إعداد الجعة فقد أمدتنا بمعلومات وافية عنها.

وكانت الجعة شراباً شائعاً في مصر بل شراباً رئيسياً على المائدة يقدم ضمن القرابين للآلهة. وقد استمتع المصريون القدماء بهذا الشراب الشعبي وأغرموا بشربه وزودوا به موتاهم في الآخرة وكانت صناعته من محتكرات القصر الملكي في عهد البطالمة.

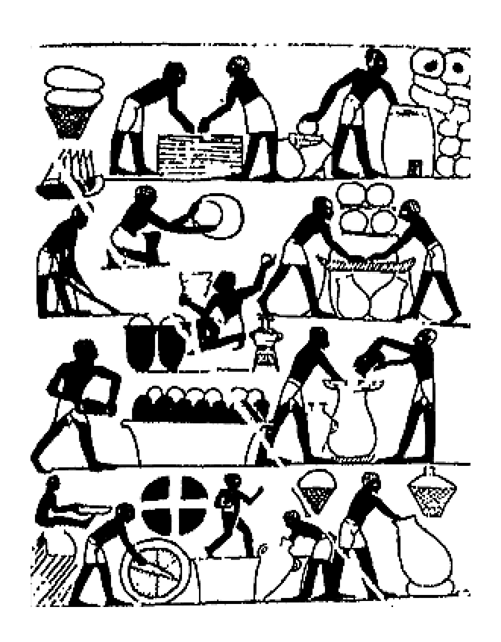
وقد أخذ المصريون صناعة الجعة– واسمها بالهيروغليفية "حنقت"– عن البابليين وكانوا يسمونها "هكتو" Hiktw

تحضيرها:

ولتحضير خبز الجعة كانت سنابل القمح أو الشعير تنظف ثم تدق الحبوب بمدقات كبيرة في إناء عميق من الحجر يشبه الهاون ثم تبلل بالماء مدة يوم حتى تنتفخ. فإذا زاد حجمها وضعت السنابل في إناء ذي ثقوب ثم تبلل مرة ثانية وتترك لتجف وتعرض بعد ذلك لأشعة الشمس ثم تؤخذ السنابل وتفرط ليخرج منها الشعير المنتفخ الذي يدق في الإناء حتى يتحول إلى عجينة توضع بعد ذلك على لوح وتضاف إليها الخميرة ويقوم أحد الرجال أو إحدى النساء بعجنها ثم تشكل أقراصاً أي أرغفة مستديرة تخبز بعد ذلك بشكل خاص لا تصل فيه إلى حد النضج وإنما إلى أن يعلو سطحها ويحمر وجهها مع بقاء قلب الرغيف نيناً ثم يقطع الرغيف إلى أربعة أجزاء تلقى في إناء مليء بماء عذب وتترك حتى تختمر. وعندما تصل

إلى درجة الاختمار المطلوبة توضع في سلة بعناية المصفاة تحتها إناء كبير من الفخار ويعجن بالأيدي فيسيل العصر من السلة حيث تتجمع في الإناء وهذا السائل يكون الجعة المطلوبة.

وكان القوم يضيفون- من وقت إلى آخر- ماء على العجينة الموضوعة في السلة للحصول على أكبر كمية من عصير الجعة. وعندما يمتلئ الإناء بهذا العصير يصب في قدور صغيرة من الفخار سبق طلاؤها بعناية لتسد مسامها ثم يحكم غلفها بسدادات من العلمي (شكل ١٢٥) ويختم بختم خاص عليها اسم المصنع ثم تحفظ في مخازن خاصة تبقى فيها بعض الوقت وقد نقش عليها: "أضمن صحة صنف الجعة".



(شكل ١٢٥) .. صناعة الجعة (البيرة)

ويتبين من وصف (بورشارد) لصناعة الجعة أن تحضيرها كان يشبه تحضير (البوظة) الحالية– وهي مشروب نوبي تستعمله الطبقات الفقيرة في مصر العليا وبلاد النوبة وتحتوي على كحول بنسبة ٧%– ولا تختلف جعة المصريين القدماء عن (البوظة) إلا في أنها كانت تحفظ وتخزن بينما (البوظة) تشرب طازجة بعد إعدادها مباشرة. وتصنع (البوظة) الحالية من القمح المطحون أو من الشعير والذرة العويجة.

وترجع مقارنة الجعة (بالبوظة) إلى صور مختلفة وجدت على أحد جدران قبر "تي" بسقارة من عهد الأسرة الخامسة وإلى قوالب من الخشب تشبه ما عثر عليه بالدير البحري بطيبة من عهد الأسرة الحادية عشرة وتبين عمليات طحن الغلال وعجن الخبز وقطعه إلى أرغفة تبل في الماء لصنع الجعة كما عثر على نماذج مماثلة في قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى.

وقد كشفت الحفائر عن بقايا الجعة والأواني التي حفظت في القبور محفوظ بعضها بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي. ويفحص بعض بقايا الجعة التي عثر عليها في قبور عصر ما قبل الأسرات حتى الأسرة الثامنة عشرة تبين أنها تحتوي على حبوب قمح نشوي وخميرة وبكتريا ونسب صغيرة من أنواع أخرى كما تبين أن بعضها يحتوي على خليط من القمح والشعير.

ولا نعرف كيف كانت تختلف أنواع الجعة بعضها عن البعض الآخر. ففي عصر الدولة القديمة أمكن عد أربعة أنواع منها. وفي عصر الدولة الحديثة كانت الجعة تستورد أيضاً من الخارج وكانوا يفضلون جعة بلاد (كدة) الواقعة في جنوب شرق آسيا الصغرى أي الجعة الطبية المستوردة من الخارج.

وتدل نقوش القبور على أن خبز الجعة كان يبلل في الماء الحلو ولم يتبين في العصر اليوناني الروماني طريقة الحصول على هذا الماء ولكن يبدو من النقوش أنه كان يحصل عليه بتفتيت البلح أي عصيره.

ويستدل من بعض القرابين الخاصة بطعام الميت وشرابه أنه كانت هناك مشروبات عديدة لم تكن معروفة من بينها صنفان من الجعة أحدهما (الجعة الحلوة) أي التي يضاف إليها عصير البلح وكانت تصنع على ذمة الميت كما يشاهد ذلك في نقوش قبر "تي" بسقارة وغيرها من النقوش الأخرى. وكانت (الجعة الحلوة) سهلة الحفظ على عكس الجعة المرة التي لا يمكن الاحتفاظ بها سوى وقت قصير مما يدعو إلى صناعتها بكميات كبيرة.

ولم يقنع المصريون القدماء بما كان يقام في الأعياد ولكنهم كانوا ينتهزون الفرص لإمامة صغيرة.

ويبدو أنه كان يوجد إلى جانب ذلك أيضاً في عصر الدولة الحديثة على الأقل أماكن عامة لشرب الجعة فيسيل فيها أنهار منها بالأغاني والأناشيد في جو يفيض والمرح من مطاردة بعنخي" مؤثرة حتى يقول.

"لم أعد أجلس في مشرب الجعة. ولم (آلة موسيقية). ولا إلا حين أعطش. منذ ذلك اليوم الذي سمعت فيه باسمي.

وبطبيعة الحال لم يوافق الحكماء على الأغاني. وكان منهم كثيرون– على هذه الحياة العابثة الماجنة فترى الحكم (آني) يقول:

"لا تفرط في شرب قدر كبير من الجعة. فأنت إذا تكلمت خرجت عبارة أخرى (غير التي تريدها) من فمك. أعضاؤك ولا يمد إليك أحد يده. ويقوم رفقاؤك ويقولون "ألا بعدا لهذا عندما يكون منتشيا . إذا جاء من يبحث عنك فإنهم يجدونك على الأرض ملقى مثل طفل صغير".

ولكن نصائحه لم تكن أكثر جدوى ولا فائدة من نصائح الحكيم (دواوف) الذي طلب إلى ولده أن يكتفي بقدرين من الجعة وثلاثة أرغفة من الخبز.

ويبدو أن الشباب المصري كان يسير وراء نزواته فقد ونفسه مليئة بالأسف إلى تلميذه يقول:

"بلغني أنك أهملت دراستك (الكتب) وأنك تتسكع من طريق إلى آخر. وأن رائحة الجعة قد أبعدت الناس (عنك). وأنها قد ساقت روحك

إلى الهلاك. أنك مثل المجداف المحطم في السفينة الذي لا يتجه إلى أية ناحية. إنك مثل هيكل من غير إله وبيت لا خبز فيه. لقد قابلك الناس وأنت تتسلق أحد الجدران وقد هشمت لوحا والناس يهربون منك وأنت تضربهم وتحدث بهم جراحاً"

صناعة النبيذ

كان المصريون القدماء يشربون النبيذ دائما إلى جانب الجعة– وكانوا يسمون "ارب"– ولم يعرف حتى الآن بصفة قاطعة ما إذا كانت كروم العنب قد استوردت إلى مصر من الخارج منذ عصر ما قبل الأسرات أو أنها أصيلة في وادي النيل ولكنه كان شراب الأثرياء.

وكانت زراعة الكروم منذ عصر الدولة الحديثة على الأقل منتشرة ذائعة الصيت في جميع أنحاء البلاد. فقد غرس رمسيس الثالث مثلاً "كروما لا حصر لها" في الواحات الجنوبية والشمالية وغيرها في مصر العليا والسفلى وخصص لها أرقاء من أسرى الحرب ليكونوا عمالاً يعملون تحت إشراف البستانيين المصريين وحفر فيها "أحواضاً بها أزهار اللوتس". وقد تعهد بصفة خاصة بعنايته للكروم الذائعة الصيت المسماة "كاني. كمى" أي (غذاء مصر) التي تنتج "النبيذ الحلو".

ويذكر (ارمان) أنه كان يوجد في عصر الدولة القديمة ما لا يقل عن ستة أنواع من النبيذ من بينها الأبيض والأحمر والأسود ونبيذ مصر السفلي كما يذكر (لوريه) أنه ورد في الآثار عشرة أنواع من النبيذ ولم تكن شهرته

قاصرة على البلاد المجاورة بل تعدتها إلى بلاد اليونان وجزر البحر الأبيض المتوسط.

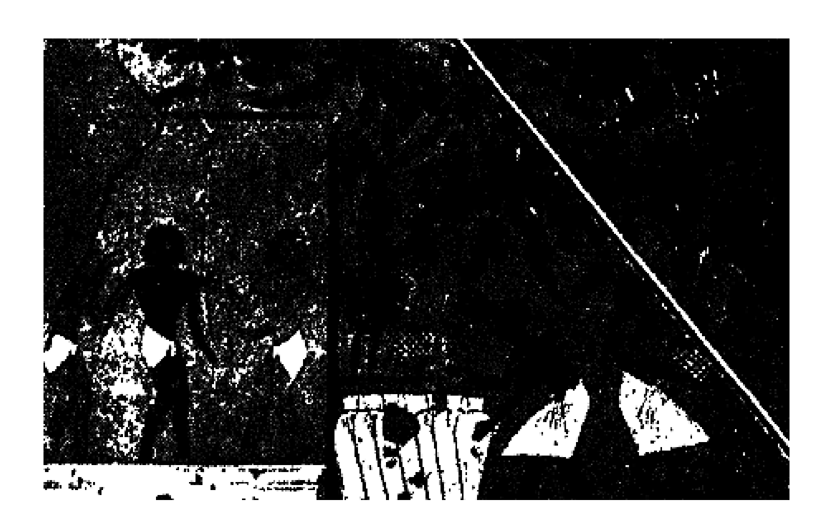
ويعتبر النبيذ المريوطي من أحسن أنواع الأنبذة نظراً لطبيعة الأرض في هذا الإقليم وقد اشتهر بحلاوته ولونه الأبيض كما كانت أنبذة الإسكندرية وقفط كذلك جيدة الأنواع. وهناك كروم كثيرة أخرى في وادي النيل لها شهرتها العظيمة وتختلف في لونها ومذاقها. وكانت بعض الأنبذة التي صنعت في طيبة وحول قفط خفيفة بينما وجدت أنبذة أخرى مفعولها قوي يرجح أن استعمالها كان قاصراً على الرجال فحسب.

وكثيراً ما يتوقف لون النبيذ على لون العنب وعما إذا كانت القشرة قد تركت مع العصير أثناء عملية التخمر. فالعنب الأبيض يعطى نبيذاً أبيض وعصير العنب الأسود لا لون له ويعطى نبيذاً أبيض إلا إذا تركت القشرة مع العصير عند التخمر فيعطى نبيذاً أحمر اللون.

ونشاهد على جدران بعض قبور سقارة من عهد الأسرتين الخامسة والسادسة والبرشا وبني حسن من عصر الدولة الوسطى وطيبة من عصر الدولة الحديثة صوراً تمثل زراعة الكروم. وكانت تشد على (تكعيبات) مقامة على قوائم خشبية أو أعمدة أنيقة من الخشب ويعنون بزراعتها عناية فائقة.

وكان القوم يجنون العنب الناضج ويجمعونه في سلال تحمل إلى المعصرة. وقد كانت ذات شكل بسيط تشبه مثيلها التي ترى الآن في

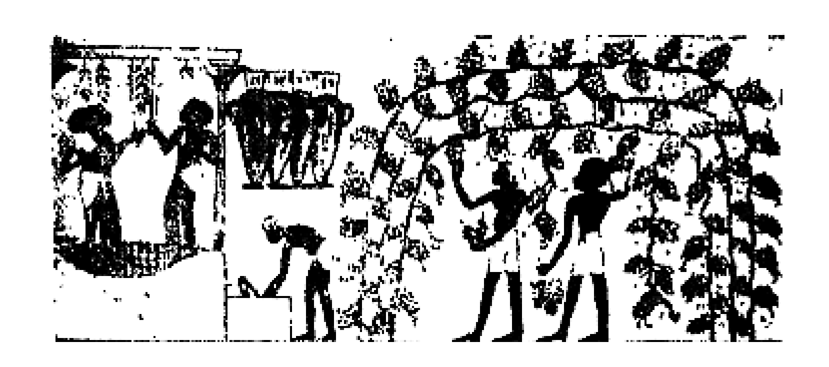
جنوب أوربا. وتتركب من حوض طويل منخفض يقام فوقه دعائم من الخشب تزيد في علوها عن طول الرجل. وكان الحوض يملأ بالعنب ثم يخوض فيه خمسة رجال أو ستة يرفعون أذرعهم ليمسكوا العوارض العليا من دعائم هذا البناء الحسبي ويهرسون العنب بأقدامهم. ويرى من حركات أقدامهم السريعة أنهم كانوا مضطرين للقبض على هذه العوارض لكي يحفظوا أنفسهم من السقوط. وقد وجدت على أحد جدران قبر "ابى" بطيبة من عصر الدولة الحديثة صورة تمثل جني العنب وعصره تمهيداً لصنع النبيذ (شكل ١٢٦).



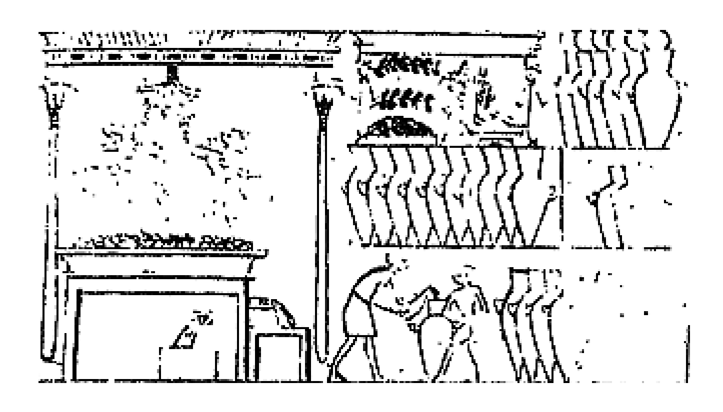
(شكل ١٢٦) .. جني العنب وعصره تمهيداً لصنع النبيذ.. قبر "ابى" بطيبة– عصر الدولة الحديثة

وقد اتخذت المعاصر في هذا العصر شكل اً مريحاً إذ كان العمال يمسكون بحبال يستندون إليها مما سمح لهم بأن يكونوا أكثر حرية وانطلاقاً في حركاتهم. وكان النبيذ المعصور يسيل في قنوات إلى حوض كبير كما

يشاهد ذلك في صورة عثر عليها في قبر "نخت" (شكل ١٢٧) صورة أخرى في أحد قبور طيبة (شكل ١٢٨).



(شكل ١٢٧) ..جني العنب وعصره تمهيداً لصنع النبيذ وتعبئته في الجرار... قبر "نخت" بطيبة– عصر الدولة الحديثة

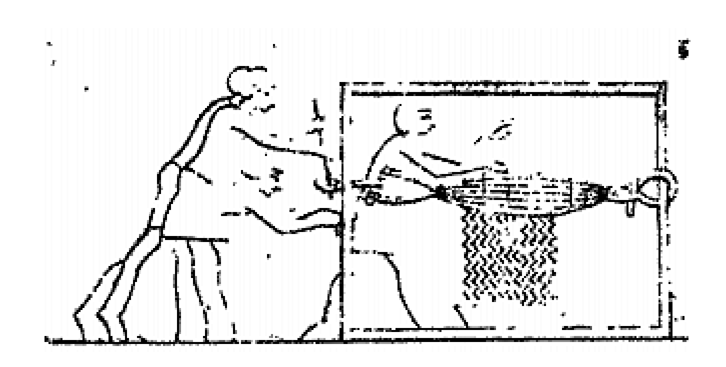


(شكل ١٢٨). عصر العنب بالأقدام تمهيداً لتعبئته في الجرار– أحد قبور طيبة (عن ولكنسون)

ومهما كانت عناية الرجال بهرس العنب بأقدامهم كان جانباً ليس بالضئيل من العصر الحلو يتبقى في حبات العنب المهروسة مما كان يستدعى استخدام وسائل أشد للحصول عليه من طريق إعادة عصرها بضغط بقية العنب المهروس مرة ثانية في كيس. فكانوا يملئون كيساً كبيراً

ببقية العنب ثم يربط ويلف بقطعة من القماش تعصر بعد خروجها من الماء ثم توضع عصوان في النقبين (العينين) اللذين يكونا في طرفي الكيس ويتولى أربعة رجال أشد لفة في اتجاهين مختلفين. وكانت على لفة للكيس تزيد من صعوبة العمل ومشقته وبعد ذلك يصبح الاستمرار في لف العصا أمراً مستحيلاً ويكون الكيس قد لف إلى أقصى حد ممكن حتى أن أي تراخ من العمال يجعله ينفك وينحل وحده. وفي هذه اللحظة الحاسمة يأتي رجل خامس لمعونة الأربعة الموجودين ويبعد العضوين أحداهما عن الأخرى بيديه ورجليه، عندئذ لا تذهب هذا المجهود الموحد المرهق عبثاً إذ سرعان ما يتدفق النبيذ في سيل قاتم اللون إلى الإناء الفخاري الموضوع تحته.

وفي عصر الدولة الوسطى بسطوا أيضاً هذه العملية. فكانت تنبت إحدى عروتي الكيس الملفوف على عمود قوي وبذا يتمكن رجلان من القيام بلف الكيس. ويبدو أن شخصاً ثالثاً كان يساعدهما أيضاً وذلك بضغطه على الكيس جيداً بيديه وتشاهد هذه العملية ممثلة على أحد جدران قبر "بانت" ببني حسن (شكل ١٢٩)



(شكل ١٢٩).. عصر العنب في الكيس.. قبر "بانت" ببني حسن– عصر الدولة الوسطى

النبيذ من الأواني الكبيرة وتربط ويحكم غلقها بسدادات الطمي ثم يقوم موظف الخزينة بختمها.

وكان الكتبة يقومون بتسجيل عدد جرار النبيذ المليئة. وتبعاً لبطء عملية عصير العنب في عهد المصريين القدماء ونظرا لارتفاع درجة الحرارة في وقت نضج المحصول تبدأ عملية التخمر قبل استخراج جميع ما يحتويه العنب من عصير فتترك الجرار مفتوحة دون أن تقفل حتى تقف عملية التخمر تماماً وإلا انفجرت تلك الجرار نتيجة لزيادة ثاني أكسيد الكربون بها. وعندما نقف عملية التخمر تسد فتحاتها بحشو الفوهات بورق العنب ثم يبني عليه إلى علو عشرة سنتيمترات بخليط من الطمي والتين. وقد وجد ذلك (ونلوك) في صوامع الرهبان بطيبة أو تقفل بسداد يغطى جميعه ورقبة الجرة وفتحتها بالطمي بالطريقة التي وجدها (كارتر) في قبر توت عنخ آمون أو بطرق أخرى تبعاً لأهمية النبيذ التي يحتويه تلك الجرار ولابد من قفلها بأسرع ما يمكن حتى لا يتعرض العصير إلى نوع آخر من التخمر. وأحياناً عندما تبطئ عملية التخمر يترك في غطاء الجرة خرم صغير ينفذ منه ثاني أكسيد الكربون الناتج من استمرار عملية التخمر حتى إذا ما انتهى التخمر يقفل هذا الثقب وقد شوهد ذلك في الجرار التي عثر عليها في قبر نوت عنخ آمون.

وقد عثر على أختام صغيرة من الطمي في قبور فراعنة الأسرتين الأولى والثانية عليها كتابات مثل "كروم القصر الملكي" يبدو أنها كانت تستخدم بطاقات لجرار النبيذ. وكان يطبع أيضاً في سدادة الطمي التي

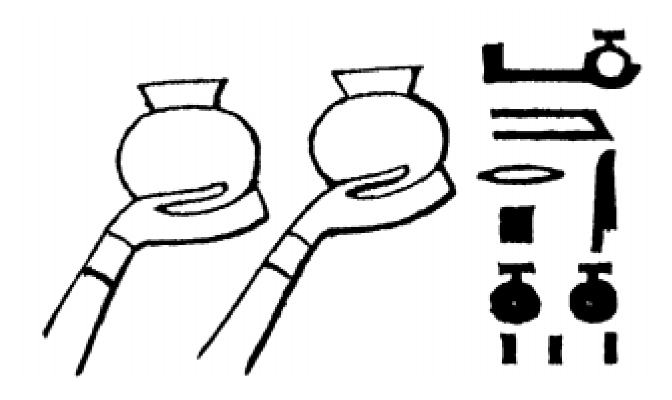
تغطى أفواه الجرار طابع عليه اسم المعبد أو القصر الذي وضعت جرار النبيذ في مخازنه وأقبيته وتحفظ فيها إلى أن (تعتق).

ونشاهد في الجرار غالباً التي عثر عليها في قبور عصر الدولة الحديثة كتابات بالمداد تبين أسماء الكروم والمشرفين عليها وبجانبها أيضاً نوع النبيذ والسنة التي عصر فيها. وكانت تستعمل في هذا المقام تعبيرات مثل "جيد. وجيد مرتين. وجيد ثماني مرات". وهذا يعني أنه في ذلك الوقت كان في استطاعة الذواقة الخبير أن يفرق مقدراً النبيذ المعتق وصفوة النبيذ الذي نجح في تخزينه.

وفيما عدا ذلك فقد اتخذ المصريون القدماء في عصر الدولة الحديثة– شأنهم في ذلك شأن اليونان والرومان– طريقة مزج عدة أنواع من النبيذ بعضها ببعض. فكانوا يملئون إناء كبيراً بثلاثة أنواع من الأنبذة مستعملين في ذلك ماصات (أنابيب). وتدل الزخارف التي تحيط بالجرار وقاعدتها على أن هذا المزج كان يحدث في وقت الاحتفال بالمأدبة نفسها.

ولم نعثر على جدران القبور بصور تمثل شرب النبيذ في عصر الدولة القديمة. على أنه في عصر الدولة الحديثة كان يشرب في أقداح أنيقة أو في كأس. ويوجد إبريق من الفضة من عهد الأسرة التاسعة عشرة له يد (عروة) تتخذ شكل جدي ينتصب واقفاً بجسمه مستنشقاً مستشما يمكننا أن نتصور أنه كان فيما سبق يملأ نبيذاً.

وكان النبيذ يستخدم لأغراض طبية ويقدم قرباناً للآلهة (شكل ١٣٠) ويعتبر معبد الشمس في أبي صير من عهد الأسرة الخامسة هو الوحيد الذي يمنع النبيذ.



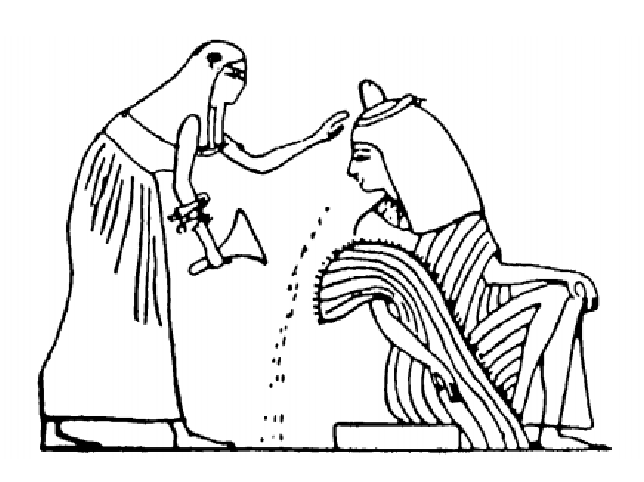
(شكل ١٣٠).. إناءان يحتويان على قرابين من النبيذ. (عن ولكنسون)

ونشاهد في صور حفلات عصر الدولة الحديثة أن النبيذ كان يقدم فيها للرجال والنساء على حد سواء. فإذا حان وقت الحفل استخرج عدد من الجرار ووضع في جانب من القاعة على قواعد من الخشب تزين بالأزهار ذات الرائحة الشذية ثم يتقدم الخدم من الفتيات والغلمان إلى الضيوف بأقداح النبيذ ومعها المناشف المصنوعة من الكتان الجيد.

وكان الخدم يدعون الضيوف منادين: "احتفلوا باليوم السعيد" يحثونهم على الاستمتاع بالوقت السعيد ويكرر المغنون نفس النداء بلا انقطاع كختام لأغانيهم فيرتفع صوت رجل بالغناء أمام الضيوف المنتشين قائلاً: "احتفلوا باليوم السعيد بنفس مرحة وقلب مفعم بالفرح والسرور".

وكان الضيوف– عندما يستمعون إلى هذه النصائح التي تحثهم على الاستمتاع بالحياة قبل أن يفاجئهم الموت فيضع حداً لكل لذة وبهجة– يسرون عن أنفسهم بالنبيذ. وأخيراً يحدث ما لابد منه في كل حفل "فيسود المأدبة هرج ومرج من الإفراط في الشراب". ولم يكن النساء يتخلفن عن الإفراط في تعاطي الشراب. فهن عندما يرفضن الكأس المقدمة إليهن كما يبدو من الصور قد انتشين وذهبت الخمر بعقولهن. فنشاهد إحدى السيدات منهن وقد جلست القرفصاء على الأرض في حالة يرثى لها. وقد انحسر ثوبها عن كتفها تستدعي الخادمة العجوز على عجل ولكنها للأسف تصل بعد فوات الوقت بعد أن تكون قد أفرغت ما في جوفها. وقد خلدت ذكرى هذه الصورة على أحد جدران قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة (شكل ١٣١).

وقد عهد إلى الكاتب "الِيني" مرة بالتفتيش على كروم معبد آمون بمدينة رمسيس بالدلتا وبتسليم النبيذ الذي تم عصره. فقام بتنفيذ الأمر ورفع لرئيسه التقرير الآتي عن رحلته:



(شكل ١٣١) .. سيدة في حفلة أفرطت في شرب النبيذ. أحد قبور طيبة– الأسرة العشرون

"بيان لسيدي عن مقدار النبيذ الذي وجدته مختوماً بواسطة رئيس البستانيين (زاتيرى): ألف وخمسمائة قدر نبيذ غير مخمر وخمسون سلة رمان وخمسون سلة عنب وستون إناء. وقد حملها في قاربي الثيران الخاصة ببيت سيتي الثاني الخالد ملايين السنين في معبد آمون وأبحرت بها إلى مدينة (بيت رمسيس الثاني) وسلمتها لسيدي الموظف المختص ببيت سيتي الثاني الخالد ملايين السنين في معبد آمون. وإني أكتب هذا لكي يحاط سيدي علماً بذلك".

ويذكر (هردوت) أن الكهان كان يصيب كل واحد منهم يومياً كمية كبيرة من لحم البقر والأوز وتقدم لهم خمر مصنوعة من العنب.

وفي العصر اليوناني الروماني اشتهرت عدة مدن بصناعة النبيذ مثل مريوط وسمنود وتانيس (صان الحجر) ومندس (تل العصر دقهلية) والفيوم وقفط وأسوان.

نبيذ البلح (العرقي)

كانت ثمار البلح دائماً ذات قيمة خاصة عند المصريين القدماء واستخرجوا منها نوعاً من نبيذ البلح يسمونه في مصر العليا (عرقي) وتشتهر بصناعته حتى اليوم بعض بلاد محافظة قنا مثل نعادة ويستخدم في العقاقير الطبية لاسيما في الملينات كما يستخدم شراباً.

ويذكر (هردوت) و(ديودور) أن نبيذ البلح كان يستخدم في تنظيف جثث الموتى. ولكن ليس هناك أي دليل مادي على ذلك سوى ما ذكره (وارن دوسون) Warren Dawson من احتمال وجود مادة كحولية في بعض أنسجة الجثث المحنطة وربما كان ذلك معززاً لرأي هردوت وديودور. وقد ورد ذكره في (متون الأهرام) من عصر الدولة القديمة.

صناعة الفاكهة المجففة

برع المصريون القدماء في تجفيف الفاكهة وحفظها لاستعمالها وقت الحاجة. وأهم أنواع الفاكهة المجففة التي عثر عليها في القبور هي العنب والبلح والتين والجميز والنبق وحب العزيز. وتحتوي موائد القرابين على أنواع مختلفة منها كانت تقدم قرباناً للآلهة والموتى بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة.

العنب:

كان القوم يعرفون طريقة تجفيف ثمار العنب ويصنعون منه الزبيب وقد عثر على كميات كبيرة منه بين قرابين الموتى وكانوا يسمونه "شب" أو "ايشب". وعثر على زبيب من النوع الأسود في قبر توت عنخ آمون محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي كما عثر على زبيب ضمن القرابين في أحد قبور هوارة بالفيوم من العصر اليوناني الروماني.

البلح:

استخدم المصريون القدماء طريقتين لحفظ ثمار البلح: إحداهما بسيطة وهي تجفيفه والأخرى حفظ كمية منه في كتلة واحدة وضغطها وهي تشبه (العجوة) الحالية وكانت تؤكل أما مطبوخة وأما كنوع من الحلوى.

وتحفظ (العجوة) في الواحات الخارجة في أكياس من جلود الماعز والأرانب البرية. وقد أمكن بهذه الطريقة حفظها مدة طويلة ويسمى هذا الكيس في الواحات (عجلة) ولعلها أصل كلمة (عجوة) التي نستعملها اليوم.

وقد وجدت سلة من سعف النخيل (رقم **٣٩٨٩٧**) تحتوي على ثمار يرجح أنها بلح (عجوة) محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة كما وجد بلح مجفف في أحد قبور طيبة من عصر الدولة الحديثة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

الجميز:

عرف القوم تختين ثمار الجميز حتى نزداد حلاوته. وكانوا يأكلونه ويحفظون ما يتبقى منه بعد ذلك. وقد عثر على بعض الثمار المختننة وغير المختننة في كثير من القبور.

التين:

يعتبر التين من أهم الفاكهة التي كان المصريون القدماء يأكلونها طازجة ويجففون منها ما يزيد عن حاجتهم للانتفاع بها وقت الحاجة. وهم أول من عرفوا طريقة حفظ التين وطبخه وكبسه وهو ما يتبع في سوريا اليوم. وقد عثر على ثمار منه مجففة في أحد قبور دير المدينة بطيبة من عهد الأسرة التاسعة عشرة.

النبق:

كانت ثمار النبق تؤكل طازجة. وقد عثر على بعض الثمار المجففة في قبر توت عنخ آمون ومدينة هابو بطيبة من عصر الدولة الحديثة وفي الشيخ عبادة من العصر القبطي.

حب العزيز:

كانت ثمار حب العزيز تؤكل كفاكهة. وقد حفظ القوم بعضها وعثر على الكثير منها في القبور بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي.

صناعة الزيوت

كان المصريون القدماء في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة من الزيوت لاستخدامها في الطعام والتدليك والدهون الزكية الرائحة والعطور والإضاءة والتلوين والطقوس الدينية والطب. وكان التدليك بالزيت واستخدامه ممزوجاً بغيره له أثره الظاهر في الطب المصري القديم يدل على ذلك كثرة وروده في القراطيس البردية في مختلف العصور. ولا يزال للزيت أهمية قصوى ويستخدم في نفس الأغراض التي استخدم من أجلها قديماً كما يستعمل حتى اليوم في أداء بعض الطقوس الدينية في الكنائس (المسيحة المقدسة) ففيه شفاء للناس.

وأهم الزيوت المعروفة هي زيت الكتان والخس والقرطم والسمسم والخروع والهجليج والحنظل والزيتون.

وكانت البذور تطحن وتعصر وتصفى ثم يستخرج منها الزيت ويوضع في أوان حجرية وبخاصة المرمر حتى لا يكون قابلاً للرشح ثم يخزن

بعد ذلك لحفظه في أماكن ملائمة. ولا تزال المعاصر البلدية في مصر تتبع الطريقة القديمة في استخراج الزيت.

ويعتبر الزيت– واسمه بالهيروغليفية "مرحت"– من أهم القرابين التي قدمت للموتى منذ عصر الدولة القديمة. وكانت أواني الزيوت توضع في المعابد عادة بينما وضعت في القبور بجوار أواني السوائل المقدسة عند قدم الميت.

وكان المصريون القدماء الذين يعيشون حول المستنقعات يستخدمون زيتا يستخرجونه من ثمار الخروع ويسمونه "كيكي" وقد كثر في عصر الدولة الحديثة نظراً لاتساع التجارة ولم يثبت أنهم سموه "كاكا" كما جاء في قاموس برلين. وقد ذكر له القاموس المذكور اسمين مختلفين في غير تأكيد ويرجح أن اسم دجم هو الاسم الصحيح.

ويذكر (هردوت) أن زيت الخروع كان يصنع بهذه الطريقة: "يبذرون الخروع على شواطئ الأنهار وحافات البحيرات والنوع الذي يبذر في مصر يحمل ثماراً كثيرة ولكنها كريهة الرائحة. وعند جمعها يكسرها البعض ويعصرونها والبعض الآخر يحمصونها ويغلونها ويجمعون ما يتقطر منها".

ورغم أن الزيتون كان يزرع بكثرة إلا أن كميات كبيرة من الزيوت الأجنبية كانت ترد من أقاليم آسيا الصغرى في عصر الدولة الحديثة لاستخدامها في الأغراض المختلفة الزيوت المستخرجة من خشب الأرز وثمار العرعر والصنوبر واللوز.

وقد ورد ذكر (الزيت الأخضر الحلو) ضمن أنواع الواردات من سوريا فلسطين وكان هناك نوع آخر من الزيت أحمر اللون يورد للمعابد بكميات قليلة.

وأهم الزيوت الأجنبية التي عثر على أسمائها هي:

١- "حكنو" Heknw أو "زنتو" أو "جنتو" Jetnw وبالقبطية "جويت" Joyte وبالعبرية "زيت". ويرجح أن لفظه زيت هي أصل الكلمة المستعملة اليوم.

٢- "حاتت. نت. عش" Hatet.Net.Ash وهو زيت الأرز.

٣- "حاتت. نت. تحنو" Hatet. Net.Tehhny وهو زيت ليبيا.

٤- "سكت. حب" Seket.Heb

٥- "نشمن" أو "نخمن"

٦- "نوا. أوت". Twl Wl

٧- "سفت" Sefet

الصباغة:

وأقدم ما عرف من الآثار المصبوغة كان منذ عصر ما قبل الأسراب. فقد عثر على حصيرة صبغت حافتها باللون الأحمر ولا يعرف عن طبيعة تلك الأصباغ إلا القليل. ويذكر (لوكاس) أنه ما دامت الأصباغ (مشتقات الأنيلين) لم تعرف إلا حديثاً فمن المؤكد أن الأصباغ المصرية القديمة كانت من الأصباغ الطبيعية أي المستخرجة من البيئة المصرية نفسها.

وقد عثر على برديتين باللغة اليونانية (من القرن الثالث أو الرابع الميلادي) فيهما وصف دقيق لعملية الصباغة وطبيعة الأصباغ المستخدمة في ذلك الوقت إحداهما في متحف ليدن والأخرى في متحف استكهلم وورد فيهما ذكر خمسة أصباغ رئيسية هي:

١– صبغة الأرخيل: Orehil, Arehil

وهي أرجوانية تستخرج من بعض الطحالب البحرية التي توجد على صخور البحر الأبيض المتوسط.

٢– القانت: Alkant

وهي صبغة حمراء تستخلص من جذور نبات حناء الغول.

٣- قوة الصباغين: Madder

وهي صبغة حمراء تستخلص من جذور نبات الفوة.

٤- القرمز: Keemes

وهي صبغة حمراء تستخلص من أثاث الحشرات القرمزية المجففة. Coeeus Uieus التي توجد على شجرة البلوط الدائم الخضرة وهو ينمو في منطقة شمال أفريقيا وفي الجنوب الشرقي لأوروبا.

٥- النيلة البرية: Waul

وهي صبغة زرقاء تستخلص بالتخمير من أوراق شجرة النيلة البرية واستخدمت منذ عهد الأسرة السادسة وكانوا يحصلون على خلاصة هذه النباتات الصبغية بالتخمير أو التسخين كما استخدموا طريقة (الخوابي) وهي إناء عميق في الأرض مبطن بالملاط توضع فيه خلاصة الصبغة ثم تخمر ويصبغ بها الخام على عدة دفعات إلى أن يحصل الصباغ على اللون المطلوب.

وقد أجرى العلماء عدة تجارب لمعرفة ما إذا كانت الألوان التي استخدمت في صباغة المنسوجات ثابتة من عدمه فغسلوا بعض المنسوجات الملونة وعاملوها بالأحماض فلم يؤثر فيها الغسيل أو الأحماض مما يدل على أن المصريين القدماء كانوا يعرفون أصول الكيمياء وقد أمكنهم أن يصنعوا أصباغاً لا تؤثر فيها الأحماض.

وقد تكلم (بليني) عن الصباغة فقال: "رأيت المصريين ينقشون الأقمشة بطريقة في غاية البساطة ولم أرهم يستخدمون الألوان للصباغة بل المواد التي تزيل الألوان والنقوش. فهم يضعون الأقمشة في سائل ساخن مركز بالمواد الكيميائية ثم يستخرجونها منه وقد أكسبت لوناً بعد برمة وجيزة تبدو عليها أشكال ورسوم في غاية الإبداع.

وكانت صباغة الملابس بالألوان قاصرة على المنسوجات الخشنة. أما المنسوجات الدقيقة فكانت تخلو تقريباً من الألوان والتنسيق منذ عصر الدولة القديمة.

الدباغة:

يبدو تفوق لمصريين القدماء في دبغ الجلود مما عثر عليه في القبور وبخاصة في بني حسن من عصر الدولة الوسطى.

وأهم الألوان التي استخدموها في تلوين الجلود المدبوغة الأخضر والأحمر والأصفر وكانوا يعالجونها بالزيت أو بالمواد الأخرى ويزال الشعر منها حتى تصبح لينة.

وقد ذكر (ولكنسون) نباتاً ينمو في الصحراء لا يزال البدو يستخدمونه لإزالة الشعر يسمى كما ذكر (ثيوفراست) و(بليني) أن المصريين استخدموا ثمار شجر السنط (القرظ) Aenein nilotiea Willd. في دبغ الجلود بدلاً من العفص ولا تزال هذه الطريقة تستخدم في السودان حتى اليوم.

الباب الثامن

التراث النباتي

تقديس النبات:

كان المصريون القدماء يقدسون بعض أنواع النباتات. وقد اعتبروا القمح والشعير مقدسين لصلتهما بأوزيريس إله الزراعة والإنبات. وكان الخبز مقدساً ويقدم قرباناً للآلهة. أما الكتان فقد قدس لأن أوزيريس قد كفن به بعد موته وأي شيء يتصل بالآلهة فهو مقدس في عقيدة المصريين القدماء. كما قدست أشجار الجميز لأن أرواح الموتى كانت تستظل بظلها وتتغذى بثمارها. وهناك أشجار وأزهار أخرى اعتبروها مقدسة كالبرساء والنخيل واللوتس والبردي وغير ذلك.

ولا تزال بعض عاداتنا تستمد أصولها من المصريين القدماء مثل توزيع الفطائر والخبز في الأعياد رحمة على أرواح الموتى.

وأثر تقديس النباتات لا يزال ماثلاً بيننا في كثير من الأسماء حتى اليوم مثل نخلة وعجوة وبطيخ وبصل وفقوسة وخوخة وملوخية وكراوية وحمص وزيتون وعنبر وريحان ونرجس وزهرة ووردة وفلة وسوسن وياسمين!

تاريخ الاكتشافات النباتية:

تمكن كثير من العلماء من دراسة النباتات المصرية القديمة من المتون والنقوش والصور التي عثر عليها على جدران القبور والمعابد.

وذكر (رينو مثلر) Rino Mushler في كتابه "النباتات المصرية" أن تاريخ الاكتشافات النباتية في مصر يبدأ من عام ١٧٦١ عندما زار العالم (فورسكال) Forskal مصر وينتهي في عام ١٨٦٧ وهو العام الذي وضع فيه (أشرصن) Ascherson و(شفينفورت) Schweinfürth كتابهما عن النباتات. وزار مصر في هذه الحقبة كثير من علماء النبات للدرس والبحث.

ولا جدال في أن (فورسكال) أول من جمع بيانات كثيرة عن النباتات ودونت بعد وفاته في كتاب يسمى "النباتات المصرية العربية) Flora Aegyptiaco- Arabiea وتحتوي على وصف لكثير من النباتات المجهولة وبعض صورها.

وزار العالم النباتي (دليل) Dehle مصر عام ١٧٩٨ وجمع كثيراً من النباتات المصرية ووضع صورها في أطلس النباتات المسمى النباتات المصرية Flore d Egypte كما وصفها في كتاب اسمه "النباتات المصرية المصورة" Florae Aegyptineae Illustratio وكان من نتائج الكتابين أن شرع كثير من علماء النبات في البحث والاستقراء.

وظهر كتاب (أشرصن) و(شفينفورت) من النباتات في عام ١٨٦٧ ويحتوي على بحوث واكتشافات العلماء الذين سبقوهما ثم ظهر لهما بعد ذلك كتاب اسمه ويحتوي على وصف ١٢١٢ (ألف ومائتا واثنا عشر) يوماً من النباتات.

وقد أظهر (شفينفورت) كثيراً من خفايا تلك النباتات. ولولا الجهود التي بذلها في هذا الشأن لما تمكن معرفة معظم هذه النباتات. وقد تمكن من تعريف نحو مائتي نبات عثر عليها في القبور وأعد قائمة بأسمائها وشرحها.

وجاء بعده علماء آخرون بحثوا في النباتات المصرية القديمة. وظهر بعد ذلك كتاب آخر للعالم (سنكسرجر) Siekenberger وقد اعتمد (فيكتور اورته) V.Loret على هذه الكتب وبعض كتابات المؤرخين مثل ثيوفراست وبليني وديوسفورندرس وهردوت وبترى ومسبرو وغيرهم في وضع كتابه "النباتات الفرعونية" La Flore Pharaonique

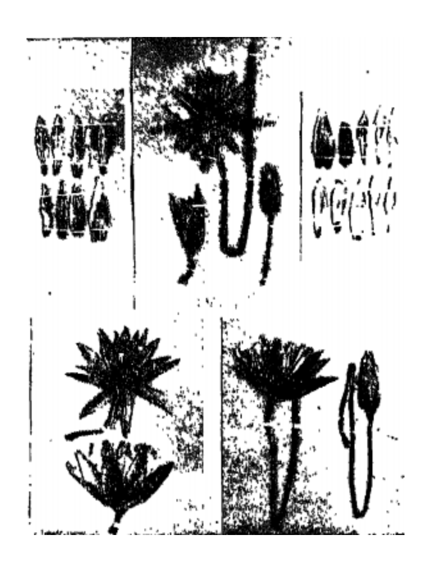
مجموعة "شفينفورت" النباتية:

وأحسن مجموعة لهذه النباتات النادرة تلك التي قام بتعريفها وتنسيقها العالم النباتي (شفينفورت) في المدة ما بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٨٨. وهي تضم بعض النباتات التي كانت تدخل في صناعة الأكاليل والباقات الجنائزية وأهمها أوراق أشجار البرساء والصفصاف والجميز والعنب وأزهار البشنين الأبيض والأزرق (اللوتس والعنبر والأقحوان والقرطم والسنط وورد الزينة والكرفس والشعير المستنبت. وقد عثر على

بعضها مع بعض مومياوات فراعنة وأشراف الأسرتين العشرين والحادية والعشرين عندما أعيد تكفين كثير من المومياوات لإخفائها في مخبأ بالدير البحري بطيبة بسبب التلف الذي أصابها من جراء الثورات التي نشبت في أواخر عصر الرمامسة. وقد ظلت هذه المومياوات منذ ذلك الحين في مأمن من العبث إلى أن اهتدت إليها مصلحة الآثار المصرية في عام ١٨٨١.

وتعتبر هذه المجموعة النادرة– وهي محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي– من أهم المراجع لتعريف بعض النباتات المصرية القديمة وفيما يلي بيانها:

٣٣٠٣– أزهار وسبلات وبتلات زهرة اللوتس الأزرق. عثر عليها في تابوت رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة (شكل ١٣٢).



(شكل ١٣٢).. أزهار وسبلات وبتلات زهرة اللوتس الأزرق. من تابوت رمسيس الثاني– الأسرة التاسعة عشرة. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

٣٣٠٤- أجزاء من أوراق أشجار البرساء والصفصاف وبتلات اللوتس الأزرق وورد الزينة. عثر عليها في تابوت أحمس الأول من الأسرة الثامنة عشرة.

٣٣٠٥- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر البرساء وبتلات اللوتس الأبيض. وعثر عليها في تابوت رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة.

٣٣٠٦- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أزهار العنبر وأوراق شجر الصفصاف. عثر عليها في تابوت "نزى. خنسو" بطيبة من الأسرة الحادية والعشرين.

٣٣٠٧- بقايا أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر البرساء. عثر عليها مع مومياء في قبر "نفرت. سخرو" بطيبة من العصر اليوناني الروماني.

٣٣٠٨- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر الصفصاف وأزهار الحلوان. عثر عليها في تابوت "نزى. خنسو" بطيبة من الأسرة الحادية والعشرين.

٣٣٠٩- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق حجر الصفصاف وبتلات اللوتس الأزرق وأزهار السنط والقرطم وورد الزينة.

عثر عليها مع مومياء أمنحتب الأول في مخبأ بالدير البحري بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة.

٣٣١٠- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق الحنظل. عثر عليها في مخبأ بالدير البحري بطيبة من الأسرة العشرين.

٣٣١١- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر البرساء وسبلات وبتلات اللوتس الأزرق. عثر عليها مع مومياء رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة.

٣٣١٢- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر الصفصاف وبتلات اللوتس الأزرق. والسبسبان وورد الزينة وزهر العائق. عثر عليها في تابوت أحمس الأول من الأسرة الثامنة عشرة.

٣٣١٣- أجزاء من أكاليل جنائزية من أوراق شجر الصفصاف وأزهار شجر السنط وورد الزينة. عثر عليها في تابوت رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة.

٣٣١٤- أجزاء من أكاليل من شجر الصفصاف وأزهار السنط وورد الزينة. عثر عليها في تابوت أمنحتب الأول من الأسرة الثامنة عشرة.

٣٣١٥- أغصان من شجر البرساء والزيتون بسقف النخيل والدوم. عثر عليها ضمن قرابين مختلفة في أحد قبور الجبلين من العصر البطلمي.

٣٣١٦ و٣٣١٧– أغصان من شجر الجميز. عثر عليها مع مومياء الشريف "كنت" بالسبخ عند القرنة بطيبة من الأسرة العشرين.

٣٣١٨– أزهار اللوتس الأزرق. عثر عليها مع مومياء رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة (١٣٣).



(شكل ١٣٣).. أزهار اللوتس الأزرق.. من تابوت رمسيس الثاني– الأسرة التاسعة عشرة..(قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

٣٣١٩– أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر البرساء وسبلات وبتلات اللوتس الأزرق. عثر عليها مع مومياء رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة.

٣٣٢٠- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق شجر البرساء وسبلات وبتلات اللوتس. عثر عليها في تابوت الشريف "نزى. خنسو" بطيبة من الأسرة الحادية والعشرين.

٣٣٢١- أغصان البرنوف. عثر عليها في تابوت أمنحتب الثاني من الأسرة الثامنة عشرة.

٣٣٢٢- أجزاء من أكاليل جنائزية مكونة من أوراق الصفصاف وأزهار الخشخاش. عثر عليها في تابوت "نزى. خنسو" بطيبة من الأسرة الحادية والعشرين.

٣٣٢٣- غصن من شجرة الجميز. عثر عليه مع مومياء الشريف "كنت" بطيبة من الأسرة العشرين. (شكل ١٣٤).



(شكل ١٣٤)..غصن من شجرة جميز. طيبة- الأسرة العشرون.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

٣٣٢٤- غصن من شجرة الزيتون. عثر عليه في تابوت بأحد قبور الجبلين من العصر اليوناني الروماني. (شكل ١٣٥).

٣٣٢٥- بقايا من ورق العنب. عثر عليها في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة.

٣٣٢٦- تيجان من الأقحوان كانت ضمن أكليل جنائزي لمومياء. عثر عليها في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بطيبة (شكل ١٣٦).



(شكل ١٣٥)

غصن من شجرة زيتون

الجبلين- العصر اليوناني الروماني

(قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)



(شكل ١٣٦)

تيجان من الأقحوان

طيبة– عصر الدولة الحديثة

(قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

٣٣٢٧– أغصان من شجرة البرساء. عثر عليها في أحد قبور الجبلين من العصر اليوناني الروماني (شكل ١٣٧).



(شكل ١٣٧) .. أغصان من شجرة البرساء. الجبلين– العصر اليوناني الروماني.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

٣٣٢٨- أغصان من شجرة الزيتون. عثر عليها في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة (شكل ١٣٨).

٣٣٢٩- أوراق وأغصان كرفس بري كانت ضمن أكليل جنائزي. عثر عليها على صدر الشريف "كنت" بطيبة من الأسرة العشرين (شكل ١٣٩).

٣٣٣٠- أكليل جنائزي مكون من أوراق الكرفس البري وأزهار وبتلات اللوتس الأزرق. عثر عليه على صدر الشريف "كنت" بطيبة من الأسرة العشرين.

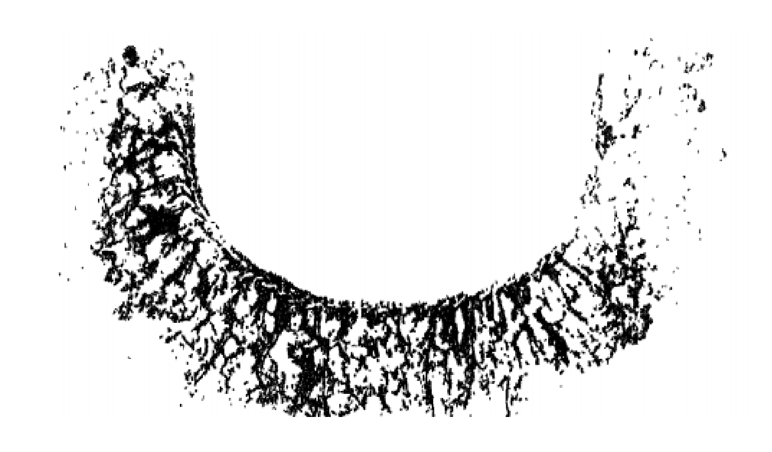


(شكل ١٣٨) غصان من شجرة الزيتون.

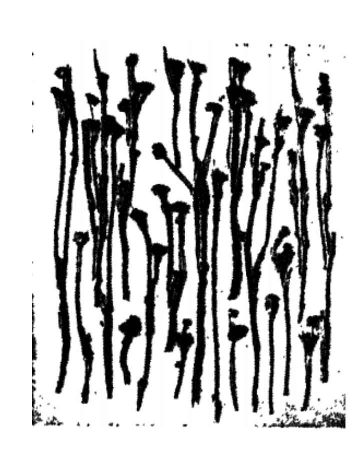
أحد قبور دراع أبو النجا

بطيبة- عصر الدولة الحديثة

(قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)



(شكل ١٣٩) .. قلادة من أوراق وأغصان الكرفس البري.. طيبة– الأسرة العشرون.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)



(شكل ١٤٠) .. أغصان الكروان.. عثر عليها في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة .. طيبة– عصر الدولة الحديثة (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

٣٣٣٢– تيجان من العنبر وجزء من أكليل جنائزي. عثر عليها في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة.

٣٣٣٣- أكليل جنائزي مكون من حبوب الشعير المستنبت. عثر عليه حول عنق الشريف "كنت" بطيبة من الأسرة العشرين (شكل ١٤١).

٣٣٣٤- أغصان وأوراق شجرة البرساء كانت ضمن حزمة من القرابين. عثر عليها في أحد قبور دراع أبو النجا بطيبة من عصر الدولة الحديثة (شكل ١٤٢).



(شكل ١٤١) .. أكليل جنائزي من حبوب الشعير المستنبت رمز بعث الإله أوزيريس.. طيبة- الأسرة العشرون.. (قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)



(شكل ١٤٢) .. أغصان وأوراق شجرة البرساء

طيبة- عصر الدولة الحديثة

(قسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي)

الباب التاسع

الآفات الزراعية

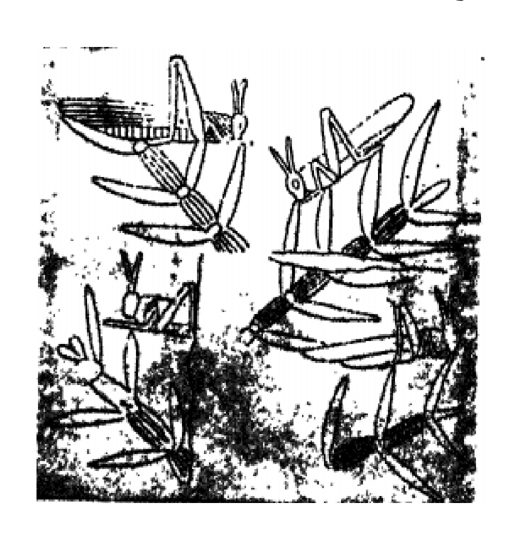
أولاً- الحشرات

لا ريب أن نقوش الآثار والكتب المقدسة حافلة بذكر الحشرات التي كانت تفتك بالمحاصيل الزراعية فتكاً ذريعاً. وكان الفلاح المصري القديم يشكو منها كما يشكو الفلاح اليوم. وأهم هذه الحشرات الجراد والدود والسوس.

الجراد:

عرف المصريون القدماء نوعين من الجراد: أولهما الجراد المصري Anaeradium aegyptium وثانيهما الجراد الرحال (الصحراوي) Sehistoeera gregaria Forsk. ويذكر (ل. كيمر) أن الجراد كان يكثر في المزارع. وقد وجدت صورة على جدران قبور "بتاح. حتب" بسقارة من الأسرة الخامسة و"مرروكا" و"كاجمنى" من الأسرة السادسة وفي مصطبة "سشم.نفر" بالجيزة كما عثر على صورة أخرى له وهو يلتهم نباتات من عصر الدولة القديمة (شكل ١٤٣) وعلى بعض جدران قبور عصر الدولة الوسطى. ونشاهد أيضاً صور الجراد وهو يطير في اتجاهات مختلفة على أحد جدران قبور "نخت" بطيبة من عصر الدولة الحديثة كما

نشاهد صورة جرادة على شجرة جميز على أحد جدران حجرة الزراعة بمعبد الكرنك من عهد تحتمس الثالث. وقد شوهدت صور الجراد على أحد المصاطب بتل العمارنة من عهد أخناتون. وعثر على جعلان كثيرة عليها نقوش للجراد معظمها من الأسرة الثامنة عشرة كما عثر على صور أخرى له على أحد جدران قبور طيبة من عهد الرمامسة وعثر أيضاً على مشط تعلوه جرادة في أحد قبور دير المدينة بطيبة محفوظ في المتحف الملكي للفن والتاريخ ببيروكسل وعلى صورة أخرى



(شكل ١٤٣).. جراد يلتهم نباتات.. عصر الدولة القديمة

لجرادة وهي تلتهم أحد النباتات على أجزاء من مصابيح الفخار من العصر الروماني.

وقد عثر على حبات من الحلي كالأقراط والقلائد في هيئة جراد. وأقدم ما عثر عليه من هذا النوع تميمة في هيئة جرادة من حجر الستياتيت

مغطاة بلون أخضر دقيقة الصنع من الأسرة السادسة يرجح أنها استخدمت كخاتم. وهناك في متحف برلين نماذج للجراد من الخزف الأزرق من عصر الدولة الحديثة.

وتوجد شطفة من الحجر الجيري عثر عليها في أحد قبور دير المدينة بطيبة من نفس العصر عليها رسم رجل يطارد جرادة محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة (شكل ١٤٤).

وقد شبهت رأس الجرادة برأس الأسد أو برأس الإنسان أو المعبود "بس" كما جاء في التوارة (سفريوئيل النبي– الأصحاح الأول عدد ٢٦): ".. إذ قد صعدت على أرضى أمة قوية لا عدد لها– يقصد



(شكل ١٤٤).. رجل يطارد جرادة.. أحد قبور دير المدينة بطيبة– عصر الدولة الحديثة

الجراد- أسنانها كأسنان الأسد ولها أضراس اللبؤة" كما ذكر الجراد في (سفر الرؤيا- الأصحاح التاسع عدد ٣- ١١): بأنه أعطى سلطان أن يعذب الناس كما لو لدغت عقرب إنساناً.

والجراد هو أحد الضربات السبع التي ضربت بها مصر في أيام سيدنا موسى عليه السلام. فقد جاء ذكره في التوراة (سفر الخروج- الأصحاح العاشر عدد ٥- ٣٠) أنه كان كثيراً جداً حتى غطت أسرابه وجه الأرض وأظلمت وأكل جميع العشب والثمار ولم يبق شيء أخضر في الأرض.

وذكر الجراد أيضاً في القرآن الكريم {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ}[الأعراف:١٣٣].

وقد احتل الجراد جانباً كبيراً من تفكير القوم. وكان الفلاح يشكو مر الشكوى من غارات أسراب الجراد الرحال على وادي النيل حيث كان يسبب خسائر فادحة ويلتهم الأخضر واليابس وكثيراً ما سبب القحط والمجاعات طوال عصور التاريخ. وقد شكا أحد الفلاحين القدامى إلى مولاه ما أصاب زراعته من الخسائر. ويقول الذي عثر عليه في قرطاس "سالبير وانسطاس" البرديين: "وامتلأت الحقول بالفئران ونزلت فيها أسراب الجراد والتهمت الماشية ما فيها وسرقت الطيور منها فوحسرتاه على الفلاح وما بقي له من حبوب على أرض الجرن قد سرقها اللصوص".

وكان في مصر عدوان للجراد هما ابن آوى وطائر الكركي. وكان ابن آوى يسير في السهول باحثاً عما به ويفرح لرؤية أسراب الجراد الصحراوي فينقض عليها ويتغذى بها. ويذكر (ولكنسون) أن الكركي كان يطارد الجراد ويبيده لذا اعتبراه من الطيور المقدسة.

ويظن أن المصريين القدماء قد استخدموا الجراد الصحراوي غذاء لهم فهو طعام كامل القيمة الغذائية وفي ذلك غذاء لا شعورياً لحاجة أجسامهم للبروتينات والدهون ولا ريب أن الحشرات آكلة النباتات هي أنطف الحشرات قاطبة. ولا تزال بعض البلاد في جنوب الجزائر ومناطق مختلفة في أفريقيا وأهل البدو على شاطئ البحر الأحمر العرب وغيرها من مختلف البقاع تأكل الجراد حتى اليوم.

الدود:

وقد ورد ذكر الدودة أيضاً ضمن الحطاب سالت الدم التي وجهه أحد الفلاحين القدامى إلى مولاه شاكياً فيك الدودة وما أصاب زراعته في ذلك العام من خسائر فادحة. يقول الدودة الفارضة حيث كانت منتشرة في مصر فئران كثيرة نزلت فيها أسراب الجراد كما أن أكلت منها والعصافير سرقت".

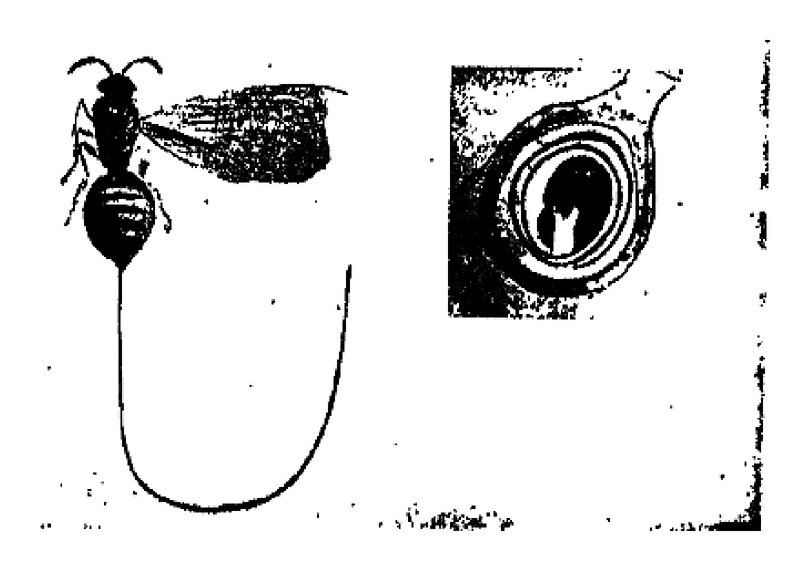
وقد عثر على قراطيس من البردي في أحدها ميسور ملكي يقول فيه "إن الدودة أكلت معظم المحصول بسبب إهمالهم في مقاومتها ويجب عليهم أن يبذلوا الجهد في ذلك لمكافحتها وتخفيف".

السوس:

كان السوس يصيب بعض الحبوب ويسبب لها خسائر جسيمة. وقد عرف المصريون القدماء طريقة تحميص الحبوب وحفظها في المخازن وقاية لها من السوس ومن المؤثرات المختلفة.

حشرة الجميز:

يقول (كيمر) أن المصريين القدماء كانوا يعرفون تختين ثمار الجميز. أي أن أحد الأشخاص يتسلق الشجرة ويأخذ مطواة أو آلة قاطعة نظيفة ويقطع بها قطعة صغيرة من كل ثمرة ويشقها شقاً ويتسبب عن هذه العملية خلال يومين أو ثلاثة أن تصبح حمراء اللون حلوة المذاق (شكل ١٤٥). أما الثمرة التي لا تقطع فيكبر حجمها وتكبر في داخلها البذور وتقل فيها الحلاوة نسبياً مما يبين إلى أي حد بلغت مهارة العامل الذي يصعد إلى الشجرة ويعالج كل ثمرة بآلته الحادة.



(شكل ١٤٥).. صورة تمثل حشرة داخل ثمرة جميز وزنبار بخوض عضوي التذكير والتأنيث

ومن المعروف في علم النبات أن هناك مبيضاً هو عضو التأنيث ينتج نتاجه بواسطة التلقيح وأن ثمرة الجميز عبارة عن حوض يجمع فيه عضوا التذكير والتأنيث وفيه يتخذ العضوان مكانين مختلفين. ويحدث بينما ثمرة الجميز ما تزال صغيرة جداً أن نضع حشرة صغيرة بيضها داخل الثمرة وذلك بواسطة زنبورها الطويل ونتكون هذه الثمرة من حشرات دقيقة ومن مجموعة من (الدبابير) فتدخل هذه الجزيئات بويضاقما في داخل الثمرة بواسطة ما عند هذه المركبات من (بريمة) طويلة خاصة بها. على أن هذه (البريمة)- وهي العضو الذي تستخدمه الحشرة الأنثى في اختراقها المواد الجامدة لتضع فيه بويضاقما- تكون قد اخترقت فعلاً الحوض الخاص بعضوي التذكير والتأنيث الذي تتكون منه الثمرة وتضع هذه (البريمة) في الحال أعداداً كثيرة من البويضات في داخل صفوف الفاكهة وتتجمع في الحوض. ولكن في حالة تطبيق العملية في الحوض الخاص بثمرة الجميز

تدخل في الحوض المذكور كمية من الهواء تعمل على جعل هذه الحشرات الدقيقة تضع بويضاتها بسرعة في الثمار الموضوعة في داخل الحوض. بمعنى أن هذه البويضات الداخلة تأخذ في النمو والإكثار.

ثانياً- أمراض النباتات

كثيراً ما كانت المصائب والنكبات تحل بالإنسان من جراء أمراض النباتات منذ فجر التاريخ. ولئن كان الإنسان قد قاسى من أهوال الأمراض الحيوانية التي تصيبه فإن الأمراض النباتية قد سببت له ما هو أشد وأنكي.

ويذكر العلماء أن أهم أمراض النباتات هو ما يتسبب عن كائنات دقيقة ميكروسكوبية مثل الفطر Fungl والبكتريا Bneteria والفيروس Virus والصدأ Rust الذي يصيب القمح والفول والكتان.

ومن الأمراض ما تسببه ديدان صغيرة رفيعة لا ترى بسهولة بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتها ويبدو شكل ها كالثعبان ولذلك سميت بالديدان الثعبانية التي تصيب كثيراً من المحاصيل.

وتتسبب معظم الأمراض النباتية عن كائنات حية دقيقة تشبه الميكروبات لا ترى إلا بالمجهر. وقد اكتشف العالم (زخاريز. جاسنز) Zacharics Jassens الميكروسكوب المركب في عام ١٥٩٠ فكان من الطبيعي إذن أن المصريين القدماء لم يكتشفوا تلك الكائنات التي كانت

تسبب الأمراض النباتية. وحتى هذا الميكروسكوب المركب أو ما جاء بعده من ميكروسكوبات لم تكن إلا مجرد أشياء غريبة أو ما يشبه الدمى.

وهناك ما يدل على أن اليونان والرومان كانوا يعرفون أنواعاً من عيش الغراب السام Poisonous Mushrooms. والثابت أنه لم يعثر على أي وثيقة في التاريخ المصري القديم عن الأمراض النباتية. ويمكن القول أن أمراض النباتات المعروفة في الوقت الحاضر لم تعرف إلا منذ عهد قريب.

غير أن (ف. ل. تأكلهم) تذكر في كتابها A Mummy Coffin in the Egyptian Museum, Stockholm and its Plant Remains. أن مرضاً اسمه Spharella Sp. (نوع من صدأ القمح وهو من الفطريات المتطفلة على النجيليات) قد كشف عنه ضمن بقايا بعض النباتات التي عثر عليها في تابوت به إحدى المومياوات الموجودة بالمتحف المصري باستكهلم من الأسرة الحادية والعشرين.

ويذكر (ستكمان) E.C. Stakman في كتابه Principles of Plant Pathology أن أمراض النباتات كانت معروفة منذ عصر ما قبل التاريخ ويستدل على ذلك بما ورد ذكره في الكتب السماوية من أن العالم قد مني بسبع سنين عجاف حدث فيها قحط بسبب قلة محاصيل الحبوب التي أصيبت بأمراض قضت عليها ومن أهمها مرض الصدأ الذي يصيب القمح.

كما يذكر (أرسطو) Aristolle الأمراض التي كانت تصيب التين والعنب والزيتون. وجاء بعده العالم النباتي (ثيوفراست) Theophrastus وهو من تلاميذ أرسطو– فذكر في كتابه Historia Plantarum الأمراض التي تصيب العنب والزيتون والنجيليات وروى أنها كانت شديدة الوطأة في اليونان وبخاصة أصداء محاصيل الحبوب التي كانت وبائية في بعض السنين. وكان الإغريق يعزون ظهور هذه الأمراض إلى أسباب فلكية أو إلى التربة والجو غير الملائمين وإلى غضب الآلهة. لذلك كانوا يحاولون تقليل الضرر الناتج من هذه الأمراض بالالتجاء إلى الإله "أبولو" Apollo وغيره من الآلهة ليحفظ زراعتهم من الهلاك.

وقد أدرك الرومان أيضاً خطورة صدأ القمح ومحاصيل الحبوب الأخرى. فوضعه (بليني) Phay في كتابه "التاريخ الطبيعي" بأنه أهم أمراض المحاصيل. وكان القوم يعتقدون أن هناك إلهاً للصدأ يسمى "روبيجوس" وقد أرسل الصدأ ليهلك المحاصيل عقاباً للناس نتيجة لعمل طائش قام به غلام في الثانية عشرة من عمره إذ قبض هذا الغلام على ثعلب سرق دجاجة من أبيه وأراد أن يعطي الثعلب درساً قاسياً جزاء ما جنته يداه على سرقة الدجاجة فربط حوله بعض القش وأشعل به النار وترك الثعلب يجري والنار مشتعلة من حوله.

ومنذ عام ٧٠٠ قبل الميلاد حتى ظهور المسيحية كان الرومان يتوسلون إلى الإله "روبيجوس" ويقدمون له القرابين لكي ينقذ محاصيلهم. فكانوا يبدأون الصلاة ويرتلون. أيها الجبار روبيجوس أنقذ حبوبنا وأمسك

يدك القوية". ثم يعقب ذلك. بالت أصفر اللون أو غيره من الحيوانات ذات اللون الأصفر وسيكون النبيذ أنساه دبحه يمرحون. وحتى في (السرك) كانوا يربطون المشاعل في ذيول الثعالب ويطاردونها في شكل دائري مما يدل على أن الصدأ كان يسبب ضرراً للمحاصيل.

وفي الوقت نفسه كان الرومان يظنون أن الصدأ قد يسببه أو تأثير حرارة الشمس على نقط الندى الموجودة على النباتات. ويبدو أنه لم تكن عندهم الثقة التامة في قدرة "روبيجوس" أو رغبته في درء خطر الصدأ عنهم.

ورغماً من أن الرومان كانوا مزارعين مهرة يعاملون تقاويهم بالماء أو النبيذ لعلاج أمراض التفحم إلا أنهم لم يتمكنوا من معرفة طبيعة أمراض النباتات وأسبابها.

الباب العاشر

الزراعة والمجتمع

وزارة الزراعة

تذكر هنا لمحة سريعة عما يمكن أن نطلق عليه الآن وزارة الزراعة في عهد الفراعنة.

كانت وزارة الزراعة– على قدر ما نستطيع أن نحكم– مقسمة إلى مصلحتين هامتين تختص إحداهما بالمواشي والثانية بالزراعة.

مصلحة المواشي

كانت مصلحة المواشي تسمى "بر. حرى. وجب" ومعناها على وجه التقريب "بيت ما يختص بالأراضي المزروعة" وعرف من موظفي هذه المصلحة الوكلاء والكتبة.

مصلحة الزراعة

وكانت تسمى مصلحة الحقول (الضياع). وقد عثر على اسمها على أختام من الأسرة الثانية ووجد لقب "مدير الحقول" على آثار من الأسرة الثالثة. ويدير هذه المصلحة موظف يسمى "مدير كتاب الحقول" في عهد

الأسرة الرابعة كما قسمت هذه المصلحة- كباقي مصالح الحكومة- إلى قسمين في عهد الأسرة الخامسة ولقب مديرها باسم "مدير كتاب الحقول في البيتين (الإدارتين). وكان مدير هذه المصلحة عضواً في مجلس العشرة العظيم يعاونه عدد من كبار الموظفين منهم مديرو ضياع الوجه القبلي والوجه البحري ومديرو بيت زراع الوجه القبلي والوجه البحري ومديرو بيت زراع الحقول مقسمة إلى إدارتين عظيمتين أحداهما إدارة الحقول والأخرى إدارة المستخدمين وكل ضيعة تحت إدارة "بيت زراعة" (برسكا) وتقسم إلى أربع إدارات:

أولاً: بيت المحراث (بر- شنو) ويختص بإدارة الأراضي الزراعية.

ثانياً: بيت الراعي ويختص بالمراعي.

ثالثاً: بيت حيوانات الإنتاج.

رابعاً: بيت حيوانات التربية.

وكانت كل ضيعة- مهما اتسعت مساحتها وغالباً ما تكون صغيرة المساحة- توضع تحت إدارة مدير خاص. فمثلاً تجد أن الملك بيبى الثاني من عهد الأسرة السادسة قد منح بمرسوم لمعبد الإله "مين" في قفط عقاراً يبلغ حوالي ثلاثة (أرورا) وأنشأ لإدارته بيت زراعة خاص تحت إدارة مدير كهنة "مين".

وكانت الحكومة تقسم أحياناً جزءاً من أراضيها إلى مساحات صغيرة مستقلة لتستثمرها مباشرة أي أنها استعملت نظام المزارع الصغيرة المساحة التي تتطلب نفقات كثيرة ولكنها عظيمة لإنتاج مما يدل على إدارة فنية مرنة.

وعلى حافة الصحراء كانت توجد مساحات من الأراضي لا يغمرها الفيضان إلا نادراً أو بدرجة غير كافية تسمى "خنبوش" يدير مصالحها ويرعاها موظف يبدو أن وظيفته كانت على جانب من الأهمية في عصر الدولة القديمة.

ويجدر بنا ملاحظة وجود هذه الأراضي أحياناً في منطقة الأهرام الملكية ولهذا أعفيت من الضرائب، وكانت هذه الأراضي تستقل أو حدائق للبقول والخضر ولا يزرع فيها إلا المحاصيل الأجل التي تحتاج إلى عناية مستديمة بالري. الخاصة بمخازن السلال الماشية باقية. وكان "المشرف على مخازن الغلال" له أهمية خاصة لأن ثروة مصر في عصر الدولة الحديثة كانت تعتمد على محصول الغلال فهو على وفرته حتى يجيء كافياً بمطالب الجميع. ويعد اليوم الذي يتقدم فيه إلى الملك يوماً عظيماً يثبت كشف حساب محاصيل الوجهين القبلي والبحري. فإذا استطاع المشرف على مخازن غلال الملك أمنحتب الثالث أن يعلن إلى سيده أن كان حسنا وأن المشرفين على الأموال ورؤساء الموظفين قد "أدوا محصولا كبيراً أكبر مما أدوه في ثلاثين سنة" فإن جلالته يظهر تكريمه وعطفه على خدمة الأمراء فيأمر بأن يدهنوا بالعطر والطنب في حضرته ويتحلوا بالقلائد الثمينة.

وزير الزراعة

وكان الوزير يعني بتحديد التعليمات العامة فيما يختص بالحرث سويا. وهو الذي يعين الموظفين المسئولين مباشرة عن الحصاد وإدخال المحاصيل. ويقام كل عام احتفال كبير بعيد الحصاد يعلن فيه الرئيس المسئول نتيجة الحصاد أمام الملك فإذا كان المحصول جيداً أصبح هذا الاحتفال موضعاً للبهجة والسرور.

ملكية الأراضي الزراعية

كانت الدولة تمتلك الأراضي الزراعية وتوزعها على المزارعين الذين يستعملونها لأنفسهم وللدولة معا ويوزع المحصول بعد ذلك توزيعاً عادلاً. وكانت المقايضة أساس التبادل والأجور عينيه ومعظمها من المحاصيل الزراعية.

أما الفلاح فكان يقوم بزراعة الأرض مرتبطاً بها. ولم تكن الأرض مؤجرة بعقود بين المالك والمستأجر نظراً لسيادة نظام الإقطاع في عصر الدولة الوسطى.

الفلاح المصري

كانت طبقة الفلاحين تشمل غالبية السكان طوال العصور الفرعونية وكان حظها من الحياة تافهاً إلى حد كبير. وكانت حياتهم صورة صادقة للعمل الدائم من أجل زيادة الإنتاج ودفع عجلة التطور.

وكانت جدران القبور لا تخلو من صور الحياة اليومية كالحرث والبذر والحصاد – وهي أعمال الزراعة العادية التي تؤلف مهام الفلاح ويضاف إلى ذلك مشكل ة الري. ذلك لأن سقوط الأمطار أمر نادر جداً في مصر العليا وكمياتها لا تفي بالأعراض الزراعية في مصر السفلى. ولولا النيل لتحولت البلاد إلى صحراء قاحلة فكان بفيضانه في كل عام يحول الأرض إلى بقعة من أخصب بقاع العالم.

وعند انخفاض النيل يقوم الفلاح بحرث الأرض وعزقها ثم يبذر الحبوب وينشرها عليها. وكان هو الذي يختار الحبوب بعناية تامة حتى لا تجهد الأرض بتكرار زراعة محصول معين كما كان يختبر طبيعة التربة والوقت المناسب لزراعة المحصول في فصول متتالية وطريقة حرث الأرض وريها وملاحظتها بصفة دائمة وقد أصبح ملماً بأنسب الفصول للبذر والحصاد بواسطة الدروس التي تلقنها عن آبائه.

وقد وصف (جورج شفينفورت) الفلاح المصري القديم فقال:

"إن الفلاح المصري في صغره مطيع وذكي ونشيط ولكنه عندما يكبر ويعضه الفقر بنابه وتحوطه الهموم ويمضه العمل المستمر في استخراج الماء يفقد روح المرح والنضارة وحدة الذهن التي جعلت منه في الصبا فتى لطيفاً فيه أمل وله رجاء. فهو يحرث ويحصد ويعمل ويكسب ولكن نقوده لا تبقى له. أنه يرى ثمرة تعبه وكده تنساب إلى أيدي رؤسائه وأسياده. ولهذا فإن طبيعته وأخلاقه نصير كطبيعة الطفل الموهوب الذي تربى تربية خشنة قاسية. وعندما قوي واشتد ساعده وجد الآخرين يستغلونه ويستحلون ثمرة عمله وكده".

وكانت حياة الفلاح قاسية ما لم يكن المشرف عليه من الموظفين ذوي القلب الرحيم– وهو أمر لم يكن كثير الحدوث– بل إن الشائع كان امتصاص قوى العامل إلى أقصى حد ممكن. وكان الفلاح مرتبطاً بالأرض ينتقل معها من مالك إلى آخر كأنه جزء منها وإذا قصر فجزاؤه الجلد. وعليه إذا أقبل الفيضان وأصبح العمل في الحقل مستحيلاً أن يقوم بعمل آخر في خدمة الفرعون أو حاكم الولاية التي ينتمي إليها فينقل الأحجار التي يقطعها العمال من المحاجر إلى حيث يريد كل منهما أن يبني قبره أو معابد آلهته.

وكان الفلاح نحيل الجسم ولم ينل قسطه الكامل من التغذية ويتناول أجره الضئيل عينا من المحاصيل ويصبح قبل أن تنضج تلك المحاصيل على شفا الهلاك من الجوع وجعلته المجاعات وانتشار الطاعون اللذان كان

يحدثان من آن لآخر فريسة لخطر فجائي يأتي من قوى عظيمة ظن أنها آلهة.

ولا نظن أن اختلاس الأموال الأميرية– وهو أمر كثير الشيوع في الشرق اليوم– لم يكن معروفاً في مصر القديمة. بل أن العمال الزراعيين لابد أنهم مارسوا ذلك بدليل العجز عن دفع أجورهم أو التقصير في دفعها.

وكان الفلاح يدين بالولاء للموظف الذي يوضع على رأسه وهو مسئول عن زراعة الأرض التي يسمح له بجانب من إنتاجها ليعيش عليه وهذا هو أجره. ذلك لأن الأجور في كل الحرف كانت تدفع عيناً فالعملة المعدنية لم تكن معروفة في ذلك الوقت.

وحين لم يكن العمال الزراعيون– وهو ما تطلق عليهم الفلاحون اليوم– يجدون عملاً في الزراعة كانوا يقضون وقتهم في صيد الأسماك والطيور والحيوانات الصغيرة في الصحراء.

وكان الفلاح شخصاً قانعاً حاد الطبع خفيف الروح محباً للمرح والسرور يقوم بأي عمل مهما كان شاقاً. فقدماه دائماً في طين النهر سواء أكان يزرع محاصيل سيده أو يحصدها أو يبني له بالطوب اللبن أو يسوق ماشيته وهو يعيش دائماً قريباً من الطبيعة محباً للخرافات المتعلقة بصلته بالنبات أو الحيوان ويتناول أجره الضئيل عيناً من المحاصيل.

وقد عثر على تمثال صغير في قبر "تي. غنخ. بى" بجهة مير من عهد الأسرة السادسة يمثل فلاحاً يعزق أرضاً مبللة قد غاصت فيها قدماه إلى الكعبين محفوظ بالمتحف المصري (شكل ١٤٦).



(شكل ١٤٦)

تمثال صغير لفلاح يعزق أرضاً مبللة قد غاصت فيها قدماه إلى الكعبين.. قبر "ني– عنخ– بى" بمير– الأسرة السادسة

(المتحف المصري)

وكانت زوجة الفلاح تشاركه في عمله وحرفته فتجمع الغلال وتقوم بتذريتها وغربلتها ثم تخرج إلى الترعة المجاورة لتملأ جرها وتغسل ملابسها وتعود إلى منزلها مزودة بما يكفيها من الماء بقية اليوم. كما تقوم بطحن الحبوب وعجن الدقيق وخبزه وتزاول مهنة الغزل والنسج وتذهب إلى الأسواق لتبيع الزبد والنسيج والطيور وتجني الثمار كما نشاهد ذلك في الصورة التي عثر عليها على أحد جدران قبر "منا" بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة (شكل ١٤٧). ومن الصور التي عثر عليها أيضاً على أحد جدران قبر "نخت" بالشيخ عبد القرنة بطيبة ما يمثل فلاحتين يعملان



(شكل ١٤٧).. فلاحة تجني ثمار الجميز وهي تحمل رضيعها.. قبر "منا" بطيبة– الأسرة الثامنة عشرة

في الحقل (شكل ١٤٨). ومن أروع ما عثر عليه في أحد قبور طيبة من الصورة التي تمثل فلاحة حسناء في الحقل تحمل في أحد ذراعيها.



(شكل ١٤٨)

فلاحتان تعملان في الحقل وتقتلعان الكتان.

قبر "نخت" بالشيخ عبد القرنة بطيبة– عصر الدولة الحديثة.

لجمع السنابل الساقطة بينما تقدم لزوجها في حنان بالغ إناء من الفخار يشبه (القلة) يتناول منه جرعة ماء براحة يده وقد وقف الزوج بقامته المديدة ومنجله تحت ذراعه مزهواً فخوراً (شكل ١٤٩).

وهناك صورة عثر عليها على أحد جدران قبور عصر الدولة الحديثة تمثل فلاحين قد أصابهم الهزال في مجاعة. وكان كل عمل يقوم به الفلاح محاطاً بالخوف من قوى صغيرة حاسدة كان يرهبها ويراها في كل شيء: عند عتبة كوخه. في العاصفة التي تثير التراب. في النار. في الماء الجاري. في الماشية التي يرعاها. وفي أول ثمار حقله.

ولكنه بالرغم من كل ذلك وبينما يؤدي أعماله كان يضحك ويغني. وعندما يسوق قطيع الماشية أمامه في المستنقع كان يردد أغنية صغيرة للتمساح والسمك. وعند اشتراكه في حمل محفة سيده يردد مع الآخرين أغنية مليئة بالمداهنة والإطراء وعلى فمه ابتسامة خبيثة متطلعاً إلى ما عسى



(شكل ١٤٩) .. فلاح يروي ظمأه متأبطا منجله وفي انتظاره زوجته تحمل سلة لجمع السنابل الساقطة. أحد قبور طيبة عصر الدولة الحديثة

أن يناله من مكافأة وعطاء كما كان يردد الأغاني مع غيره من العمال لتتوحد جهودهم وهو محني الظهر يشد الحبال.

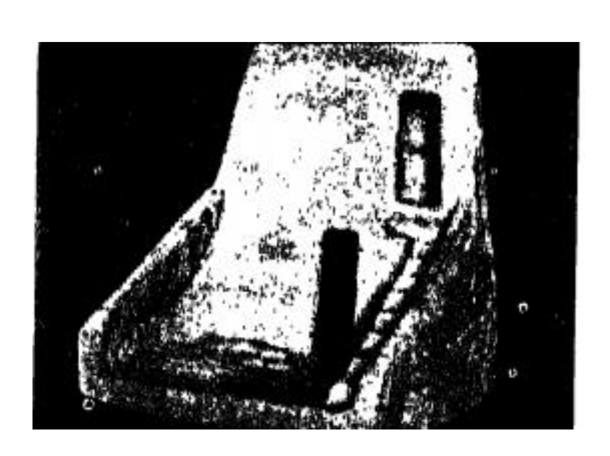
وفي حفلات الأعياد كان الفلاح يرقص ويلعب بكل ما فيه من قوة ويملأ بطنه إلى حد التخمة في المآدب التي يقيمها سيده. وكانت حياته ترتبط بحياة حيواناته التي تقيم بجانبه ليلاً ونهاراً. ما كان أشبه الفلاح بالمتاع. كان أشبه بحيوان لجر الأثقال يعتمد اعتماداً تاماً في مأكله على ما يجده من نبات ينمو في أرض الوادي.

وكانت الفرص المتاحة له أقل بكثير من الفرص المتاحة لغيره. ولكنه مع ذلك كان العنصر الأساسي في حياة البلاد وكان حظه شبيهاً بحظ سيده في اعتمادهما المشترك على النيل والشمس وهما أساس النماء والتكاثر.

بيت الفلاح:

كان الفلاح يبني بيته منذ عصر ما قبل التاريخ من الطين وكان شكل هـ صغير الحجم بابه من أعلى ويصعدون إليه بواسطة درج من الخشب. وفي العصور التاريخية عرفوا قوالب الطوب المصنوعة من الطين فتمكنوا من بناء البيت بالمعنى المعروف. وكانت بيوتهم تتكون من دور واحد ونوافذ من أعلى ذات فناء بعضه مسقوف على عمد، واستعانوا بالجريد والبوص وأفلاق النخيل في عمل السقوف.

وقد عثر على نموذج من الفخار لبيت الفلاح من عصر الدولة الوسطى محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي (شكل ١٥٠).



(شكل ١٥٠)

نموذج من الفخار لبيت الفلاح المصري. عصر الدولة الوسطى.. قسم الزراعة القديمة (المتحف الزراعي)

حيازة الأراضي:

كان الملك يعطي موظفيه المقربين بعض الأراضي- وأحياناً تكون كبيرة- للمحافظة على إقامة الشعائر الدينية اللازمة ويقسم البعض الآخر بين الكهان الذين يقومون بالصلاة وأداء الطقوس الدينية. وأخذت الضياع الملكية في النقصان شيئاً فشيئاً وقد أعفيت الأراضي التي تمنح للمعابد من كل أنواع الضرائب.

وكان أمير كل مقاطعة يستولي على نوع من الأراضي هي في الواقع أقطاعات ملكية. وإذا أريد توريثها لأي أمير آخر لابد من الحصول على موافقة الفرعون وإلا فلا يمكن أن يستولي عليها بأية حال.

وفي خلال عصر الدولة الحديثة كانت الأراضي ملكاً للملك من الناحية النظرية ثم تؤجر إلى ملاك مختلفين أو ستبقى لاستغلالها.

وقد اقعى البطالمة أثر أسلاهم في وضع سجل دقيق لكافة الأراضي وعلى هداه كانت تقدر قيمة الأموال الأميرية والأعباء المالية. وقسمت الأرض في هذا العصر إلى قسمين رئيسيين وهما الأراضي للملكية وأراضي العطاء.

وكانت الأراضي الملكية تشمل كل أرض مصر الصالحة للزراعة التي يستثمرها الملك مباشرة بتأجيرها لمزارعين يدعون "مزارعي الملك". وتقوم علاقة الملك بمستأجري أرضه على أساس عقود يرتبط بها هؤلاء الزراع

لمدد قصيرة الأجل. وقد ترتب على تدهور الحالة الزراعية وفرار المزارعين من أراضيهم إطالة مدة العقود. وكان على مزاراي الملك زراعة الأرض التي استأجروها وعدم مبارحه فرآهم طوال موسم الزراعة حتى يسددوا للملك جميع التزاماتهم.

وكانت الحكومة تشرف بواسطة موظفي المالية المحليين على عملية زراعة الأراضي الملكية إشرافاً كاملاً يبدأ منذ توزيع البذور على الفلاحين حتى يتموا جني المحصول ونقله إلى المخازن الملكية. وكانت مساحة الأرض تقدر بالأرورا (وهي أكثر من نصف فدان وتبلغ نحو **٢٧٥٦** متراً مربعاً).

أما أراضي العطاء التي وهبها الملك لأفراد معينين فكانوا يقومون على استغلالها بشروط خاصة وتعد منحة لا يمكن أن نتصرف فيها واضع اليد عليها بتوريثها وبدفع عنها كل الالتزامات المفروضة على أراضي الملك.

وتشير الوثائق إلى أن الهبات قد تشمل أرضاً زراعية فقط أو أرضاً زراعية وقرية واحدة أو عدة قرى. وكانت الهبة منحة شخصية لا يجوز التصرف فيها بالبيع أو الرهن أو التوريث.

وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد كانت زراعة الكروم وبساتين الفاكهة في الأرض التي هجرت بسبب جفافها أو طغيان الماء عليها تكسب الزراع حق امتلاك هذه الأرض امتلاكاً تاماً.

ويعد صاحب الأرض الموهوبة مسئولاً عن حسن إدارتها ووسيطاً بين مزراعيه والدولة فيمدهم بالبذور والماشية ويحصل منهم على الإيجار الذي كانت الحكومة تستولي على جانب صغير منه بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على الأرض.

وقد وضع البطالمة نظاماً دقيقاً للمزروعات بحيث يضمن لهم الإشراف الكامل عليها. فكانت الحكومة تصدر في كل عام تعليمات بتحديد مساحات الأراضي للمزروعات المختلفة في كل مديرية. ويدفع الفلاحون الملكيون وغيرهم من أصحاب الأراضي الممنوحة ضرائب مختلفة للملك. وقد نظمت العلاقة بين الملك وزراع الأراضي تنظيماً دقيقاً محكماً يفضل التشريعات التي وضعت خصيصاً لعمليات استثمار الأراضي على اختلاف أنواعها سواء أكان ذلك لمدد قصيرة أو لآجال طويلة.

الفراعنة وفنون الزراعة

عنى المصريون القدماء عناية بالغة بالزراعة وبذلوا قصارى جهدهم في النهوض بها ورفع مستواها. فمصر بلد زراعي يعيش على الزراعة وهي الأساس الأول لحياة سكان وادي النيل.

وأهم الفراعنة الذين عنوا بالزراعة: نعرمر (مينا) وأمنمحات الأول وسنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث وحتشبسوت وتحتمس الثالث.

نعرمر (مينا):

أسس هذا الفرعون الأسرة الأولى ويعد أول من أرسى الوحدة المصرية منذ نحو عام **٣٢٠٠** قبل الميلاد ويسميه الأثريون "نارمر" وكانت له مهابة في قلوب الفراعنة الذين خلفوه حتى أنهم ألهوه بعد موته وبقيت عبادته زمناً طويلاً.

وقد تمكن من تحويل مجري النيل من الجبل الغربي إلى مجراه الحالي شرقي مدينة منف (البدرشين الحالية) حتى يتسنى تخطيطها. وقام بتأسيس هذه المدينة وصرف مياه النيل عن مكانها. وكانت المياه في ذلك الوقت تندفع في بحر يوسف إلى الشمال فأقام في طريق مجراها سداً عظيماً على النيل ليمنع فيضانه عليها وقد أحاطها بجدار أبيض وعرفت باسم "انب.حز" أي الجدار الأبيض أو القلعة البيضاء وقد سميت فيما بعد "من. نفر" أي الأثر الجميل.

وقد أقام مقياساً للنيل في نواحي منف لضبط سير النهر وجريانه ورصد زيادته ونقصانه فعلى منسوب المياه كانت تقدر الضرائب الحكومية ورأس حفلا لشق قناة فكان يعمل مع الناس ويضرب بالفأس الضربة الأولى ليكون بذلك أول العاملين. وتذكر متون التاريخ أن من أهم ألقاب حكام الأقاليم كان لقب "شاق القناة" أو" حافر القناة.

أمنمحات الأول:

تولى العرش نحو عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ويعد مؤسس الأسرة الثانية عشرة. وقد تمكن من تحديد مساحة أراضي الفلاحين ووضع أحجار بينها تبين حدود ما يملكه كل فلاح بعد أن كثرت الخلافات بين المزارعين وقام بتوزيع الماء على الأراضي حسب حاجتها.

وقد قام بإصلاحات كثيرة في البلاد يدل على ذلك تعاليمه الرائعة التي تركها لولده سنوسرت وصية ودستوراً فيقول له:

"أنا الذي زرعت الحبوب وأحببت "نير" إله الغلال. النيل قد حياني باحترام. فلا جالع حكمي. ولا ظمآن في عهدي. وكان الناس راضيين عما فعلت". ويقصد بذلك أنه أحيا النهضة الزراعية في البلاد ونظم أمورها حتى صاحبه إله الحبوب. والعجيب أن اسم "نير" أو "نوبر" كما ينطقه بعض الأثريين لا يزال حياً في أكثر ريف الصعيد فالزراع ما زالوا يسمون الحب "نياري" كما أنه يقصد أن فيضان النيل قد اعتدل في أيامه فلم يتخلف عن موعده ولم يزد عن منسوبه المبارك الذي ينفع الزراع ولا يعرض حياة الناس للخطر.

ولم تقف أعمال الفرعون عند هذا الحد فكان أول من قام بإصلاح إقليم الفيوم. ويعزو بعض المؤرخين إليه أنه أول من فكر في إنشاء خزان المياه الذي تم على عهد أمنمحات الثالث وسمي في العصر اليوناني (بحيرة موريس).

سنوسرت الثالث:

تولى العرش نحو عام ١٨٨٧ قبل الميلاد ورأى ضرورة حفر قناة عند الشلال الأول ليعبر فيها إلى أعالي الشلال. وقد يكون قصده من ذلك تعميق الممر الموجود الآن شرقي جزيرة "سهل" ليساعد على جر السفن فيه بدون عناء كبير وذلك بدلاً من ممارسة التيار القوي في الممر الغربي. وعلى أية حال فإن هذه القناة قد تم تعميقها في بداية حكم هذا الفرعون كما تخبرنا بذلك نقوش هذه الجزيرة وفيها نشاهد سنوسرت الثالث واقفاً أمام الآلهة "عنقت" إحدى إلهات الشلال ونقرأ المتن الآتي:

"لقد صنعوا أثراً للآلهة (عنقت) ربة النوبة إذ شق لها ترعة تسمى "أجمل طرق "خع. كاو. رع" (سنوسرت الثالث) الحي الخالد".

وقد أعاد حفر قناة الشلال استعداداً للحملة الثانية لتصفية الموقف مع قبائل السود وأمر بحفرها من جديد وطولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً وعمقها خمس عشرة ذراعاً. وقد حفرت هذه القناة حفراً جيداً وبقيت مستعملة نحو ثلاثمائة أو أربعمائة عام تقريباً بعد حفرها. وقد ظهرت في عهد تحتمس الأول وتحتمس الثالث وكان لزاماً على صيادي السمك تطهيرها سنوياً.

أمنمحات الثالث:

يعتبر أعظم فرعنة الأسرة الثانية عشرة اهتماماً بشئون الري. وقد تولى العرش نحو عام ١٨٥٠ قبل الميلاد وعمل على زيادة ثروة مصر الزراعية. وامتاز حكمة بالمشروعات العظيمة التي عادت على البلاد بالخير والرخاء وضاعفت من محاصيله. وقد عنى عناية خاصة بإقليم الفيوم الذي سموه "بايوم" ومعناه الغمر أي الأرض التي تغمرها المياه. وقد سميت هكذا لأنها كانت قبل حكم الأسرات تغمر أرضها بالمياه أثناء الفيضان فتكون بحيرة عظيمة الاتساع كما سماها اليونان "كروكود يلوبوليس" Crocodilopolis أي مدينة التمساح ثم سميت "أرسينوي" وأقيم بها معبد للإله "سبك" الذي كان يقدس في هيئة التمساح وسميت البحيرة "تا. حنو. مرور" أي بحيرة "مرور" ثم حرفها اليونان إلى "موريس" بعد إضافة المقطع الأخير إليه كعادتهم وبذلك أصبحت تسمى بحيرة موريس كما يذكر (هردوت).

ويرجح أن منخفض الفيوم قد نشأ عن انفصال في طبقات الأرض نتج عنه مجرى النيل الطويل ولا يزال جزءاً منه تشغله بحيرة قارون التي تعتبر جزءاً من بحيرة عظيمة كانت تغطى معظم الفيوم بمياه الفيضان منذ عصر ما قبل التاريخ. وينخفض سطح البحيرة عن سطح البحر بحوالي مائة وتسعة وعشرين قدماً (أي حوالي أربعة وأربعين متراً).

ويقول (هردوت) و(سترابو) أن مياه النيل كانت تغمر تلك البحيرة العظيمة عن طريق ثغرة موجودة في سلسلة جبال ليبيا تبعد حوالي خمسة وستين ميلاً عن قمة الدلتا وتصل وادي النيل بمنخفض عظيم يعرف بالفيوم يعتبر بالنسبة لمصر نبات سوس تفرع غصنه نحو الغرب جنوب المكان الذي تتفتح فيه الساق عند زهرة هي الدلتا اليانعة.

وكان المصريون يروون أرضهم من مياه هذه البحيرة في وقت التحاريق. وقد شاهد (سنرابو) أماكن مراقبة المياه الداخلة والخارجة في إقليم البحيرة المذكورة.

وعلى أية حال فإن ظواهر الأمور تدل على أن هذه الواحة الغناء (الفيوم) هي من عمل النيل. ففي كل عام كانت رواسب الطمي تتخلف على هذا الحوض المنبسط ومن ثم ارتفع منسوب الأرض تدريجياً حتى انكمشت البحيرة في أيامنا هذه إلى مساحة ضئيلة نسبياً عما كانت عليه في العصور القديمة وتعرف اليوم ببحيرة قارون. أما الجزء الباقي من هذا المنخفض العظيم فقد أصبح أرضاً خصبة يانعة صالحة للزراعة مليئة بالحقول الخضراء والحدائق الغناء.

ويرى بعض المؤرخين أن الفيوم في عهد أمنمحات الثالث كانت قبل إصلاحها رقعة شاسعة من الماء ليس فيها سوى جزء صغير من الأرض الزراعية انتزع من الماء الضحضاح في الجهة الشرقية حيث تقع بلده "شدت" (الفيوم) التي كانت الجسور تحميها مما من المياه.

ويبدو أن هذا الفرعون قد أحس بالقحط الذي يصيب البلاد من جراء انخفاض مياه النيل المتكرر وكان من نتائجه الجوع وانتشار الأوبئة. وقد رأى في منخفض الفيوم منفذاً للبلاد من ويلات القحط إذ اتخذه خزاناً طبيعياً يمكن أن يمد البلاد الشمالية جميعها بالمياه أثناء انخفاض النيل سنوياً. وكانت مياه الفيضان تنساب في هذا المنخفض في فصل الخريف. وعند بدء انخفاض النيل تخرج هذه المياه مختزنة الحمول إلى النهر ثانية حتى تمنع جريانها الأراضي إلى بينها وبين النهر وبذلك تتبقى مساحة من المياه محجوزة في الفيوم لا فائدة منها.

وقد فكر هذا الفرعون في طريقة لتنظيم دخول هذه المياه وخروجها ورأى استخدام الترعة التي يبتدئ فتحها من النيل شمال "سيوط" عند ديروط وتعرف اليوم ببحر يوسف ومنها كانت تحمل مياه الفيضان مباشرة إلى خزان الفيوم وهناك تحجز بواسطة حواجز لها عيون تصرف منها المياه ثانية تدريجياً إلى هذه الترعة. فعندما تكون المياه منخفضة في النيل يمكن بقاء منسوبها مرتفعاً إلى المنسوب المناسب لري الأراضي من "سيوط" حتى البحر الأبيض المتوسط وقد رأى أنه بهذه الطريقة تخزن كميات هائلة جداً من مياه الفيضان تضاعف حجم المياه التي تجري في النهر عندما تنساب فيه تدريجياً خلال فصل التحاريق.

وقد أقيم سد أو خزان لتنفيذ هذا المشروع الهندسي العظيم عند المدخل الطبيعي لهذه البحيرة أي عند اللاهون لحصر دخول المياه وخروجها إلى القناة. وقد حصر المهندسون الذين قاموا بتنفيذ هذا الخزان

المياه في الجزء المنخفض من الفيوم وذلك بإقامة سد آخر اتخذ صورة نصف دائرة طولها حوالي سبعة وعشرين ميلاً وبذلك استرد من المياه نحو سبعة وعشرين ألف فدان في الجهة القريبة جداً لوادي النيل. وقد تحولت هذه المساحة على حقول غنية بإنتاجها. ولولا ذلك لما تبقى من البحيرة إلا المستنقعات التي على حافتها والجزء الذي تقوم عليه الفيوم الحالية. وبهذه الكيفية أصبحت الفيوم مفصولة عن البحيرة بمساحة من الأرض منتزعة من المياه تبلغ حوالي خمسة أميال.

ويعد هذا المشروع من أقدم مشروعات الري الكبرى في العالم القديم وأول سد صناعي في التاريخ وكان له أكبر الأثر في ازدهار هذا الإقليم حتى أصبح من أكثر الأقاليم عمراناً ورخاء. وقد شعر الفلاح في هذا العصر بالاستقرار والاطمئنان بعد أن حددت الأراضي وانتظم الري وأعطت الأرض محصولاً جيداً.

وقد ظل هذا الإقليم مزدهراً حتى العصر اليوناني الروماني وعثر على الكثير من الآثار في كوم أوشيم تدل على أنها كانت تزرع المحاصيل الزراعية وأشجار الفاكهة.

حتشبسوت:

بلغت هذه الملكة العرش حوالي عام ١٥٠٤ قبل الميلاد وظهرت على مسرح الحكم تبذل أقصى ما تستطيع امرأة أن تبذله من جهد ونشاط

وسجلت في التاريخ صفحات تدل على أنها كانت صاحبة رأي وأمر وذات قوة وبأس شديدين وقد مهد لها أنصارها السبيل إلى الانفراد بالحكم.

وفي السنة التاسعة من حكمها أرسلت بعثة تجارية إلى بلاد بنث (الصومال) لإقامة علاقات مختلفة معها أقلعت على أسطول تجاري من خمس سفن شراعية كبرى على متن النيل من شواطئ طيبة حتى إذا ما بلغت "القلزم" أخذت تمخر عبابه إلى بلاد "بنث". وقد حمل الأسطول المصري معه كثيراً من الجواهر والحلي المختلفة وألوان الطعام والشراب والسلاح مما تنتجه دور الصناعة في مصر.

وعاد الأسطول إلى مصر محملاً بكثير من المنتجات النادرة مثل أشجار البخور والعطور والمر والأبنوس والقرفة والعاج والكحل وأخشاب أخرى زكية الرائحة والبلسم والراضج والنونية للكحل والذهب والفضة واللازورد والفيروزج والأصداف وعصى الصيد وجلبت البعثة معها بعض الحيوانات النادرة مثل الثيران ذات الأسمنه والزراف والتياعل والفهود والكلاب والقردة والنسانيس وجلود الفهود وأمرت الملكة بنرومس الفهدين الذين أحضرا ضمن هذه الحيوانات لنستخدمها في رحلات الصيد. ويبدو أن أحدهما كان أليفاً حيث مثل وحول رقبته طوى.

وعندما رست السفن وجدت أشجار البخور والعطور والمر محفوظة بجذورها (سلاياتها) في أصص من الفخار.

وقد دلت الكشوف الحديثة على أن الأشجار العطرية التي جلبت قد غرست فعلاً في حفر نقرت في الصخر وملئت بالطين الخصب أمام معبدها الرائع بالدير البحري بطيبة.

ولا يستبعد أن نكون طوائف الحيوان التي حملها الأسطول قد أطاعت في تلك الجنات ترتع وتلعب بين أشجارها الجميلة. وقد عهدت الملكة إلى كهان آمون بحراسة الحديقة الرائعة. ويعد هؤلاء الكهان أول حراس لحديقة حيوان في العالم وخصص لها طبيب للأشراف عليها والعناية بها.

تحتمس الثالث:

تولى العرش نحو عام ١٥٠٤ قبل الميلاد وترك في التاريخ دوياً هائلاً لم يعرف لملك من قبله فتفرد بين ملوك العالم القديم بصفحات من البطولة النادرة. جاهد وحارب فانتصر وفتح وبني وعمر طوال سنين حكمه في سبيل المحافظة على تحقيق السيادة لمصر وإقرار السلام في الشرق العربي.

وقد عنى تحتمس الثالث عناية بالغة بنباتات البلاد الأجنبية وحيواناتها. وخلال حربه الثالثة التي شنها في آسيا جلب معه إلى مصر بعض النباتات والحيوانات والطيور. وقد نقشت صورها على جدران أحدى قاعات بهو الأعياد بمعبد الكرنك بالأقصر وتعرف الآن باسم "حجرة الزراعة" وقد جاءت نقوشها وصورها في غاية الدقة والروعة وتعد مرجعاً هاماً لعلماء النبات والحيوان. وأهم هذه النباتات الزيتون والرمان

والعنب والأزهار كاللوتس الأزرق والزنبق (السوسن الأبيض) والعنبر والأقحوان والياسمين والودنة واللوف. ومن الحيوان الثيران والخيل والماعز والأغنام الآسيوية ومن الطيور الدجاج.

آلهة الزراعة

لا شك أن طبيعة حياة الشعوب في الأقطار المختلفة ومشاعرهم الحية قد ملكت عليهم تفكيرهم وبخاصة في فجر المدنية ثم لم تلبث أن وجدت طريقها إلى عقائدهم الدينية فاعتنقوا آراء ونظريات حسية أكثر منها عقلية.

وكان المصريون القدماء يعيشون على الزراعة وما تنبته الأرض من خير وما يفيض به نهر النيل من مياه تخصب الأرض. وقد اعتمدوا في حياتهم على ما تنتجه هذه الأرض من حبوب وثمار فاعتقدوا أن هذه الخيرات مصدرها آلهة وهي التي أنعمت عليهم بالحياة والنعم الوفيرة.

وأهم الآلهة التي لعبت أدواراً هامة في تاريخ الزراعة المصرية هي أوزيريس وإيزيس وحابي ونبر وسخت ورنوتت.

١- أوزيريس:

نسج المصريون القدماء حول هذا الإله أسطورة طريفة فأحبوه والتفوا حول عرشه لأنه كان إلها خيراً يمثل الخصب وأول من بذر بذور المدنية الأولى في هذا الوادي فحقد عليه أخوه "ست" ودبر مؤامرة

ليتخلص منه. ولما علمت بذلك إيزيس أخذت تبحث عنه حتى عثرت على مكانه فأخذت تناجي روحه بقوتها السحرية وتندبه وتبكيه فذرفت من عينيها دموعاً حارة تساقطت على وجهه وكان في هذه الدموع كلمة الله إلى الميت فردت إليه الحياة ثم تبوأ العرش بعد ذلك في العالم الآخر وتوج ملكاً على الموتى.

وقد عثر على تمثال لهذه الإله في سقارة من عهد الأسرة السادسة والعشرين يعد من أروع التماثيل محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة يمثله وهو إله للموتى يحاسب الناس يوم ينقلون من الدار الفانية إلى الدار الباقية ويزن أعمالهم ويصدر الحكم لهم أو عليهم بالنعيم أو الجحيم (شكل ١٥١).

وكان يشهد بعثة في كل عام أهل مصر. ذلك لأن أوزيريس كان يعد في نظر القوم كآله للزراعة أيضاً. وقد نسبوا إليه كل التطورات



(شكل ١٥١)

أوزيريس إله الموتى والزراعة.

الأسرة السادسة والعشرون (المتحف المصري)

التي تحدث على سطح الأرض طوال العام فهو مانح مياه النيل الذي يعطي الحياة لمصر والتربة الخصبة السوداء والزراعة الخضراء التي تنمو بها. لقد كان الوجه المتغير للطبيعة وكانت ظاهرة موته تتمثل في ذبول النبات ونقص ماء النهر حتى يكاد يجف وكان بعثه وانتصاره يرمز لهما الفيضان الزاخر والنمو المتجدد للنبات.

وقد صور أوزيريس كماء الفيضان. وكان كهان جزيرة فيلة بأسوان يقولون عنه أنه "النيل الكبير الذي يخلق الحب بفضل ما فيه من ماء". وهو كإله النيل "يولد في حينه وتتجدد أعضاؤه في كل عام". لذلك وحدوه بالنيل وأصبحت حياته هي الفيضان الذي يكسب البلاد خصباً وحياته وموته هو القحط والجدب كالنيل عندما يفيض فيغمر الوادي بخيره ويفيض فتجدب الأرض وتموت ثم يعود ثانية إلى الظهور والخصب أي أن الأرض لا تأتي بثمارها إلا إذا روتها مياه النيل. وهكذا كان القوم يعتقدون أن نهر النيل والأرض الخصبة ليست إلا إلهاً واحداً هو أوزيريس الذي قهر الموت وكان رمزاً لحياة الأرض التي لا تفني.

وقد مثل أوزيريس وهو يعلم الناس الزرع والضرع وينظم لهم الحياة الزراعية. ومن أجل ذلك جعلوا منه إلهاً للنيل وأصبحوا يعتقدون أن النيل يجري من بين رجليه. ولما كانت مصر مهد الزراعة فإن المصريين لما قدسوا النيل كانوا يعتقدون أن أوزيريس هو سر جريان الماء وهو الذي يفيض على الوادي بالخير والبركات.

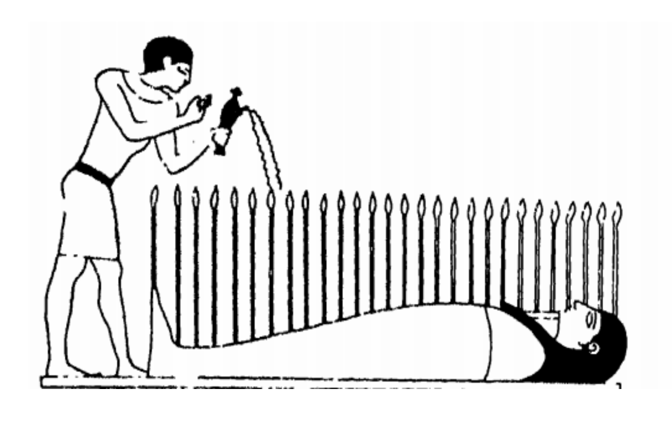
وقد لفت نظر المصريين الزرع الأخضر الذي ينبت من الأرض السوداء إلى التفكير في أصل الحياة. وكان للتغيير الذي لازمهم من حياة الصيد إلى حياة الرعي إلى حياة الزراعة أثره في عقيدتهم الدينية. وكانت الزراعة وما تمدهم به من محاصيل هي محور كفاحهم من أجل البقاء.

رأى الزراع أن الحبة التي بذرها تنبت وتخضر وتأتي بالثمار ومن تلك الثمار أخذ يزرع حبوباً أخرى فتكررت معجزة الحياة. وفكر في تلك الحياة المتجددة التي لا تموت فاعتقد أن هذا الشيء الحي الذي لا يموت هو إله وأن أوزيريس هو روح هذه الحياة الخضراء النابتة من الأرض. وكان المصريون يرون أن هذه النباتات المخضرة تذوي في كل عام وتتراءى لنواظرهم كأنها ماتت وفارقت الحياة ولكنها كانت تعود مرة أخرى إلى حياتها ونضرتها.

وقد آمن المصريون بأن أوزيريس هو القوة التي تمدهم بالحياة وتعطيهم القوت في هذه الدنيا. وكانوا يرون فيه أنه هو الأرض السوداء التي تخرج منها الحياة المخضرة ويرسمون سنابل الحب وهي تنبت من جسده (شكل ١٥٢).

وجاء في المصادر اليونانية أنه هو الذي اكتشف الكرم وعلم الناس زراعة القمح والشعير والفاكهة. وفي الواقع أنه لم يكن مخصصاً لنوع معين من النبات بل كان يعتبر القوة المحركة للإنبات والعامل الأساسي في الأثمار.

وقد أوحت العقيدة في أوزيريس كإله لقوة الإنبات بفكرة إظهاره في هيئة تماثيل من الطين تزرع بحبوب القمح أو الشعير المستنبتة أو



(شكل ١٥٢) .. سنابل الحب تنبت من جثة أوزيريس

بتصويره ميتاً مستلقياً على الأرض وقد ملأت جسمه حبوب تبلل بالماء فتنبت وتنمو وهكذا تعود الحياة إلى الإله أو برسم صورته على قطعة من الكتان مدت على لوح من الخشب وغطيت بدر فيها الشعير ثم نبت كما تشاهد ذلك في تماثيله المحفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة. ولا تزال فكرة إنبات الحبوب في أوعية مستخدمة في بعض الأعياد المصرية حتى اليوم.

وفي (كتاب الموتى) يقول أوزيريس عن نفسه: "أنا أوزيريس أعيش كحبة من القمح وأنبت كحبة من القمح". كان هذا الإله يهب الخصب للأرض فإذا نبت الشعير واكتسى جسد الإله بخضرة نضرة– وكان جسده يلون باللون الأخضر لأنه يمثل البعث الدائم للطبيعة في الخضرة المزدهرة–

فقد كان هذا دليلاً على عودة الحياة إليه. وهو وإن ظل يبدو ميتاً غير مخصب فلقد عاد إلى الحياة من جديد لخير البشر. وكان دائماً بمثابة "الحبوب الجديدة" غذاء الإنسان ثم "المياه الجديدة" التي تكسب الحقول خضرة. وكان يسمى "واج. أور" أي (الأخضر الكبير) وهو الاسم الذي سمى به المصريون البحار كما سموه (الأسود الكبير) تسمية إلى البحيرات المرة.

وكان القوم يعتقدون أيضاً أنه هو الحقول التي تطفو فوق مياه الفيضان إذا ما بدأت تنحسر عن وجه الأرض وتصورها عائمة فوق الماء. وما أروع هذا المتن الذي عثر عليه من عصر الدولة الحديثة وفيه بعض صفات أوزيريس: "ترقد الأرض قاطبة على أوزيريس الميت. وتزلزل الأرض زلزالها إذا تحرك. ويجري النيل من عروق أصابع يديه. يهب الناس الحياة من أنفاسه وتنمو فوقه الأشجار والنباتات والحبوب والثمار ويجثم فوقه كل ما تشيده يد الإنسان من قنوات ومنازل ومعابد وآثار وقبور وغير ذلك من الأشياء العديدة التي ليس من اليسير تدوينها دون أن يئن أو يتضجر من العبء الذي يحمله".

٢- إيزيس:

هي زوجة أوزيريس وأخته. وكانت تعبد جسد الأرض الخصبة الذي يتلقى الخصب من النيل ويتمثلونها مصر العذراء التي تخصب كل عام بأنفاس أوزيريس. وهي العنصر الأنثوي الذي يستقبل التقليح في هذا

العالم. وهي التي أرشدت المصريين إلى ابتكار أدوات الفلاحة كالفأس والمنجل وعلمتهم الصناعات الزراعية كالخبز كما علمتهم كيف يتخذون الثياب وكل الأشياء المنزلية الخاصة بالنساء.

وفي موسم الحصاد كانوا يحملون السلال المليئة بالقمح والشعير ويسيرون بها في مواكب فخمة ويحتفلون بعيدها في روعة بالغة تذكيراً للمصريين بفضلها هي وزوجها على الزراعة. وكان القوم يقدمون باكورة ثمار الأرض الطيبة على مذابح الآلهة.

وكانوا يعتقدون أن دموع إيزيس التي سكبتها حزناً على مصرع زوجها الشهيد قد سقطت في النيل واختلطت بمائة فتسببت في فيضانه. وكانت طبيعتها تميل إلى الخير والحنان والرحمة. وكل شيء طيب يتفق والنظام هو من عمل إيزيس وليس أحب إليها من البحث عن الحقيقة.

ويمثل (شكل **١٥٣**) الآلهة إيزيس يزين رأسها قرناً بالبقرة "حتحور" وبينهما قرص القمر وكرسي العرش رمزها أي أنها قد أعطيت حق العرش وكل من يحظى بها يستولى عليه. وتعد "حتحور" أما في الرضاعة لحوريس الطفل الرضيع ابن إيزيس لأنها لما تركته في أحراش الدلتا لكي تبحث عن جثة زوجها حنت عليه أحد الأبقار البرية وأرضعته من ثديها فأصبحت أمه في الرضاعة. لذلك اتخذت أمه الأصلية "إيزيس" قرنا البقرة رمزاً لها.

٣- حابي:

يمثل هذا الإله نهر النيل في فيضانه. وكثيراً ما نعثر على صوره منقوشة على الآثار. فكانوا يصورونه أحياناً وحده أو في صحبة بعض



(شكل ١٥٣)

الآلهة إيزيس يزدان رأسها بقرني البقرة "حتحور" وبينهما قرص القمر وكرسي العرش رمزها.

الآلهة. وأحياناً أخرى يصورونه مرتين أحدهما لمصر العليا يزدان رأسه بنبات اللوتس والآخر لمصر السفلي ويزدان رأسه بنبات البردي. كما تراهما في كثير من الصور يربطان نباتي اللوتس والبردي تحت اسم الفرعون مما يدل على أن طبيعة النهر تقضى بضرورة الوحدة بين شطري الوادي. على أن أكثر صورة ظهرت في المعابد حيث كان يرسم مراراً وهو يحمل على رأسه في كل مرة شعار أحد الأقاليم وعلى يديه قرابين مختلفة.

٤- نبر:

يعتبر "نبر" إلهاً للحبوب وكانوا يمثلونه أحياناً في هيئة آدمي ذي لحية ضخم البطن كبير الثديين. وأحياناً أخرى يمثلونه وقد غطت جسده حبوب القمح ونبتت من رأسه السنابل كأنها تاج يتزين به ويحمل بين يديه حزماً منها إشارة إلى أن هذا الإله يقدم الخير والبركة للناس.

وقد عثر على صورة له على أحد جدران معبد أمنحتب الثالث بوادي السبوعة ببلاد النوبة من عهد الأسرة الثامنة عشرة تمثله وهو يقدم حزمتين من القمح (شكل ١٥٤).



(شكل ١٥٤)

إله الحصاد "نبر" يقدم حزمتين من القمح. معبد أمنحتب الثالث بوادي السبوعة ببلاد النوبة- الأسرة الثامنة عشرة.

ولأهمية المحصول أقام له الفراعنة في موسم الحصاد عيداً من أهم أعيادهم الزراعية. وكانوا يقدمون فيه النذور وبعض ما تنبته الأرض. وبلغ من عنايتهم بهذا العيد أن الفرعون نفسه كان يفتح موسم الحصاد ويحصد بمنجله الضمة الأولى من سنابل القمح.

٥- سخت:

تعد آلهة الحقول والأرض الزراعية وكانوا يمثلونها في هيئة أنثى. وقد توجوا رأسها بالنبات الدال على اسمها وجعلوا في يديها مائدة قرابين (شكل ١٥٥) وعند قدميها فحل من البقر يرمزون به إلى آمالهم



(شكل ١٥٥)

إلهة الحقول "سخت" تقدم مائدة قرابين تحتوي على بط وبيض وأسماك.

عصر الدولة الحديثة

في الخصب من ناحية وإلى الصلة بينه وبين الحياة الزراعية من ناحية أخرى. كما مثلوها في صور أخرى وجدت على أحد جدران معبد أمنحتب الثالث بوادي السبوعة ببلاد النوبة من عهد الأسرة الثامنة عشرة في هيئة امرأة يزدان رأسها بالعلامة الهيروغليفية "سخت" بمعنى حقل وهي ترمز إلى الأرض الطيبة وتحمل في يديها مائدة قرابين مكونة من بط وبيض وأزهار لوتس وسمك وخبز (شكل ١٥٦).

٦- رنوتت:

كان القوم يعدو لها آلهة الحصاد ويرمزون لها بالحية المقدسة ومنها



(شكل ١٥٦)

إلهة الحقول "سخت" تقدم مائدة قرابين تحتوي على بط وبيض وأسماك وأزهار لوتس.

معبد أمنحتب الثالث بوادي السبوعة بالنوبة– الأسرة الثامنة عشرة.

اشتق اسم شهر برمودة. ومن المرجح أن يكون سبب تقديسها في الفيوم هو ماله من قيمة زراعية يعد ما تم على أيدي فراعنة الأسرة الثانية عشرة من مشروعات الري والزراعة العظيمة.

وقد مثلت هذه الآلهة في هيئة مرضع من البشر وجعلوا في حجرها طفلاً يرضع كما جعلوا رأسها على شكل رأس الحية. ولا غرابة في ذلك فأكثر ما تظهر الحيات في مصر حين ينتهي الحصاد وتتشقق الأرض في فصل الصيف وتستقبل شقوقها بشائر الفيضان. هنالك تهجر الحبات شقوق الأرض ويتهلل الناس لمقدم الخير. ولا عجب أن يطلق القوم على تلك المعبودة "رنوتت" أي المرضع فبشائر الفيضان بمثابة لبن الرضيع المصرية وكانت القرابين تقدم لها اعترافاً بفضلها في أهلاك الفئران التي تضر بالمحاصيل الزراعية.

أعياد الزراعة

لا شك أن للأعياد رنة فرح وسرور بالغين في قلوب الناس. ولم يحرم المصريون القدماء أنفسهم من التمتع بمباهجها ومحاسنها. يدلنا على ذلك تلك الأعياد التي كانوا يحتفلون بها في مواسم الزراعة وكان لها في حياتهم شأن يذكر ومن أهمها:

١- عيد الحصاد:

كان المصريون القدماء يحتفلون بعيد الحصاد احتفالاً رائعاً فتعم الحفلات جميع أرجاء البلاد. ونبدأ عملية الحصاد بعد نضج المحصول ويتم بين مظاهر الغبطة والسرور. فيقوم الفلاحون بقطع سنابل القمح وجمعها في شباك أشبه (بالشناق) المستخدم اليوم. وكان الرجال عادة يحملونها ويربطونها في نير يوضع على أكتافهم وينعلونها إلى الجرن ثم يقوم العمال بدرس القمح وتذريته. فإذا ما انتهوا من عملهم ذهبوا يستريحون ثم يكيلون القمح بعد ذلك ويسجلون مقداره وينقلونه إلى مخازن خاصة للغلال.

وكثيراً ما نشاهد صوراً على جدران القبور تمثل الحصادين وهم يقطعون سنابل القمح بينما رئيسهم يحثهم على العمل قائلاً: "من منكم يتم عمله في وقته فيستطيع أن يقول هأنذا". وهنا يغني الفلاحون أغنية موجهة إلى الحمير وهي تساق محملة بالقمح فيقولون: "الابتعاد عن الصف جزاؤه الربط بالحبل والتمرغ في الأرض جزاؤه الضرب. هيا إذن".

ولأهمية القمح أقام له الفراعنة في موسم الحصاد عيداً من أهم أعيادهم يقدمون فيه للإله "نبر" رب الحبوب القرابين المختلفة ويقيمون له الطقوس الدينية والحفلات الرائعة وتجبي خلاله الضرائب العينية على أساس المساحة المزروعة منه ويحفظ فائض المحصول في مخازن خاصة.

وكان القوم يعنون بعمل حزمة من سنابل القمح الجيدة يقدمها أحد الفلاحين لصاحب الحقل ليرى جودة المحصول ويثني على فلاحيه ويكافئهم بنسبة ما بذلوه من جد ونشاط ويبتهلون إلى الآلهة ويقدمون لها آيات الحمد والثناء. ولم يكن هذا الثناء يوجه إلى الإله المحلي فحسب أو إلى إله الخصب "مين" بل كذلك إلى آلهة أخرى كالإلهة "رنوتت" فيقدمون وعاء به ماء تشرب منه وتعلوه حزمة من سنابل القمح وسيقانه تعلق أمامها قرباناً لها. ولا تزال مثل هذه الحزم شائعة في بلادنا حتى اليوم وتعرف باسم (البروكة) أو (عروس القمح) وهي البشائر الأولى لسنابل القمح يجمعونها في هيئة العلامة الهيروغليفية "حتب" بمعنى الخير والرحمة وتعلق على أبواب الدور تيمنا بالقمح وشكراً لله على نعمائه.

وفي عصر الدولة القديمة نشاهد بين صور الحصاد مذابح صغيرة بين أكوام القمح شأنها في ذلك شأن المذابح وحجرات التعبد التي أقيمت على أفنية صوامع الحبوب في عصر الدولتين القديمة والحديثة لتقدم فيها القرابين إلى الآلهة "رنوتت".

وقد وجدت صورة لرمسيس الثالث على أحد جدران معبده بمدينة هابو بطيبة من عهد الأسرة التاسعة عشرة تظهر في حقل قمح وبيده اليمني منجل وباليسرى سنابل قمح مفتتحا موسم الحصاد وليقدم بنفسه أولى ثمراته.

وفي ختام أعمال الحصاد يظهر اثنان من موظفي الضيعة أحدهما يعمل "كاتباً" للصوامع" والآخر لكيل أكوام القمح قبل وضعه في الصوامع.

وكان القوم يحتفلون بعيد أوزيريس في طول البلاد وعرضها. ويصنعون له صورة من الطين يدفنون فيها الحبوب. وأغلب الظن أنهم كانوا ينتهزون فرصة الحصاد لتمثيل المأساة التي مرت بحياته من قبل وموت ودفن وبعث. وقد ظلت بعض قرى الصعيد في مصر تحتفظ بهذه الصورة حتى العصر الحديث.

عيد المشاعل:

كان هذا العيد يقع عند الانقلاب الشتوي وفيه تسهر المصريون القدماء الليل بطوله في لهو ومرح ويغطسون في ماء النهر الظن أنه كان يناسب في موعده فترة البذر والاحتفال بها.

عيد النيروز أو رأس السنة القبطية :

وضع المصريون القدماء أساس التقويم الذي يسير عليه الفلاح المصري حتى اليوم يسترشد به في أعماله الزراعة على مدار السنة وكانوا يحتفلون بهذا العيد بين مظاهر القبطة وتعم الحفلات أنحاء البلاد.

ولما جاء الفرس مصر دعوه "نورور" أو "نبروز" ومعناه باللغة الفارسية (يوم جديد). وظلت مصر تعترف به عيداً قومياً حتى العهد الفاطمي ولا يزال الأقباط يحتفلون به حتى اليوم.

عيد شم النسيم :

اعتاد المصريون القدماء أن يحددوا سننهم الشمسية طبقاً لظواهر فلكية رصدوها. وكانت السنة عندهم تبدأ بعد اكتمال البدر الذي يقع عند الانقلاب الربيعي (وهو الذي يتساوى فيه الليل والنهار) وقت حلول الشمس في برج الحمل ويقع في ٢٥ برمهات. وكانوا يتصورون أن ذلك اليوم هو بدء خلق العالم لذلك اعتبروه (أول الزمان).

وهذا العيد وثيق الصلة بعيد الفصح اليهودي. فإن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر في عهد موسى عليه السلام كان ذلك اليوم يناسب موعد احتفال المصريين ببدء الخلق وأول الربيع واعتبروه رأساً لسنتهم الدينية وسموا يوم خروجهم (الفصح) وهي كلمة عبرية من فصح أو فسخ بمعنى اجتاز أو عبر واشتقت منها كلمة (بصخة)– إشارة إلى نجاتهم وتحريرهم

عندما ذبحوا خروف الفصح ورشوا دمه على موتهم. وكانوا يحتفلون به في فصل الحصاد ويسمونه "شمو". وقد حرف هذا الاسم على مر الزمن إلى (شم) وأضفت إليه كلمة النسيم حتى تصبح علماً عليه. وهكذا اتفق عيد الفصح العبري بعيد الخلق المصري ثم انتقل الفصح بعد ذلك إلى المسيحية لموافقته موعد قيامة السيد المسيح. ولما انتشرت المسيحية في مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائماً في يوم الاثنين أي اليوم التالي لعيد الفصح (القيامة).

وقد جاء في كتاب مختصر الأمة القبطية "أما شم النسيم فهو عيد وطني قديم اتخذه القبط في أول فصل الربيع ليكون رأساً لسنتهم المدنية غير الزراعية".

وكان المصريون يحتفلون بعيد الربيع كما نحتفل بعيد شم النسيم اليوم ويشترك فيه الفرعون والوزراء والعظماء. فهو العيد الذي تبعث فيه الحياة ويتجدد النبات وينشط الحيوان لتجديد النوع أي أنه بمثابة الخلق الجديد في الطبيعة. وكان سرورهم بالغاً بحلوله ويحتفلون به احتفالاً شعبياً رائعاً. ففيه تزدهر الخضرة وتتفتح الأزهار ويخرج الناس أفواجاً وجماعات إلى الحدائق والمتنزهات والحقول للتريض ويستنشقون أريج الزهر ويستمتعون بالورود والرياحين تاركين وراءهم متاعب الحياة وهمومها.

واعتاد القوم أن يستيقظوا مبكرين حفزاً للهمم والنشاط ورمزاً لأولئك الذين أطاعوا الآلهة "حتحور" وخرجوا عند الفجر يحملون أواني

البيرة– ولونها يشبه الدم المسفوك– ليسكبوها قبل فتكها وإهلاكها البشر أجمعين.

وقد اعتادوا أن يحملوا معهم طعامهم وشرابهم ويركبون الزوارق الخفيفة على صفحة النيل ويغنون على أنغام الناي والمزمار ويرقصون ويصفقون ويقصون يومهم في لهو ومرح وسرور.

أما أحب الأطعمة لديهم في ذلك اليوم فكان البيض والسمك المملح (الفسيح) والبصل والخس و(الملانة) ولحم الأوز المشوي. وكان البيض يرمز لخصب الطيور وموعد ظهور جبل جديد منه ويبدأون في الإقلال من أكله بعد فصل الربيع لأنه بعد هذا الموعد يصبح غير مقبول. واعتادوا أن يجففوا السمك ويملحونه كما هو الحال اليوم. ويذكر (هردوت) أن المصريين كانوا يأكلون السمك ويجففون بعضه في الشمس ويأكلونه نيئاً ويحفظون بعضه الآخر في الملح. ولاشك أنه يقصد (الملوحة) أو (الفسيخ) حيث كانوا يرون أن أكلها مفيد أثناء تغيير الفصول. أما البصل فقد عثر على بعض النقوش التي تشير إلى تقديسه وكانوا يعلقونه حول أعناقهم وبخاصة في عيد (نتريت) (ويقع مع عيد الربيع في ٢٩ كيهك) فيطوفون حول الدار البيضاء (منف) تبركاً به. ومن العادات الشائعة لدى بعض الناس أن يعلقوا البصل فوق أسرة نومهم ثم يشمونه في الصباح الباكر ويعلقون حزماً منه على أبواب دورهم اعتقاداً منهم أنه يطرد الأمراض كما اعتادوا أن يقربوا البصل من أنف الطفل عند ولادته ليشمه

لما له من رائحة نفاذة ومن ثم أصبح البصل تقليداً يؤكل مع الفسيخ في عيد شم النسيم.

وكان أكل الخضر- وبخاصة- يعبد في هذا الفصل من السنة. وقد أجمع العلماء على أن الخس البلدي يحتوي على مادة زكية تجلب الخصب والقوة والحيوية لذلك بلغ عندهم مرتبة التقديس مخصص للإله.

أما الأزهار والرياحين والخضرة فترمز إلى نبات جديد وكانت بشيراً ببدء موسم الحصاد حيث يملأون محاربهم بالغلال ويقيمون حفلاً آخر بهذه المناسبة يقدمون فيه بواكير (الحلق الجديد) من سنابل القمح الخضراء.

ولقد ظل عيد شم النسيم عيداً للطبيعة والربيع قائماً من عهد الفراعنة حتى اليوم. ولم يأت عليه الأديان التي اعتنقها المصريون من مسيحية وإسلام وأصبح عيداً قومياً يحتفل به المصريون على اختلاف طبقاتهم ودياناتهم فيخرجون- كما اعتاد أجدادهم الفراعنة- إلى الحقول والحدائق يلهون ويمرحون ويأكلون البيض والفسيخ والبصل والملآنة. إنه العيد الذي أوحت به طبيعة بلادنا الزراعية. عيد بعث الحياة وعيد أول الزمان.

شجرة عيد الميلاد (الكريسماس) :

يعد أوزيريس إلهاً للخير ورمزاً للخصب في عقيدة المصريين القدماء وقد ورث ملك "رع" وأصبح إله كل شيء في هذا العالم. وقد تزوج أخته

إيزيس التي كانت خصبة وزواجها مثمراً منها أختها "نفتيس" التي تزوجت "ست" إله الشر كانت عقيماً لا تلد. فدبت الغيرة في أوصالها وأرادت أن تكون خصبة كإيزيس وظنت أن سبب عقمها يرجع إلى "ست" الذي يمثل الأرض الجدباء. وكان "ست" يبغض في أخيه أوزيزيس جمال وجهه ورجاحة عقله فحسده على ذلك وأراد أن يمكر به فدبر له مكيدة لاغتياله واتفق مع بعض الآلهة على أن يقيموا حفلاً له ثم أعد تابوتاً جملا كسوته من الذهب الخالص بحجم الإله الشاب وحده وزعم "ست" أن هذا التابوت هبة منه لأي إله من الحاضرين يصلح لأن يكون مرقداً له. وهكذا استلقى كل إله في التابوت ليجرب حظه دون جدوى إلى أن جاء دور أوزيريس. وما أن رقد فيه حتى أغلق الآلهة عليه الغطاء ثم ألقوا التابوت في نهر النيل وطفا حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط. وهناك حملته الأمواج إلى الشاطئ الفينيقي (لبنان) عند مدينة ببلوس ونمت على الشاطئ شجرة ضخمة وارفة الظلال احتوت التابوت وحمته من عين الرقيب.

وكان في ببلوس ملكة جميلة هي الآلهة عشتروت قد خرجت إلى الشاطئ تتريض. وحين أبصرت الشجرة أمرت بقطعها وإقامة عمود ضخم من جذعها في وسط قصرها. ولما علمت إيزيس بمصير زوجها وهي في مصر أخذت تبحث عنه في كل مكان واستبدت بها الأحزان فبكته بالدمع المدرار. وكلما هطلت الدموع من عينيها غزيرة تساقطت في النيل وامتزجت بمائة وفاض. فقد كان الفراعنة يعتقدون أن دموع إيزيس هي سبب الفيضان.

وأخيراً استدلت إيزيس على مكان زوجها ومضت إلى ببلوس وهناك دخلت القصر. فلما رأتها الملكة حسنة المنظر اتخذتها نديمة لها ومرضعة لوليدها. وكانت إيزيس في أثناء ذلك قد اتخذت صورة النسر– رمز الحياة– وحومت حول العمود العظيم القائم في وسط القصر وطافت بجثة زوجها وأخذت تناجي روحه فتحولت بقوتها السحرية إلى روح ترى ولا ترى ثم حدثت المعجزة. فقد حملت إيزيس بالروح دون أن يمسسها زوج. حملت في أحشائها الطفل "حوريس" وهربت به في أحراش الدلتا إلى أن كبر فحارب الشر وانتقم لأبيه وخلص الإنسانية من شرور عمه "ست" فسماه المصريون من ذلك الوقت (الإله المخلص).

وأرادت الملكة مكافأة إيزيس فسألتها عن بغيتها فطلبت منها جذع الشجرة الذي يحتوي على زوجها فأعطته لها وأخرجت التابوت منه وحملته مسرورة ثم وضعته في سفينة وأبحرت به إلى مصر. وهناك استقلت على إلى الميت الحياة.. ثم ارتفع بعد ذلك إلى السماء واعتلى العرش في العالم جثة زوجها الهامدة ونفخت فيها من أنفاسها مستعينة ببعض الآلهة فردت الآخر.

من هذه الأسطورة نرى أن أوزيريس قد عاش ومات ثم ردت إليه الحياة ثانية وأصبح شجرة خضراء. وكان هو الإله المهيمن على الزرع وهو بذرة الحياة في هذا الوادي تنشر فيه الخضرة كل عام فقد كان المصريون يعتقدون أن الحياة تعود إليه كل عام وبعودتها تنبت المزروعات.

وكانوا يرمزون للحياة المتجددة بشجرة خضراء. وفي الوقت نفسه كان بعض المصريين يرون فيه أنه هو الأرض السوداء التي يخرج منها الحياة المخضرة ويرسمون سنابل الحب نبت من جسده ويقيمون في كل عام حفلاً كبيراً ينصبون فيه شجرة يزرعونها ويزينونها بالحلي تكسونها بالأوراق الخضراء كما يفعل الناس اليوم بشجرة عيد الميلاد. وقد سماها البابليون شجرة الحياة وكانوا يعتقدون أنها تحمل أوراق العمر في رأس كل سنة. فمن أخضرت ورقته كتبت له الحياة طوال العام. ومن دبلت ورقته وآذنت بالسقوط فهو ميت في يوم من أيامها.

وقد سرت هذه العادة من الشرق إلى الغرب وأخذ القوم يحتفلون بالشجرة في عيد الميلاد ويختارونها من الأشجار التي تحتفظ بخضرتها طوال العام كالسرو والصنوبر.

التغذية

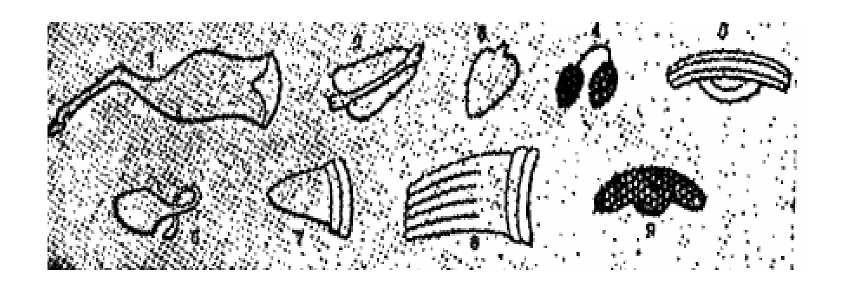
كانت المحاصيل الزراعية عند المصريين القدماء هي عماد الثروة. وأهم المواد الغذائية التي أنتجتها البلاد وقتئذ هي القمح والشعير والفاكهة والخضر والبقول.

وتقوم محتويات الغذاء الزلالية والنشوية والدهنية والمائية من الوجهة الغذائية بتوليد الحرارة وتعويض المستهلك من قوة الجسم من حيث احتوائها على الكربون والأيدروجين والأكسجين والأزوت.

وهناك عناصر غذائية أخرى كالمعادن والفيتامينات تنعدم في بعض الأغذية بينما تتوفر في الأخرى تساعد على النمو ومقاومة الأمراض وقلتها تسبب أمراضاً وعاهات جسيمة عديدة.

وقد أغرم المصريون القدماء بتربية الماشية والطيور والنحل. وكانوا يكثرون من تناول لحوم الماشية والدواجن وكذا من الأسماك واستخراج البطارخ من بعض أنواعها كما كانوا يستخدمون في طعامهم عسل النحل واللبن والجبن والزبد والبيض مما كان له تأثير كبير في نمو أجسامهم وقلة الأمراض المنتشرة بينهم.

وقد وجدت صورة على أحد جدران قبور طيبة تمثل أجزاء اللحوم المختلفة التي وضعت على المذابح أو موائد القربان وأهمها الرجل الخلفية مع فخذها والمفصل العلوي والقلب والكليتان والضلوع والكفل (شكل ١٥٧).



(شكل ١٥٧) .. أجزاء اللحوم المختلفة التي وضعت على المذابح أو موائد القربان.

١- الرجل الخلفية مع فخذتها

٢- الملعمل العلوي

٣- القلب

٤- الكليتان

٥ و٨- الضلوع

٦- الكفل (الردف)

أحد قبور طيبة .. (عن ولكنسون)

وكانت الرياضة من أهم مستلزمات حياتهم. فكانوا يخرجون في الهواء الطلق يمارسون الرياضة على زوارق صغيرة ويسبحون على صفحة النيل وهم بطبيعتهم شعب مرح يميل للفكاهة والضحك والسرور. وكانوا من أكثر الشعوب نشاطاً ورشاقة. وقلما نشاهد شخصاً مفرطاً في البدانة وذلك لاهتمامهم بالرياضة وعدم إفراطهم في الأكل وتعرض أجسادهم للهواء والشمس.

ألوان الطعام:

اشتهرت مصر منذ أقدم العصور بوفرة الخضر كالخس والفجل واللفت والكرفس والبقدونس والكرنب والخبيزة والرجلة والسلق والبامية والملوخية والبطيخ والشمام والقثاء والخيار وكلها غنية بالفيتامينات.

ولما كانت البقول عنصراً غذائياً هاماً فقد كانوا يستخدمونها بكثرة. وأهم هذه البقول الفول والعدس والحمص والترمس واللوبيا. وقد عرف القوم مالها من فائدة للإنسان فأكثروا من تناولها كما عرفوا الفول المدمس والبصارة والعدس (أبو جبة) وهو معروض بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالقاهرة.

وقد عنى المصريون القدماء بأشجار الفاكهة فأنشئوا الحدائق والبساتين وزرعوا فيها ألواناً من الفاكهة المختلفة كالعنب والبلح والجميز والتين والنبق والمخيط والرمان. وهناك فاكهة أخرى جلبوها إلى مصر من الأقطار المجاورة كاللوز والجوز والبندق والصنوبر والخروب والكمثرى والتفاح وكلها تحتوي على فيتامينات متنوعة.

وكانوا يجففون العنب ويصنعون منه الزبيب كما كانوا يشربون عصير الفاكهة كالعنب والرمان مما يدل على أنهم عرفوا ما لهذا الشراب من مزايا طيبة للجسم.

وقد كان لأجدادنا ثروة كبيرة من النباتات الطبية التي استخدموها في الطب واتخذوها علاجاً لأمراضهم كالكمون واليانسون والكراوية والحلبة والكزبرة والقرفة.

تخزين الحبوب:

ولما كان تخزين الحبوب ضرورياً للمصريين القدماء فقد عنوا به عناية كبيرة حتى يستخدموها وقت الحاجة وبذا تمكنوا من تغذية أنفسهم طوال العام. وقد ذكرت لنا الكتب المقدسة أنه في عهد يوسف عليه السلام كانوا يخزنون القمح سبع سنوات متتاليات تكفي سبع سنوات أخرى مما يدل على أن القوم سبقوا غيرهم من الشعوب الأخرى في تخزين الحبوب لا لمصر فحسب بل للبلاد المجاورة لها أيضاً.

ولا شك أن الأطعمة كانت رخيصة ومتى رخص الثمن سهل التناول وكثر الاستهلاك وتحسن الغذاء وقلت الأمراض التي تنتج من نص التغذية.

وترينا الصور التي وجدت على جدران العبور الأسواق المصرية والناس مقبلين على البيع والشراء. فنشاهد الباعة وهم منهمكون في تبادل السلع والمأكولات المختلفة في كل مكان كالخبز والكعك والفاكهة والخضر.

عناصر بناء البدن:

إن وفرة المحاصيل الزراعية ورخص أثمانها ليدل دلالة قاطعة على وجود أغذية نباتية بكميات وفيرة. فالدقيق الأبيض مادة نشوية نقية تتركب من ثلاثة عناصر: الكربون والأيدروجين والأكسجين. وهو يمد الجسم بمقدار من الطاقة أو السعرات الحرارية لأن النخالة قد فصلت وهي تحتوي

على الفسفور والحديد والكلسيوم والسليكون واليود والنتروجين والكبريت والبوتاسيوم والمنجنيز عدا الفيتامينات والمركبات الهلامية الغرائية. فالفسفور يعمل على تقوية الأعصاب. والحديد يقوي الجسم ويمنع الأنيميا أو فقر الدم. والكلسيوم يقوي العظام والأسنان والغضاريف ويحافظ على قلوية الدم. والسليكون يمنع الصلع وسقوط الشعر ويقويه ويكسبه لمعاناً طبيعياً. واليود تحضر به الغدة الدرقية هرمون الثيروكسين والنتروجين والكبريت ضروريان لبناء الأنسجة وتكوينها تكويناً سليماً والبوتاسيوم والمنجنيز وبقية العناصر لأزمة لعمليات الجسم ووظائفه البيولوجية والفسيولوجية ويكاد الدقيق الأبيض يكون خالياً من كل هذه العناصر. ولما كان (الفريك) عنصراً هاماً في التغذية فيرجح أن المصريين القدماء قد استخدموه في الأكل كما هي الحال اليوم.

الخبز والفطائر:

يعد الخبز من المواد الغذائية التي استخدمها الإنسان غذاء له. ويبدو من عملية طحن الحبوب من القوم كانوا يصنعون الخبز من عناصر القمح والشعير معاً. ولم يكن الدقيق ناعماً بالدرجة المعروفة لنا اليوم وإن كان حاويا لكل أنواع الفيتامينات والمعادن السابق ذكرها في النخالة.

وكانت أشكال الخبز متباينة كما هي الحال في مصر اليوم. وقد استخدموا عسل النحل والبلح بدلاً من السكر في الكعك والفطائر والحلوى.

النبيذ:

كان المصريون القدماء يفرطون في شرب النبيذ ويقدمونه قرباناً للآلهة ولم يخل أي حفل منه. وقد عثر في إحدى البرديات على عبارة يقول فيها الزوج لزوجته: "سأعطيك من النبيذ والزيت ما يكفي لطعامك وشرابك كل عام".

الجعة:

وكانت الجعة شراباً شائعاً في مصر وكثيراً ما كانوا يقدمونها ضمن القرابين للآلهة وكانوا يصنعونها من القمح أو الشعير ويحفظونها في أوان لاستخدامها وقتما يشاؤون.

الزيت:

لا يخفى ما للزيت من فوائد متنوعة، فكان القوم يستخدمونه في الطعام والدهون والتدليك وبخاصة زيت الزيتون الذي استخدموه في علاج بعض أمراضهم.

من ذلك نرى أن أطعمهم المختلفة كانت تحتوي على بروتينات وفيتامينات ودهون ونشويات وعناصر معدنية مما كان له أكبر الأثر في أجسادهم.

طهو الطعام:

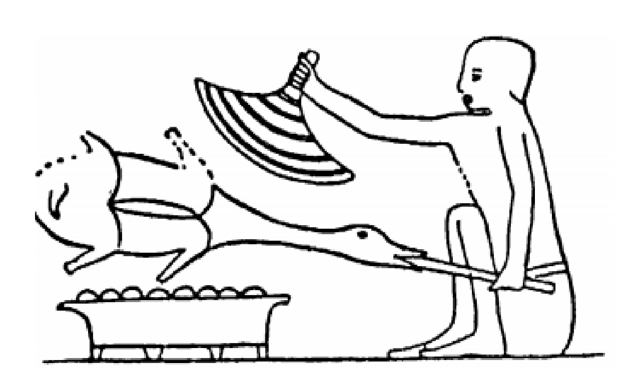
وقد أظهرت لنا حفائر تل العمارنة من عهد الأسرة الثامنة عشرة كم مساحات المنازل وتعدد حجراتها وتنوع اختصاصاتها، وكانت مخازن الطعام في القصور تتبع "رئيس الطعام" وهو في الوقت نفسه رئيس الخدم ويشرف بحكم مركزه على صناعة الخبز والجعة ويتبعه رئيس الطهو والمطبخ ويقوم بعملية الطهو عدة أفراد، يعهد إلى موظف خاص الإشراف على المشروبات المتنوعة.

وكانت منازل الطبقة الوسطى أصغر حجماً من سابقتها تحتوي على الطباخ والساقي وعامل الحديقة وغيرهم من الخدم.

أما القصور فكانت تمتاز لكبر حجمها وعظميها وقد خصص لها موظف برتبة "رئيس موظفي الطعام" والآخر برتبة "رئيس موظفي الشراب" وغيرهم من ذوي النفوذ العظيم. وكان الخبز والجعة أهم ما يوزع من الطعام على موظفي القصور.

ومن جهة أخرى فإن موائد القربان التي كانت تقدم للميت تحتوي على أنواع كثيرة غير ما ذكر مما يبين أن طعام القوم وقتئذ لم يكن مقصوراً على الخبز والجعة فحسب بل نشاهد إلى جانب ذلك لحم العجول والأوز والكعك والفاكهة والخضر والنبيذ.

وكان أشهى طعام لدى المصريين القدماء هو شواء الأوز على نار الفحم وصور الشواء كثيرة على جدران القبور. فقد وجدت صورة منها على أحد جدران قبور عصر الدولة القديمة تمثل راعياً يشوي أوزة (شكل ١٥٨).

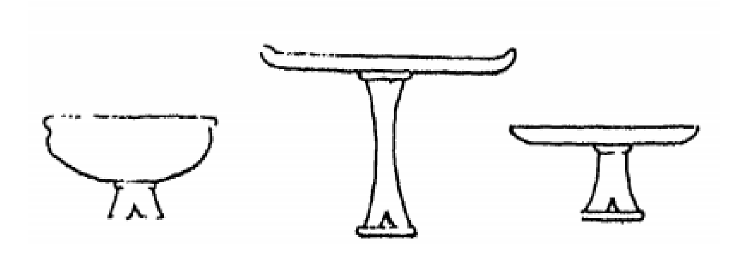


(شكل ١٥٨).. راع يشوي أوزة. عصر الدولة القديمة

وكانت الأسماك تشوي بنفس الطريقة حيث تنفذ عصا الشي في ذيلها. أما قصور الأمراء والعظماء فكانت تحتوي على أفران يشاهد فيها تقطيع اللحوم إلى أجزاء صغيرة ثم توضع في أفران كبيرة للطهو ترتكز على سفودين فوق الموقد. وقد عرف القوم ما لشواء الأوز والطعام المسلوق من فائدة على صحة الإنسان كما عرفوا ملح الطعام واستخدموه في مختلف الأطعمة حتى يجعل مذاقها مستساغاً.

موائد الطعام:

كانت الأطعمة منذ أقدم العصور توضع على قطع مستديرة من الحجر محمولة على أرجل منخفضة جداً كان المرء يأكل منها وهو جالس على الأرض وعندما استحدثت المقاعد وضعت هذه القطع الحجرية المستديرة- المستخدمة في الأكل- على قواعد عالية منذ عصر الدولة القديمة (شكل ١٥٩). وقد حفظت لنا موائد كثيرة في الصور التي تمثل الموتى وهم يتناولون طعامهم في العالم الآخر. وكانوا يستخدمون قواعد عالية أو منخفضة ذات أشكال متنوعة لتوضع عليها القدور والصحاف وكذلك السلال المليئة بالفاكهة والخضر وما إليها. وكانوا يفضلون استخدام قواعد منخفضة مصنوعة من ألواح رقيقة لوضع جرار النبيذ عليها. وقد أصبحت هذه القواعد ذات الألواح الرقيقة في عصر الدولة الحديثة هي شكل



(شكل ١٥٩).. صحفة وموائد طعام ذات مقاعد، عصر الدولة القديمة

الموائد السائد وحده دون غيره. الصور التي عثر عليها في قصر بل العمارنة تظهرها في جميع الأحجام والأشكال سواء أكانت في قاعة الملك أم في غرف النوم أم في غرف المطابخ.

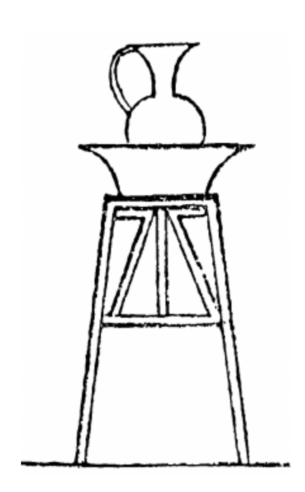
وكانت الموائد تحلى بالأزهار وبخاصة زهرة اللوتس. وأعياد القوم أن يقدموا في الحفلات أزهاراً جميلة الألوان ذكية الرائحة يشمونها ويستنشقون عبيرها.

وجبات الطعام:

كانت العادة المتبعة لدى المصريين القدماء هي تناول ثلاث وجبات يومياً وأحياناً وجبتين أهمها ما كانت في وقت الظهيرة وفي المساء.

وكان الإنسان منذ أقدم العصور يأكل ما تخرجه الأرض من طعام يقدم في أوان توضع على حصير. ومنذ عهد الأسرة الخامسة استبدل بالحصير مائدة منخفضة حفرت فيها أطباق الطعام أم رفعت المائدة واستخدمت المقاعد للآكلين واستعين بالخدم في تقديم الطعام، واعتاد القوم أن يأكلوا بأيديهم حتى أن الملك أخناتون وأفراد أسريه كانوا يتناولون اللحوم وشواء الأوز بحالة بدائية كما هي الحال في الريف المصري اليوم. وكانوا يغسلون أيديهم قبل الأكل (بعده، وقد رسموا أواني الغسيل التي استخدموها– وأهمها الإبريق والطست– بجوار موائدهم كما هو واضح في الصورة التي عثر عليها من عصر الدولة الحديثة (شكل ١٦٠) كما كانوا يحرقون البخور في غرفة الطعام فتفوح منه رائحة ذكية وعبير شذى.

وقد أغرم المصريون القدماء بألوان الطعام المستوردة من آسيا الصغرى وسوريا والعراق كما كانوا مغرمين بزيت قبرص ونبيذ سوريا وفاكهة الشام.



(شكل ١٦٠).. إبريق لغسيل الأيدي وطست يتجمع فيه الماء بعد الغسل. عصر الدولة الحديثة

أمراض سوء التغذية:

وقد وصلت إلينا حالات تبين بعض أمراض سوء التغذية لدى المصريين القدماء فقد وجدت رسوم على أحد جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى تبين مرضى الكساح نتيجة لنقص الجير وفيتامين (د) كما عثر على مرضى الدرن منذ أواخر الأسرة العشرين.

وقد اشتهر المصريون القدماء بالمحافظة على صحتهم وسلامة أسنانهم. وبالرجوع إلى نماذج الجنود المصريين التي عثر عليها في قبور عصر الدولة الوسطى يبدو منها قامتهم الرشيقة المديدة وبنيتهم القوية

وأجسامهم الممتلئة وهي علامات تدل على عدم وجود نقص أو سوء تغذية.

وهناك تماثيل كثيرة بالمتحف المصري بالقاهرة تبين مدى نشاط الفلاحين وأجسادهم القوية. ومن أشهر هذه التماثيل تمثال الفلاح وتمثال الأميرة "نفرت" وزوجها "رِع. حتب" من عهد الأسرة الرابعة واضح لسلامة الجسم ووفرة التغذية في ذلك الوقت.

من هذا الموجز نرى أنه كان هناك نقص في بعض الحالات من ناحية الجير وفيتامين (د) لكنه كان فيما عدا ذلك كان الطعام كافياً وأمراض سوء التغذية قليلة نظراً لألوان الطعام التي كانوا لونها ولوفرة اللحوم وقتئذ.

المراجع العربية

١- أ.ارمان: ديانة مصر القديمة. ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري.

٢- أ.ارمان وهرمان رانكة: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة. ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال.

٣- أحمد بدوي: في موكب الشمس. الجزء الأول ١٩٤٥ والثاني ١٩٥٠.

٤- اثيين دريوتون وجاك فانديبه: مصر. تعريب عباس بيومي.

٥- إبراهيم عثمان: الأشجار الخشبية.

٦- أحمد فخري: من مقال له عن الأدب المصري القديم في تاريخ الحضارة المصرية- العصر الفرعوني- أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي- ١٩٦٢.

٧- أحمد كمال: اللآلئ الدرية في النبات والأشجار القديمة المصرية- ١٣٠٦هـ.

٨- وبغية الطالبين في علوم وعوائه وصنائع وأحوال قدماء المصريين. الجزء الأول- ١٨٩١.

٩- إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة. الجزء الثاني- ١٩٤٦.

١٠- الن و. شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة. ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم-١٩٥٦.

١١- بول عليونجي: الحضارة الطبية في مصر القديمة- ١٩٦٦.

١٢- باهور لبيب ومحمد لمحات من الفنون والصناعات الصغيرة وآثارها

حماد: المصرية- ١٩٦٢.
١٣- توفيق عبد الحق: أمـــراض النبـــاتات في مصـــر وطـــرق مقاومتهـــا ١٩٥١/١٩٥٢.
١٤- ج. هـ. برستد: انتصـار الحضـارة "تاريـخ الشـرق القـديم"- ترجمـة أحمد فخري- ١٩٥٥.
١٥- جون ولسون: الحضارة المصرية- ترجمة أحمد فخري- ١٩٥١.
١٦- حسن كمال: الطـب المصـري القـديم. الجـزآن الأول والثـاني. الطبعة الثانية- ١٩٦٤ -١٩٦٥.
١٧- سليم حسن: مصر القديمة الجزء الأول
١٨- سليمان حزين: من مقال عن "البيئة والإنسان والحضارة في وادي النيل الأدنى "في تاريخ الحضارة المصرية- العصر الفرعـوني- أصـدر بـه وزارة الثقافـة والإرشـاد القومي- ١٩٦٢.
١٩- سلامة موسى: مصر أصل الحضارة-١٩٤٩.
٢٠- شكري صادق: تاريخ الزراعة المصرية في عهد الفراعنة- ١٩١٦.
٢١- عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصري القديم. الجزآن الأول والثاني- ١٩٤٠.
٢٢- عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح-١٩٥٣.
٢٣- مرقس سميكة: دليل المتحف القبطي. الجزء الأول- ١٩٣٠.
٢٤- :مردوت تتحدث عن مصر. ترجم الأحاديث عن الإغريقية مُحَمَّد صقر خفاجة قدم لها وتولى شرحها أحمد بدوي- ١٩٦٦.
٢٥- محرم كمال: تاريخ الفن المصري القديم-١٩٣٧.
٢٦- محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية- ١٩٥٦.

٢٧- محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند قدماء المصريين- ١٩٦٢.
٢٨- مُحَمَّد محمود الصياد: النيل الخالد-١٩٦١.
٢٩- نجيب رياض: الطب المصري القديم.
٣٠- وليم نظير: المرأة في تاريخ مصر القديم- ١٩٦٥.
٣١- :الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين- ١٩٦٦.
٣٢- :العادات المصرية بين الأمس واليوم-١٩٦٧.

-

المجلات العربية والأجنبية

٥٨- حسن كمال: من مقال له عن التراث العلمي لمصر القديمة منشور في المقتطف- سبتمبر ١٩٣٦.

٥٩- سامي جبرة: من مقال له عن "مظاهر الفكر عند قدماء المصريين" منشور في المقتطف- سبتمبر ١٩٣٦.

٦٠- لبيب حبشي: من مقال له عن "النيل وعلاقته بمنطقة أسوان" منشور في مجلة السياحة المصرية- أغسطس ١٩٦٠.

٦١.William Nazir, Getreide im Alten Aegypten, Brot und Gebäck, Januar ١٩٥٦.

رسالة

٦٢- مُحَمَّد السعيد إمام: من رسالته عن "مشاكل الغابات والتشجير واقتصاديات الأخشاب في الجمهورية العربية المتحدة" من جامعة فرايبورج بألمانيا الغربية عام ١٩٦٠.

Probleme der Aegyptischen Forst und Hobzwirtschaft, Frei- burg ١٩٦٠.

النشرات والكتيبات

٦٣- أحمد إسماعيل عبد الرءوف الحياة- أصدرتها مصلحة السادس بوزارة الزراعة- ١٩٦٥.

٦٤- أحمد زكي أبو النجا النباتات الطبية الهامة- أصدرتها وزارة الزراعة- ١٩٥٩.

٦٥- أحمد عبد العظيم وحسن مرعي: النخيل في الإقليم الجنوبي- أصدرته وزارة الزراعة ١٩٦١.

٦٦- علي صادق: زراعة العنب في الإقليم الجنوبي- أصدرته وزارة الزراعة ١٩٦١.

٦٧- مركز تسجيل الآثار المصرية: الزراعة في مصر القديمة

مجموعة "شفينفورت" النباتية

٦٨- :قام بتعريفها "ج. شفينفورت" وهي محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي بالدقي.

الفهرس

الباب الثالث

المحاصيل الحقلية

الباب الرابع

نباتات الألياف

الباب الثامن

الباب التاسع

الباب العاشر

الزراعة والمجتمع